الرحلات الهندية:

في وسط الهند

رحلات وأحاديث عن ماضي المسلمين وحاضرهم

تأليف

محمد بن ناصر العبودي

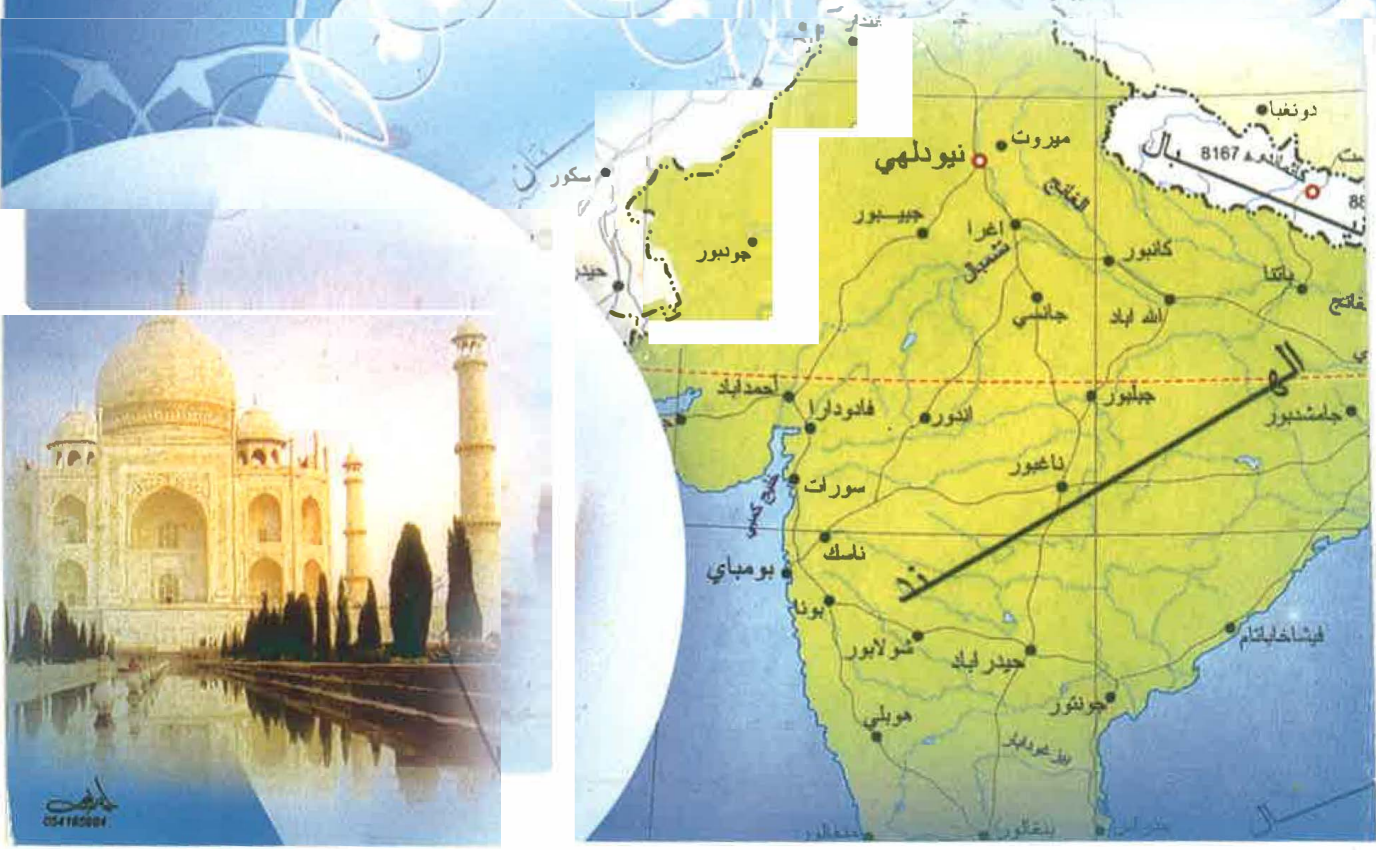

الرحلات الهندية:

في وسط الهند

رحلات وأحاديث عن ماضي المسلمين وحاضرهم

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies
https://dawa.center

ⓒ محمد بن ناصر العبودي ، ١٤٢٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد بن ناصر
في وسط الهند : احاديث عن ماضي المسلمين وحاضرهم /
محمد بن ناصر العبودي – الرياض ، ١٤٢٥هـ
٢٤٨ ص ؛ ١٧ X ٢٤ سم
ردمك : ٤ – ٢٤٣ – ٤٧ – ٩٩٦٠
١– المسلمون في الهند ٢– الإسلام – تاريخ – الهند
أ– العنوان
ديوي ٩٥٤ ١٤٢٦/١٦٦

رقم الايداع: ١٤٢٦/١٦٦
ردمك: ٤-٢٤٣-٤٧-٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- طبع بيروت، دار الثقافة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا- الرياض، دار العلوم، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين- الرياض، النادي الأدبي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي- الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان- الرياض، جمعية الثقافة والفنون، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- نشرته دار العلوم في الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين- نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي- مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية- طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست، عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين- الرياض، المطابع الأهلية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال- رحلة وحديث في شؤون المسلمين- الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى- المطابع الأهلية للأوفست في الرياض، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنـــوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي- الرياض، ١٤٠٧هـــ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل- نشره النادي الأدبي في أبها، ١٤١٠هـــ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٠هـــ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـــ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر- طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـــ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـــ/١٩٩١م.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي- مطابع الرياض الأهلية للأوفست، ١٤٠٧هـــ/ ١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤١٠هـــ/ ١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض،١٤١٣هـــ/ ١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـــ.

(٢٣) الرحلة الروسية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـــ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـــ/١٩٩٢م.

(٢٥) جمهورية أذربيجان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـــ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية- نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـــ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان- طبع ببيروت عام ١٤١٢هـــ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال- طبع بالرياض عام ١٤١٤هـــ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين- طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألمانيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية- محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكري- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القرم- نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجريا (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان- نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية- نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غينيا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا- طبع في مطابع التقنية للأوفست- الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور- مطابع النرجس التجارية، الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك (من سلسلة الرحلات الهندية) مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين (من سلسلة الرحلات الصينية) طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية- طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي (من سلسلة الرحلات القوقازية) طبع في مطابع التقنية للأوفست، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار (من سلسلة رحلات الشمال) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي- طبع مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة- مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي- طبعته مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠ هـ.

(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفيتي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي، طبع في مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٩) إقليما سمارا وأستراخان (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا)، نشرته دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٧٠) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٧١) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا (من سلسلة الرحلات الكاريبية) مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٢) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياضن عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢١هـ.

(٧٤) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٥) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٦) في جنوب البرازيل (من سلسلة الرحلات البرازيلية) مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٧) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٨) بلغاريا ومقدونيا (من سلسلة الرحلات في بلاد البلقان) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٩) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٠) بيليز والسلفادور (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨١) (العودة إلى ما وراء النهر) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٢) (على سقف العالم) رحلة في التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٤٢٢هـ.

(٨٣) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨٤) بلاد العربية الضائعة (جورجيا) طبع في مطابع العلا، الرياض،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٥) الاعتبار في السفر إلى ماليبار (من سلسلة الرحلات الهندية)، نشره النادي الأدبي الثقافي في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٦) ذكريات من خلف الستار العقيدي، رحلة في شرق أوروبا وأحاديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٢هـ.

(٨٧) بالي، جزيرة الأحلام، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٨) غايتي من السفر إلى هايتي، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٩) إلى جنوب الشمال: بلاد السويد، طبع في مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢٣هـ.

(٩٠) وراء المشرقين رحلة حول العالم وحديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩١) إلمامة بجنوب الفلبين لحضور الاحتفال بافتتاح المباحثات السلمية بين الحكومة الفلبينية وجبهة تحرير مورو الإسلامية، ومشاهدات أخرى، مطابع النرجس عام١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٢) رحلة هونغ كونغ وما كاو، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٣) إلى أقصى الجنوب الإفريقي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٤) شمال سيبريا (من سلسلة الرحلات السيبرية) مطابع النرجس، الرياض.

(٩٥) فوق سقف الصين: رحلة في الشمال الغربي من الصين، وحديث عن المسلمين، طبعته مطبعة العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٦) إقليم أورنبورغ (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا) طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٧) إلى إريتريا بعد ٣٦ سنة، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ.

(٩٨) الشرق الشمالي من البرازيل: رحلة في ولايات: برنانبوكو وريوقراندي دي نورتي وبارابيبا (من سلسلة الرحلات البرازيلية) طبع في مطابع العلا في الرياض.

(٩٩) من غينيا الإستوائية إلى ساو تومي: رحلات في القارة الإفريقية، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(١٠٠) من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية) مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠١) إلى شمال الشمال: بلاد النرويج وفنلندا (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية)، مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ.

(١٠٢) في غرب أستراليا (من سلسلة الرحلات الأسترالية) (تحت الطبع).

(١٠٣) (نظرات في شمال الهند) مجلدان، طبع في مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠٤) جولات فنزويلية وحديث عن المسلمين في أحد أركان القارة (من سلسلة رحلات في أمريكا الجنوبية).

(١٠٥) الحل والرحيل في بلاد البرازيل (ثلاثة مجلدات من سلسلة الرحلات البرازيلية).

(١٠٦) في وسط الهند من سلسلة (الرحلات الهندية) وهو هذا الكتاب.

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(١٠٧) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات)-نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(١٠٨) أخبار أبي العيناء اليمامي- طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(١٠٩) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبدالعزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(١١٠) كتاب الثقلاء- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١١١) نفحات من السكينة القرآنية- طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس- نشرته دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ.

(١١٢) مأثورات شعبية- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١١٣) سوانح أدبية- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١١٤) صور ثقيلة- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١١٥) العالم الإسلامي والرابطة- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

(١١٦) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء، مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١١٧) المقامات الصحراوية- مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١١٨) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة- بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية- نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي، الرياض، ١٤١٩هـ.

(١١٩) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، نشرته جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٢٠) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة)- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة، ١٤١٩هـ.

(١٢١) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبدالعزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(١٢٢) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(١٢٣) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٢٤) واجب المسلم في بلاد الأقليات، نشرته رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(١٢٥) (العالم الإسلامي: واقع وتوقعات) نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها.

(١٢٦) الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعته مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٢٧) (حِكَمُ العوام)، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٢٨) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، في أربعة مجلدات.

(١٢٩) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

(١٣٠) أثر الأقليات المسلمة في الدعوة الإسلامية، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(١٣١) الكناية والمجاز في اللغة العامية، نشرته مجلة الدرعية التي تصدر في الرياض، ١٤٢٣هـ.

(١٣٢) أماكن قديمة العمارة في القصيم، نشرته مكتبة العبودي في بريدة لصاحبها صالح بن عبدالله العبودي.

المقدمة:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد: فهذا كتاب يتضمن المشاهدات في ولاية (مادهي براديش) التي معناها «الولاية الوسطى» وهي أكثر الولايات الهندية اتساعاً وإن لم تكن أكثرها سكاناً، وذلك في زيارتين قمت بهما لوسط الهند، إحداهما كانت لمدينة بهوبال عندما كنت في مؤتمر إسلامي لجنوب الهند وانتهزت الفرصة لأزورها بعده، وكتبت عنها شيئاً مما تراه الآن، والثانية عندما دعاني العلامة السيد أبوالحسن الندوي رئيس رابطة الأدب الإسلامي إلى حضور اجتماع للرابطة يقام في مدينة بهوبال نفسها، وذهبنا بعدها إلى زيارة مدينة (اندور) كبرى مدن الولاية، ثم زيارة منطقة (مالوه) لمشاهدة الآثار العظيمة التي خلفها المسلمون فيها وكتبت عن ذلك يوميات ضممتها إلى ما سبقت كتابته عن (بهوبال).

لقد كان أسلافنا منذ خمسين سنة وما قبلها يسافرون إلى الهند طلباً للثروة والغنى وبعضهم يسافر طلباً للعيش حين تضيق بهم سبل العيش في البلاد، ولذلك قالوا في أمثالهم: (الهند هندك إذا قل ما عندك)، أي إذا قلت النقود عندك فسافر إلى الهند، وأجعلها محل إقامتك، فإنك ستجد النقود فيها.

ولقد حصلت طائفة منهم على النقود في الهند، بل حصلت معها على النفوذ والثراء، كان من أشهرهم عندما بدأنا نعقل الحياة (آل فضل) و(البسام) والقاضي.

حكى الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد رحمه الله أنه شاهد الضيوف من أهل نجد في بيت (الفضل) في الهند يزيد عددهم على الأربعين وهم موجودون في كل الأيام يسكنون ويأكلون ويقيمون.

ولا يزال كبار السن منا يعرفون أن الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله عندما بدأ باستعادة الملك وتأسيس (المملكة العربية السعودية) قبل أن تكون كذلك يقترض من أثرياء أهل نجد في الهند، وكان على رأسهم (آل فضل).

وذلــك لكــونه لا توجد موارد كافية في البلاد للغزو والجهاد ولنفقات الدولة الأخرى.

وكانــت طائفــة مــن بنــي قومنا وأذكر منهم خالي عبدالله بن موسى العضيب رحمه الله يذهبون إلى الهند من أجل جلب البضائع والمتاجرة بها لا مــن أجــل الإقامة في الهند، فكانوا يحملون بضائعهم في السفن حتى موانئ الجزيــرة العربية التي كان أشهرها العقير و(أبوعينين) وهو الجبيل الآن، ثم يحملونها على الإبل إلى نجد.

ويســتغرق ذلــك أكثر من شهر، وربما امتد إلى شهور لأن الاستعداد للسفر، والتأكد من أمن الطريق يحتاج إلى وقت إضافي.

فكانوا يجلبون من الهند أشياء خفيفة الحمل منها العطر والكحل والثياب الحريــرية، كما يجلبون أشياء ثقيلة منها صناديق من الخشب كبيرة مزخرفة بالمســامير والألــوان تحملها العروس معها إلى بيت زوجها لأنها تضع فيها ثيابها وما تحتاج إليه من أشياء أخرى مهمة.

وأذكــر أن والدتــي مد الله في عمرها فهي الآن في الواحدة والتسعين كانــت ولا تــزال تحــتفظ بــذلك الصندوق المجلوب من الهند واسمه عندنا (صــندوق سامان) وبعضهم يقول صندوق السامان، والسامان، كلمة فارسية معناها الأمتعة.

كمــا أننــي أدركــت ثوباً حريرياً عندها تحتفظ به ولا تلبسه هو ثوب العرس الذي زفت به إلى والدي وهو من الحرير مجلوب من الهند، ويسمونه (ثوب كين) ينطقون بالكاف ما بين اللفظ بالزاي والسين وأصله: صين، لأنه مــن الحريــر الفاخر الذي يؤتى به من الهند، ولكن أصل الحرير الجيد كان يعرف أنه يأتي من الصين.

وهذه من البضائع المحبوبة المألوفة لسائر الناس.

وأمـــا بعـــض الـــتجار فإنهم كانوا يجلبون السيوف من الهند ويسمونها الهـــندية، واحـــدها: هندي بمعنى سيف، وهذه عادة للعرب قديمة، فكانوا منذ العصر الجاهلي يسمون السيف بالهندي أو المهند.

إلا أن قومنا الذين كانوا يذهبون إلى الهند كثيراً ما يقتصرون على الوصول إلـــى بومبي فرضة الهند، بل بوابة الهند التجارية التي يوجد فيها كل ما يوجد في الهند من بضائع صالحة للتصدير، وقليل منهم من يتعداها إلى داخل الهند.

وعلى أية حال فإن الدافع إلى أسفارهم للهند هو الحصول على المال.

سبب الرحلة:

ونحـــن فـــي هذا الزمن الحديث قد من الله علينا بالمال وصلاح الحال، فأمر الأرض بـــأن تجـــود لـــنا من خيراتها ما فاق ما كانت السماء تجود به من مائها، وأعطانا من القدرة على استعمال المال في النفع العام حتى خضع ماء البحر الملح الأجـــاج فصـــار لنا عذباً زلالاً يروي ظمأ الظامئين في بلادنا، بل حتى يدخل إلى حماماتنا، ومواضع التنزه من بيوتنا، فضلاً عن الحدائق والمرافق الأخرى.

وكان من منة الله علينا أن جعلنا نقوم ببعض الواجب المفروض على أمثالنا من كوننا حملة الإسلام الأول وسدنة الحرمين الشريفين، فصرنا نذهب إلى مواطن المسلمين ومهاجرهم نحمل إليهم المال الذي يكون سبباً لصلاح الأعمال.

فكـــان للهـــند من ذلك نصيب، فكنا نعجب من تقلب الزمن العجيب، إذ صرنا نسافر إلى الهند لننفق المال لا لنكسبه، لأن الله تعالى أعطانا من المال ما لم نبذل جهداً شاقاً في تحصيله.

وكان لي من ذلك نصيب وأي نصيب سجلت بعضه في كتب لي عديدة كتبتها عن الهند وما حول الهند مما كان معتبراً عند القدماء من الهند، وإن لم يكـــن منها الآن مثل نيبال وكشمير وبلاد البنغال وحتى سيلان، مسقط قدم آدم كما يقول الأقدمون.

وهـا أنـا الآن مـتوجه مـن الـرياض إلى دلهي في أحضان هذه الطائرة السـعودية العملاقـة التي تشبه القصر الأسطوري الطائر الذي يحمل بين جوانحه فـئات الـركاب ومـا يلزم لهم من طعام وشراب يسابق الريح التي غدوها شهر ورواحها شهر فيجعل ذلك ظُهْراً، أو عصراً من يوم من أيام السَّفر.

وللسـفرة هذه أهداف عديدة أهمها الاشتراك في حضور ثلاثة مؤتمرات، أو نـدوات عامـة كلهـا إسلامية العمل والهدف، وكلها تلقيت دعوات لحضورها من أخـوة أعـزة طالما كرروا الدعوات لحضور مؤتمراتهم والاشتراك في ندواتهم، وذلـك لكونهم صاروا يعرفونني منذ سنين طويلة، ولسبب أهم من ذلك بكثير وهو أننـي الآن أشـغل وظـيفة (الأمـين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي) وهي مـنظمة سـعودية تدفع لها حكومتنا المال لأجل أن تنفقه على المسلمين وتيسر لها الأعمال التي تجعلها توثق الصلات مع الأقربين منهم والأبعدين.

والمـراد بـذلك البعد في المكان وإلا فإنهم كلهم في القرب من القلوب سيان، فكلهم إخوان تجمعنا بهم كلمة الإيمان، **(لا إله إلا الله محمد رسول الله)** وتوجد بيننا وبينهم سنة القرآن.

حتـى إننا نشعر أنهم في أعمالهم الإسلامية من تشييد المساجد، وإقامة المـدارس وطـبع الكـتب الإسلامية للدعوة إنما يقومون بشيء نحن معنيون بالقيام به، فكأنهم يقومون بذلك بالنيابة عنا، وإن كنا نشترك معهم في الواجب الإسلامي المفروض على كل مسلم فإننا نأمل أن نشترك معهم في الأجر الذي يصيب من عمل في هذه الميادين الإسلامية الجليلة.

ولـذلك كنت وما أزال أتحاشى أن أسمي ما نقدمه للإخوة المسلمين من مـال أو مصـاحف أو كتب مساعدة لأن الأمر ليس كذلك في الحقيقة، وإنما أسميه تعاوناً، لأنه تعاون ما بيننا وبينهم فمنهم الجهد، ومنا الإسهام بالمال كما قال تعالى **﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾**.

المهمة الأولى:

والمهمـــة الأولـــى من هذه الزيارة هي الاشتراك في الندوة التي تقيمها (رابطـــة الأدب الإســـلامي العالمـــية) تحت عنوان (أدب الدعوة والإصلاح) ومقـــرها مهم كموضوعها، لأنها ستقام في مدينة بهوبال عاصمة الأمير العالم الجلـــيل صـــديق حسن خان، إذ كان يحكم منها إمارة مسلمة يؤلف المسلمون أقلية بين سكانها.

وكـــان لعلمـــه وعملـــه بعلمـــه يفد إليه العلماء من سائر بلاد الإسلام، ويرحلون إلى بلده (بهوبال) للتعلم والاقتداء بسير علماء الهند العظام.

ويســـميه أهـــل الهند (النَّواب) صديق حسن خان، والنواب عندهم هو الذي يحكم إمارة في الهند، إذا كان مسلماً، أما إذا كان هندوكياً فإنهم يسمونه (راجا).

ولـــيس الشـــيخ صديق حسن خان من بيت إمارة، وإنما جاءته الإمارة بتزوجه النواب شاهجان بيقم التي كانت حاكمة على إمارة بهوبال وما يتبعها لأنها من بيت الإمارة.

ولـــيس هـــذا بموضع الكلام على هذا الموضوع، وإنما المهم في الأمر بالنســـبة إلـــيَّ أننـــي عضو في رابطة الأدب الإسلامي وقد وجه إليَّ رئيس الـــرابطة الشـــيخ أبوالحســـن الندوي الدعوة عدة مرات لحضور ندواتها، فلم يسعفني الوقت بذلك.

ولهـــذا بـــادرت في هذه المرة بالاستجابة عندما أتيحت لي الفرصة من الـــوقت، وحملت معي من رابطة العالم الإسلامي خمسة آلاف دولار أمريكي مساعدة من الرابطة لإقامة هذه الدورة.

وســـوف يمـــتد اجتماع الرابطة ثلاثة أيام من السبت ١١ أكتوبر حتى الاثنين ١٣منه.

المهمة الثانية:

حضـــور الـــندوة التعليمـــية والدعوية- نسبة إلى الدعوة إلى الله- التي سيقيمها معهد العلوم الإسلامية في مدينة كشن غنج في أقصى الشرق الشمالي من ولاية بيهار.

وذكـــروا أنـــه ســـيجتمع في هذه الندوة آلاف الرجال من العاملين في حقل الدعـــوة الإسلامية، ومن العلماء في ولايتي بيهار والبنغال الغربي خاصة، ولكنهم أخبرونـــي بأنه لا توجد رحلات جوية إلى تلك المدينة، وإنما يمكن السفر بالطائرة إلـــى مديـــنة (بغـــدو قره) ومن هذه المدينة يسافر المرء بالسيارة (٩٥) كيلومتراً ليصل إلى (كشن غنج) مقر الندوة.

المهمة الثالثة:

والمهمـــة الثالثة هي الاشتراك في المؤتمر العالمي للسيرة النبوية الذي تقـــيمه الجامعـــة السلفية في مدينة بنارس في ولاية (اترا براديش) التي تعني الـــولاية الشمالية وهي شمالية بالنسبة إلى ولايات الهند، غير أن موقع مدينة بـــنارس مـــنها يجعلهـــا تبدو في الشمال الشرقي من الهند، ولكن ولاية اترا براديش هي أكثر ولايات الهند سكاناً إذ يبلغ عددهم فيها ١١٢ مليوناً، وإن لم تكن أكبرها مساحة إذ أكبر الولايات الهندية مساحة هي (مادهي براديش) أي الولاية الوسطى وهي التي عاصمتها بهوبال التي فيها المهمة الأولى.

وســـوف نسعى للذهاب إلى ولاية آسام الشرقية المضطربة لا من أجل اضـــطرابها بطبيعة الحال وإنما من أجل الإطلاع على أحوال المسلمين فيها الذين لم أزرهم من قبل.

ولكن الاضطراب الحالي فيها الذي مرجعه إلى مطالبة جماعة من أهلها باســـتقلالها عـــن الهند جعل حكومة الهند تمنع ذهاب الأجانب إليها إلا بإذن خـــاص مـــنها، فهي ليست ولاية مفتوحة للسياح، بل هي إحدى ولايات أربع

مضـــطربة أولهـــا: ولايـــة البنجاب التي يقوم السيخ على المطالبة بها وطناً خالصـــاً لهم يسمونه (خالصستان) فخالص هي غير مشوب أي خالص للسيخ وستان بلاد مثل باكستان، والثانية ولاية كشمير التي عاصمتها سرنقر ويقوم المجاهدون المسلمون بالجهاد لاستقلالها عن الهند.

ومكـــان المهمتـــين الأولى والثانية معروف عندي وقد زرته قبل ذلك، ولـــذلك كانـــت الاســـتجابة إلـــيه مـــن أجل رؤية إخواننا هناك ومشاركتهم مهـــرجاناتهم العلمية، أما الثالثة فإنها في منطقة لم أزرها من قبل، وإن كنت زرت ولايـــة بـــيهار أكثر من مرة واشتركت في مؤتمرات ومهرجانات فيها منها المهرجان الذي أقامته الجامعة السلفية الأحمدية في (دربنقها) والمهرجان الذي أقامته الجامعة الإصلاحية السلفية في بتنه.

وأمـــا بنارس فإنني اعتبرها بمثابة بلدي لأنها مقر الجامعة السلفية في بنارس وسبق أن زرتها واشتركت في مؤتمرات فيها أكثر من مرة.

وقـــد ذكـــرت أمـــر تلـــك المؤتمرات والاجتماعات في كتبي المتعلقة بالرحلات الهندية.

ولن أذكر في هذا الكتاب إلاّ ما يتعلق بما رأيته في وسط الهند.

مدهي براديش:

ولاية مدهي براديش هي أكبر ولايات الهند مساحة، مساحتها تصل إلى ٤٤٣,٤٤٦ كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها ٦٦,١٣٥,٨٦٣ شخص، وتوجد فـــي هذه الولاية ٤٥ مديرية، وليست مكتظة بالسكان، وتتوافر فيها المناطق الجبلـــية المحاطـــة بالغابـــات بكثرة، ويسكن فيها ١٤٩ شخصاً في الكيلومتر المـــربع، وفـــيما يلي ذكر عدد المسلمين ونسبتهم بين السكان من إحصائيات ١٩٥١م إلى ١٩٨١م.

العام	عدد المسلمين	النسبة المئوية
١٩٥١م	١,٠٥٠,٢٩٨	٤,٠٣
١٩٦١م	١,٣١٧,٦١٧	٤,٠٧
١٩٧١م	١,٨١٥,٦٨٥	٤,٣٦
١٩٨١م	٢,٥٠١,٩١٩	٤,٨٠

ويسكن في مدهي براديش ثلاثة مسلمين من كل مائة مسلم في الهند، ويقدر أن عدد المسلمين فيها سيبلغ ٣,٣٠٢,٥٣٣ بزيادة نسبة المسلمين إلى ٢٢./. في إحصائيات ١٩٩١م، ويبلغ عدد المسلمين أكثر من ٢٠./. في مديرية واحدة فقط من مديريات مدهي براديش، وهي مديرية بهوبال، وفي أربع مديريات يزيد عددهم عن ١٠./.، وفي ١١ مديرية حوالي ٥./.، وفي ٢٣ مديرية حوالي ٢./.، وفي مديريتين أقل من ١./.

وتقع مديرية (بستر) في جنوب ولاية (مدهي براديش) الشرقي في منطقة بين ولاية أوريسا واترا ابراديش، عدد المسلمين فيها لا يزيد ١./. بشيء، وكذلك شأن مديرية آخرى، (راثي كراد) في الشرق بين ولايتي بيهار وأوريسا وعددهم أقل من ٢./. في أربع مديريات، راج ننذ غاون، وراثي فور، وتقع هذه المديريات الأربع في بس كراء، وهم أقل من ٣./. في مديريات غونا، ستنا (شاه دول) وشدهي، وبيتول وبالاكهات ودرغ.

وتقع هذه المديريات الأربع في (مالوه) وأكبر عدد مسلمي مدهي براديش في بهوبال، ولم تزل بهوبال من أهم مراكز المسلمين السياسية والحضارية في الهند الوسطى، وكان بلد (برهان فور) على شاطئ نهر تابتي عاصمة السلاطين الفاروقيين، كان عمره سلطان من السلاطين الفاروقيين في ذكرى خليفة الشيخ نظام الدين أولياء، الشيخ برهان الدين غريب رحمه الله، ولم يزل هذا البلد مركزاً حضارياً وثقافياً للمسلمين.

قال السيد عبدالحي الحسني والد السيد أبي الحسن الندوي في كتابه (الهند في العهد الإسلامي).

بهوبال:

إمارة في (مالوه)، مساحتها ستة آلاف وسبعمائة وأربعة وستون ميلاً مربعاً، وهـي بأيدي أسرة أفغانية من سلالة دوست محمد بن نور محمد ابن جان محمد- بالجـيم- ابـن خـان محمد- بالخاء المعجمة (الميرازي) (التيراهي)، قدم دوست محمـد سـنة ثمـان عشـرة ومائة وألف، ودخل بلاد (مالوه) في زمان الفترات، واستولى على كثير من القرى والبلدات، ومات سنة اثنتين وخمسين ومائة وألف.

وكـان ولـده (يـار محمد) عند موته بحيدر آباد عند آصف جاه، فلقبه بالـنواب، وولاه علـى (بهـوبال)، فقدمها واستقل بالملك ثلاثاً وثلاثين سنة، ومـات سنة سبع وستين ومائة وألف، فولى ولده فيض محمد، وامتدت أيامه إلى أربع وعشرين سنة، مات سنة إحدى وتسعين ومائة وألف، ثم ولي أخوه، حـياة محمـد، وهو عاهد الإنكليز بالسلم والاتفاق، مات سنة ثلاث وعشرين ومائتـين وألف، ثم ولي ولده (غوث محمد) وصار لعبة بيد وزير محمد بن شريف محمد بن فاضل محمد بن دوست محمد المذكور، واعتزل.

ومات وزير محمد سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف، فولى ولده (نظير محمد) وكان ختنا لغوث محمد المذكور، ومدته ثلاث سنين، مات سنة خمس وثلاثـين ومائتـين وألـف، ثم وليت زوجته (قدسيه بيكم) بنت غوث محمد المذكـور، وكانـت بنتها (سكندربيكم) ابنة سنة وثلاثة أشهر، فلما بلغت سن الـزواج زوجوها بجهانكير محمد بن أمير محمد بن وزير محمد المذكور، ثم خلعـوها، وولوا جهانكير محمد المذكور سنة ثلاث وخمسين ومائتين وألف، ومدتـه سـبع سـنين، مات سنة ستين ومائتين وألف، ثم وليت زوجته نواب (سـكندربيكم) بـنت (قدسيه بيكم) المذكورة، وامتدت أيامها إلى خمس عشرة سنة، وكانت تحسن الإدارة والسياسة.

ثـم ولـيت بنتها نواب شاهجهان بيكم، وتزوجت بعد ما توفي زوجها (باقـي محمد) بالسيد صديق حسن بن أولاد حسن الحسيني البخاري القنوجي

صـــاحب أبجـــد العلـــوم، فصار الحل والعقد بيد القنوجي مدة طويلة، وكانت صاحبة الفضل والكرم، وربة النعم، عمرت الديار، وأحيت المدارس العلمية، وبـــنت المساجد العظيمة، وقررت الرواتب للمحصلين، وأجرت أرزاقاً كثيرة على الفقراء والمحاويج، ولم تزل تساعد العفاة والواردين بمملكتها من الحجاج والمسافرين، توفيت سنة تسع عشرة وثلاثمائة وألف.

ثـــم وليت بنتها نواب سلطان جهان بيكم (سنة ١٣١٩هـــ وتوفيت في ذي القعـــدة ١٣٤٨هـــ) ولها ثلاثة أبناء، أكبرهم نواب نصرالله خان ابن نواب أحمد علـــي خان اللوهاروي وهو ولي العهد، (ومات سنة ١٣٤٣هـــ=١٩٢٥م)، فولى مكانـــه الـــنواب حمـــيدالله خان ابن أحمد علي خان المذكور سنة ١٣٤٥هـــ= ١٩٢٦م، وتوفى ١٣٨٠هـــ=١٩٦٠م، وألغيت الإمارة في عهده سنة ١٩٤٧م.

الرحلة الأولى

خريطة ولاية مادهي براديش

يوم الثلاثاء ١٤٠٧/٦/٦هـ/١٩٨٧/١/١م:

من بومبي إلى بهوبال:

كنت وصلت إلى بومبي البارحة في الثالثة بعد منتصف الليل، وحاولت الحصول على مقعد إلى بهوبال فلم أجده إلا في الساعة الواحدة ظهراً فنزلت فندقاً بجانب المطار ثم عدت إلى المطار في الحادية عشرة والنصف.

فانقضـــى أمـــر الترحيل بسرعة، وعافاني ذلك من الوقوف في الصف الطـــويل المعـــتاد عـــندهم أمـــام مكاتب الترحيل حيث الزحام، وحيث ينفث المدخنون الدخان أمام وجوههم ولا يبالون بمن كان قريباً منهم يكره ذلك.

وهذا أمر شائع في الهند حتى إن الطائرات الهندية التي ركبت فيها ليس فيها منطقة للمدخنين وأخرى لغير المدخنين كما نفعل نحن في طائراتنا وتفعله سائر الشركات العالمية.

وإن كانت بعض البلدان تمنع التدخين في الرحلات الداخلية داخل البلاد منعاً باتاً كالاتحاد السوفيتي الذي يمنع التدخين على رحلاته الداخلية كلها ولو طالت مدة السفر.

وأذكـــر أننا سافرنا من موسكو إلى طشقند في رحلة استغرقت أربع ساعات إلاّ ربعاً، ولم يسمحوا بالتدخين لأي شخص، وبقي الجو داخل الطائرة نظيفاً.

ومثل ذلك في الخطوط الاسكندنافية المسماة (ساس) اختصاراً فهي تمنع التدخين في الرحلات القصيرة داخل تلك الدول الاسكندنافية نفسها.

وربما كان السبب في عدم أخذ الهند بهذا النظام هو أن الجو ملوث في المـــدن الهندية بأشياء أخرى مثل أدخنة الحافلات والسيارات الكبيرة وأدخنة عـــربات الركشا، فضلاً عن الأدخنة المنبعثة من بيوت الأحياء الشعبية التي تســـتعمل الحطب أو الفحم أو حتى روث البهائم في الوقود إضافة إلى التلوث

الحاصـــل مـــن روائح المجاري في بعض المناطق كنهر المجاري في بومبي وحارة الدباغين فيها.

وعلـــى هذا يكون منع التدخين في الطائرات أو تحديد مكانه من التدقيق في أمور ربما لا يرون أن التدقيق فيها مهم.

كما أن السعال كثير في الأماكن المزدحمة، وربما كان سبب ذلك تلوث الهواء، أو ما قاله لي بعض أهل الهند: إن الإكثار من الفلفل في الطعام يسبب مرض الصدر.

ومع أنني لا أرى ما يربط بين مرض الصدر وأكل الفلفل فإنني أرجعت ذلـــك إلـــى ما قد يحدث للمرئ الذي هو الموصل إلى المعدة من أذى نتيجة تكرار مرور الفلفل الحار منه.

وأكـــل الفلفـــل في الهند يحتاج إلى فصل خاص للكلام عليه، ربما يأتي فيما بعـــد إن وجـــدت له مناسبة، ولكن الذي يسترعي الانتباه أن الإشراق الموجود في بعـــض وجـــوه القوم الذين يقطنون بلداناً تماثل في جهة وقوعها على خط العرض بعض البلدان الهندية هو قليل إنْ لم نقل: إنه معدوم عند أكثر الهنود.

غـــادرت الطائـــرة مطـــار بومبي في الواحدة والنصف ظهراً قاصدة (بهـــوبال) وسوف تحط في مدينة إندور قبل بهوبال، وذكروا أن المسافة إلى اندور ستكون ٥٥ دقيقة.

وهـــي مـــن طراز بوينغ ٧٣٧ مليئة بالركاب الذين كلهم من الهنود من الطـــبقة المتوســـطة والغنـــية، ولا تكـــاد ترى فيهم أحداً من غير أهل الهند، وأكثرهم مما يظهر من ألوانهم من أهل المنطقة الوسطى في الهند أو من أهل الشمال الأدنى إليها.

وأســـرعت المضـــيفات بـــتقديم الغداء في علبة من الورق المقوى فيها شـــطيرة مـــن الجبن على هيئة (ساندويتش) وفطيرة صغيرة داخلها خضرات

تشـــبه الفاصـــوليا ولفافة صغيرة من القصدير فيها حلوى من الأرز المحلى بالسكر ثم كأس من شراب البرتقال.

وليس في الوجبة شيء من اللحم وبهذا استراحوا من سؤال كانوا كثيراً ما يرددونه على الركاب إذا كانوا وضعوا في الطعام قطعة صغيرة من اللحم وهـــو هل أنت نباتي (فيجبيتريان) فإن قال الراكب: نعم، أعطوه طعاماً ليس فيه لحم وإن قال لا أعطوه هذا الذي فيه قطعة صغيرة من اللحم.

ولم يقدموا في الرحلة شاياً ولا قهوة، ربما كان ذلك اكتفاء بشراب البرتقال.

وقـــد ران ســـحاب كثيـــر على الأرض بعد القيام حرمنا من رؤيتها وعندما انقشع بعضه كانت الطائرة قد ارتفعت بحيث لم يمكن تمييز ما تحتها من الأرض.

مدينة اندور:

إنـــدور مدينة مهمة من مدن وسط الهند تكاد تكون الآن هندية خالصة، لأن الهـــنادكة يولفون الأكثرية الكاثرة من سكانها البالغ عددهم مليوناً ونصف الملـــيون من النفوس وليس فيها من المسلمين إلاّ ١٥٠ ألف نسمة، ومع ذلك فإن فيها مائة وعشرة من المساجد.

ومـــع عـــدد السكان الكبير فيها وكونها أكبر مدينة في ولاية مادهي براديش أي الـــولاية الوســـطى فإنهـــا ليســـت عاصمة الولاية، وإنما عاصمة الولاية هي (بهـــوبال)، وذلك حسب الشروط التي تنازل فيه نَوّاب بهوبال وهو حاكمها المسلم للحكـــومة الهـــندية المركـــزية في زمن حكم جواهر لال نهرو، إذ كان اشترط أن تبقـــى بهـــوبال عاصمة الولاية وكانت منطقة (اندور) قبل ما يقرب من أربعمائة ســـنة مركزاً من المراكز المهمة للمسلمين في الهند، حيث كانوا يحكمونها، وكانت عامـــرة بالمـــدارس ودور العلـــم الحافلـــة بالعلماء الأعلام الذين انتشروا فيها إلى أنحـــاء عديدة من بلدان الهند، كما كانت الحركة التجارية فيها بأيدي المسلمين إلى عهد قريب، ولا يزال فيها- حتى الآن- تجار مسلمون معروفون.

وقد رأيت أن أنقل هنا رسالة بعثها علامة الهند السيد أبو الحسن الندوي إليَّ تتعلق بماضي هذه المنطقة من باب التعريف بها قبل أن أراها واتتبع أخبارها.

قال السيد أبوالحسن الندوي في الرسالة:

هـــي قصـــة أيام كان المسلمون فيها أسياد هذه البلاد، ولا تزال مآثرهم الإســـلامية تشـــهد على مر الزمن ما صنعوا لهذه البلاد وما فعلوا للسلمين والإسلام خاصة.

وهـــذه (مادهـــيه بـــاراديش) كبرى أقاليم الهند مساحة، تقع في وسطها مـــنطقة تسمى (مالوه) وكانت هذه المنطقة أيام الحكم الإسلامي مركزاً كبيراً للعلـــوم الدينـــية الإســـلامية، وهنا قامت حكومة إسلامية كانت خادمة للدين الإســـلامي والعلـــوم الإسلامية في القرن التاسع الهجري، عاصمتها (ماندو) وطـــبق صيتها الآفاق وهذه الدولة التي دامت تسعين عاماً تعرف في التاريخ بالعصـــر الذهبـــي لهذه المنطقة، ونشأ في هذا العصر رجال من خيرة رجال العلـــم والـــدين والدعـــوة، ولأجل تعهد الدولة الإسلامية على مصالح العلم و العلمـــاء اجتمع عدد كبير من أصحاب المواهب والذكاء والعلم والتقي فنفعوا وانتفعوا، نقرأ ذكرهم في كتاب (كلزار ابرار) يعني مجموعة تراجم الصالحين لمـــؤلفه الشـــيخ محمـــد حســـن الغوثي، وانتشر العلم والصلاح في المناطق المجاورة لهذه الدولة مثل سارنج بور، واجين، كما كانت (بهوبال) آخر مركز للعلم والتربية الإسلامية.

ثـــم استدار الزمان كهيئته أصبح فيه الأعزة أذلة وكان المسلمون الذين يملكـــون كـــل شـــيء أصـــبحوا لا يملكون شيئاً ولم تقم قائمة للمدن العامرة المعـــروفة في الهند في ثقافتها وكونها مراكز دينية مثل لكهنو ودلهي فما بال (مالوه) تلك المدينة البعيدة عن مراكز الحكم الإداري ومراكز الجامعات، وإن كانـــت قـــد لعبت دوراً مجيداً في خدمة العلم الديني، وخلاصة القول إن هذه

المـــنطقة التي كانت في أيام ماضية مقصداً لرواد العلم والدين أصبحت قفراء كـــأن لـــم يكن فيها علم ولا دين وكأن لم تكن في هذه المنطقة قلعة دينية بل قلاعاً دينية تزاهي كبرى مراكز العلوم الدينية في الهند.

ولقد شاء الله سبحانه وتعالى في الأيام الأخيرة أن ينشأ فيه رجال فكروا فـــي استعادة المجد الديني لهذه المنطقة واحياء التراث العلمي، وهذه الجهود مســـتمرة بفضـــل الله وقـــوته في (بهوبال) و(أندور)، وقد أصبحت (بهوبال) معـــروفة في خدماتها للدين والدعوة، أما مدينة (أندور) التي هي كبرى مدن الإقلـــيم في التجارة والصناعة وتقع على ملتقى الطرق الكبرى المتفرعة إلى بومبائي وآغره، ولها أهمية كبيرة في التجارة والصناعة.

وقد قيض الله للإسلام أخا لنا في الدين شاباً ذا نشاط وحيوية ليقوم بإنشاء مركـــز للـــدين فـــي هذا البلد، وهذا الرجل الصالح وهو القاضي أبو البركات الفاروقي خريج ندوة العلماء والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، عريق في النســـب وحـــافظ للقرآن الكريم بظهر القلب، وعالم وخطيب له مكانة في قلوب الأهالـــي ونشـــاطه للـــدين ملحـــوظ بدأ بعلمه في بيت صغير استأجره إلى أن اســـتطاع أن يجلب أنظار المسلمين إلى أهمية العلوم الدينية، أعماله تنمو وتكبر فالعمـــل الديني بدأ بمدرسة ابتدائية توسعت إلى مستوى (المتوسطة) ووفق الله المسلمين أن يقطعوا لهذه المدرسة عشرة هكتار، وذلك في عام ١٩٧٢م.

وإنـــي قمت بزيارة هذا المركز والمعهد عدة مرات، قابلت فيهما العاملين والمشـــرفين علـــيهما، ووجـــدت أن إمكانيات واسعة لتوسعة هذا المعهد وجعله جامعـــة إســـلامية فعـــند العاملـــين طمـــوح ومعنوية عالية ومشاريعهم كبيرة، وبالإضـــافة إلـــى صفوف مدرسية لتحفيظ القرآن الكريم والعلوم الدينية مشروع لفـــتح شعبة للصناعة، وأخرى للبنات المسلمات، وقد تم شراء قطعة أرضية لكل مـــن المشروعين تبلغ مساحتها سبع هكتارات، ويهدف القائمون على هذا المركز إنشـــاء مركـــز ديني كبير بجانبه مدرسة صناعية راقية حتى يستطيع خريج هذا

المعهد أن يكسب قوت يومه بعرق جبينه وكد يمينه، وبخدمة يحتاج إليه الإنسان عـن طـريق الصناعة، وفي الوقت نفسه يكون داعياً إلى الله مرشداً إلى طريق الحـق هادياً إلى سبيل النجاة عالماً فقيهاً متفقهاً يخدم الدين وأهل الدين لله راضياً ومحتسـباً لا يـرجو من وراء خدماته من الناس شيئاً، إلا الأجر من الله سبحانه وتعالـى، فهذا المركز في حاجة ماسة إلى التشجيع وهناك عوامل أخرى يفرض عليـنا جمـيعاً أن نشـجعهم ونشـد أيـديهم لأنهم يدافعون عن العقيدة السلفية الصـحيحة، وأنا ألفت أنظار أهل الخير والبر ممن وفقهم الله أن يتبرعوا بسخاء لهذه المآثر الإسلامية لرقيها وإكمالها، ولتؤتي أكلها بإذن الله ومشيئته تعالى.

إن الله لا يضيع أجر المحسنين.

أبو الحسن علي الحسني الندوي

هـذا وسيأتي الكلام على هذه المدرسة عندما نزورها في الرحلة الثانية بإذن الله.

في مطار اندور:

تقشع السحاب قبل الوصول إلى (اندور) فكانت الأرض من تحتنا عندما أخذت الطائرة في التدني معمورة، بل مغمورة بالعمارة من زراعة وقرى، إلاّ أن التخطـيط فيها ليس وفق المقاييس التي يألفها الذوق الحديث في التخطيط، وهذا أمر طبيعي إذْ هي قديمة العمارة.

وكان أهم ما يلفت النظر نهراً واسع المجرى، وإن لم يكن غزير المياه كمـا نراه الآن عليه عدة قرى ذات بيوت غير بهيجة، واخترق مجرى النهر أرضـاً صخرية على ظهرها زراعة حقلية، وأما ما بعد عن النهر فإنه تظهر عليه من البعد الطبيعة الشبيهة بالصحراوية، وبخاصة على أشجار فيه كبيرة تشبه الطلح الصحراوي الكبير.

ثم وصلت الطائرة إلى متسع من الأرض خصب يشقه خط أزفلتي يكاد يكون وحيداً فيما يرى من الطائرة وبجانبه خط للسكك الحديدية.

وقرب مدينة (اندور) بدت بيوتها ذات سقوف مسطحة مما قد يعطي انطباعاً بأنها ليست من البلدان المطيرة، وإلا لكانت بيوتها مسنمة السقوف، وملعب رياضي بارز، ثم قسم حديث من المدينة يتألف من دارات (فيلات) ذات حدائق.

نزلت الطائرة في الثانية وخمس عشرة دقيقة ظهراً في مطار قصير المدرج مما اضطر الطيار إلى أن يضغط بقوة على كوابح السير في الطائرة (الفرامل) وتجلت طبيعة الأرض فيما حول المدارج، حيث كانت تعلوها حشائش كثيفة جافة مما يدل على أن المظهر الصحراوي في المنطقة البعيدة عن المدينة ناتج عن أرض من أراضي الرعي التي جف عشبها بعد الربيع، وقد رأيتهم في منطقة من الريف أحرقوا الأعشاب والأشجار البرية تمهيداً لزراعة الأرض.

ولم يكن مبنى المطار مناسباً لكبر المدينة التي رأيناها من الطائرة، بل كان صغيراً ولم تطل الطائرة المكث في هذا المطار، وإنما غادرته في الثالثة ظهراً أي بعد ٣٥ دقيقة من وصولها وقد نزل عدد كبير من الركاب وصعد إليها أقل من الذين غادروها.

وأعلنت المضيفة والطائرة تهم بالنهوض من الأرض أن الطيران من (اندور) إلى (بهوبال) سيستغرق ٢٥ دقيقة.

ولم تغب القرى عن أعيننا طيلة الطيران ما بين أندور وبهوبال مما يدل على كثافة السكان في المنطقة.

في مطار بهوبال:

قبيل النزول في مطار (بهوبال) كان المنظر منظر المنطقة المزروعة، ولكن الزراعة فيها غير شاملة بمعنى أن هناك أماكن غير مزروعة بسبب عدم صلاحيتها للزراعة أو بسبب تركها قصداً دون زراعة من أجل إخصابها.

ومـــنازل القـــرويين تبدو من الطائرة غير بهيجة أي ليست بذات طلاء بهيج ولا ســـقوف جيدة المنظر، وشاهدنا بحيرة صغيرة بجانبها قرية صغيرة أيضاً ذات مـــنازل أكثرها مسطحة السقوف وبعض الأماكن يبدو منظرها كمنظر الصحراء، وتبين أنها حقول من حقول القمح الحصيد أو من الأعشاب الجافة.

وحطـــت الطائـــرة في (بهوبال) فكانت المدارج محاطة بحشائش كثيفة جافـــة ممـــا يدل على أن المنطقة تشهد ريفاً أخضر غير أن الوقت الآن ليس وقت اخضرار العشب.

وأعلنت المضيفة أن الحرارة في (بهوبال) ٢٥ درجة مئوية.

إلا أن المطار صغير ضيق المدارج.

وصـــلنا إلـــى أبنية المطار التي هي صغيرة ولكنها نظيفة فبحثت عن مكتب للسائحين فيه فذكروا أنه مغلق الآن فسألت أحد الموظفين أن يدلني على فندق مناسب فأعطاني أسماء عدة فنادق، ولم أكن على ثقة من قوله، لأنني لا أدري عن حسن اختياره.

وكـــان أول مـــا يلفـــت النظـــر عندما يصل المسافر إلى مطارهم أن الموجـــودين مـــن أهـــل البلاد ليسوا في السمرة مثل أهل الجنوب الذين كنت عندهم في الأيام الماضية حتى إن بينهم وبين أهل حيدر آباد فرقاً في الألوان ما عدا سكان الحواضر في حيدر آباد فإن سمرتهم ليست بالغة.

وأمـــا أهـــل مـــدراس عاصمة ولاية (تامل نادو) أي ولاية التامل فإن سمرتهم قائمة جداً بالنسبة إلى هؤلاء.

وحتى بالنسبة إلى تقاسيم الوجوه فالوجه الهندي الأصيل المعروف لدينا في الحجاز الذي هو مستطيل نحيل هو السائد هنا بخلاف الجنوب.

والأمتعة في هذا المطار ليس لها سير طويل متحرك، وإنما توضع فوق منصة يتناولها الناس منها بأيديهم، وحتى المستقبلون كانوا قلة في المطار.

في مدينة بهوبال:

خرجت من المطار أجر حقيبتي ولا أدري أين أذهب إذ لم أقرر الفندق الـــذي ســـأنزل فـــيه، وإذا بي ألمح مسلماً عرفت إسلامه من ثيابه وقلنسوته (طاقيـــته) فسلمت عليه أريد أن أسأله عن الفندق فلمحت بيده مفتاحاً فقلت له أأنت سائق سيارة أجرة؟

فقال: نعم، فقلت له: أريد أن أذهب معك، فقال: لكني ترتيبي هو الثاني، أما الأول فهو هذا وأشار إلى شخص هندوكي واقف عند سيارة.

فقلت له، لا أريد أن أذهب مع غيرك، ثم كلمت الذي قبله وقلت له، إنني أريد أن أذهب مع هدا الشخص خاصة فهل تسمح له بأن يحملني قبلك؟

فقال: لا بأس.

منظر عام لمدينة بهوبال

وتبين بعد ذلك أن هذا الرجل المسلم صار نافعاً لي في كل رحلتي ولم أتركه حتى غادرت (بهوبال).

قال الرجل: اسمي (شوكت علي) وأنا مسلم منضم إلى جماعة التبليغ.

قال: ومن الغريب أنه لا يوجد مسلم بين سائقي سيارات الأجرة في المطار يعرف الإنكليزية غيري، وكان يتكلم الإنكليزية بطلاقة نفعتني كثيراً.

وذكر اسم فندق لم يذكره الآخرون اسمه (تاج هوتيل) دون كلمة محل، وقال: هو فندق للمسلمين وهو جيد ونظيف ويقصده كثير من السياح الأجانب.

قال ذلك وهو ينطلق بي من المطار إلى الفندق في قلب المدينة على سيارته الصغيرة من طراز فيات الإيطالي في الأصل ولكنها مصنوعة في بومبي.

شارع الحميدية:

وصلنا شارعاً واسعاً مغلق الجانبين، جيد الحوانيت، من حيث السعة ووفرة البضائع فيها قال لي السائق: إنه من أهم الشوارع التجارية في المدينة واسمه (حميدية رود) أي طريق الحميدية أو شارع الحميدية، وهذه أقرب إلى صحة تسميته، لأنه ليس طريقاً واسعاً مزدوجاً، بل هو شارع وسط المدينة، وذكرت شارع الحميدية في دمشق، وذكرت قول الشاعر:

وقد تلتقي الأسماء في الناس والكنى كثيراً ولكن لا تلاقى الخلائق

فشارع الحميدية هنا تسير فيه بالدرجة الأولى سيارات الشحن والحافلات الكبيرة التي تنفث الدخان شانه في ذلك شأن سائر الشوارع الرئيسية في داخل المدن الهندية، وتساعدها على نفث الدخان وعلى تنمية الضجة عربات الركشا التي تسير بمحركات، فهي تقرقع عندما تسير وتكون كذلك بأعداد كثيرة نافثة أدخنتها أيضاً.

والشارع نفسه رغم كونه ازفلتياً فإنك لا تكاد ترى الازفلت على جانبيه اللذين لا تسير عليهما السيارات لوجود غبار من غبار الشوارع فيها ما أن تسير حوله سيارة مسرعة أو حتى عربة ركشاوية إلا ويتراقص متطايراً في الجو.

حللـــنا في فندق التاج وهذا اسم جميل لأنه يذكر المسلم بحكم المسلمين الشامل في الهند الذي كان في آخر عهده ممثلاً في حكم المغول وفيهم أباطرة صالحون، بل عظماء في إسلامهم مثل أورنزيب الملقب بعالمقير.

شارع (الحميدية رود) في بهوبال

أعطونـــي غـــرفة واسعة بمائتين وثمانين روبية ويساوي ذلك نحو ٢٤ دولاراً أمريكياً، والفندق جيد المدخل والأبواب، نظيف المرافق والأثاث مبني علـــى الطراز المغولي ولكن غرفه ليست فاخرة، وغرفتي التي أنزلوني فيها تطـــل علـــى شارع الحميدية من شرفة واسعة فيها باب ونافذة، ولذلك وجدت الفراش فيها وغيره قد أصابه الغبار الدقيق الذي دخل مع النافذة.

وقـــد وجـــد لي الموظف هذه الغرفة وقال: إنها محجوزة لما بعد الليلة فقلت له، إنني يمكنني أن أتدبر أمري بعدها.

وطلـــبت في الغرفة ماء مغلياً للشرب لأنهم هكذا يصفون الماء الصالح للشرب بأنه المغلي في جميع أنحاء الهند تقريباً ويأتونك به مبرداً بعد غليه من أجـــل أن يقتل ما قد يكون فيه من ميكروبات، ولا يثق السائح أو حتى الرجل الغني منهم بالماء الذي يشربونه من صنابير المياه.

ثـــم طلبت شاياً سليمانياً وهو أقرب أنواع الشاي عندهم إلى الشاي الذي نشربه فهو يكون خفيفاً ودون أي حليب، وبخلاف الشائع في الهند الذي يكون ثقيلاً أسود اللون قد غلي أكثر من مرة ويضيفون إليه الحليب من أجل مقاومة أثره على المعدة، كما يكثرون من السكر فيه حتى يقاوم ذلك مرارة طعمه.

جولة في مدينة بْهُوبال:

بعـــد اســـتراحة قصيرة خرجت في الرابعة والنصف مع الأخ (شوكت علـــي) بجولة في سيارته على مدينة بهوبال وطلبت منه أن يشرح لي كل ما يحـــتاج الســـائح إلى معرفته، فهو خبير بذلك لكونه سائق سيارة أجرة، وهو أيضـــاً مـــن أهل هذه المدينة، وأصل اسمها (بهوج بال) تطور إلى بهوبال، ذكروا في أصله أن بهوج اسم ملك بنى جسراً على نهر هناك.

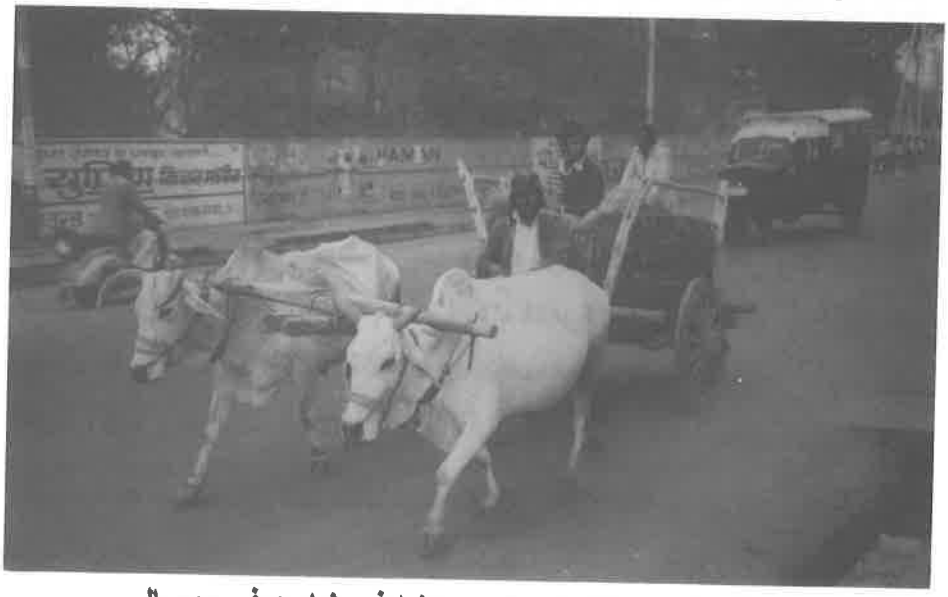

عربة الثيران خلفها موتور ركشا في شارع في بهوبال

اخترقنا (شارع الحميدية) أو (حميديه رود) الذي هو منسوب إلى النواب حمـــيد الله خان آخر ملوك المسلمين على بهوبال هذه وما حولها، وعلى كثرة عربات الركشا التي تعمل بالمحرك في بهوبال كلها فإن عربات الركشا التي

يجـــرها الآدميون الموجودة في كلكتا ليست موجودة هنا ومحرم استعمالها في هـــذه المدينة، ثم اخترقنا شارعاً أسميته أنا شارع المجاري لأن قنوات المياه المســـتعملة، والمجـــاري موجـــودة على جانبي الشارع مكشوفة إلا ما حاذى أبـــواب المـــنازل أو الحوانـــيت فإنهم يضعون عليها غطاء من الحجارة أو الأخشاب لكي يمر الداخل فوقه.

وذلـــك مثل ما هو موجود في شوارع معظم البلدان الاستوائية مع أن بهوبال ليست استوائية، بل هي بعيدة جداً عن المناطق الاستوائية كما هو ظاهر.

قال السيد عبدالحي الحسني في (الهند في العهد الإسلامي ص١١٧):

بهوبال- بضم الباء الفارسية، وسكون الهاء والواو، وفتح الباء الهندية: بلدة كبيرة ذات أسواق وجوامع وحدائق، يسكن بها أمير تلك الناحية، وفيه قال مولانا صديق حسن القنوجي:

وصلت حِمَى (بُهْوبال) – يا نفس- فانزلي

فقـــد نلـــت مأمـــول الفـــؤاد المعَوَّلِ

أقول: الهاء فيها ليست هاء واضحة وإنما تشبه الشهقه الخفيفة، ولذلك لا يلتقطها السامع من أفواههم في بعض الأحيان فيخيل إليه أنه بوبال بدون هاء.

واختـــرقنا شـــارعاً رئيسياً من شوارع بهوبال اسمه (سلطانة رود) أي طريق سلطانة، وسلطانة هذه هي (سلطانة شاه جهان) بيقم: من زوجها الأول قبل صديق حسن خان، والترجمة الحرفية لاسمها (سلطانة جهان) وهذه ليست مـــراداً فـــي الأصـــل، وإنما هو نقل لمعنى هذه التسمية مثل (شاه جهان) أي سلطان العالم.

الملك الذي لا يزول:

علـــى ذكـــر (شاه جهان) نقول: إننا مررنا بمبنى جيد اسمه (تاج محل

بهـــوبال) قـــد تأنقـــوا في بنائه وبالغوا في ذلك واسمه على اسم (تاج محل) المشهور في اقرا قرب دلهي، ولكنهم هنا أضافوه إلى بهوبال.

تاج محل الذي بنته شاه جهان بيقم مقراً للإدارة ثم بنت مقابله (تاج المساجد)

وهو الآن مقر لعدة دوائر حكومية.

ويقال: إن والدة السلطان (حميدالله خان) رأت فيما يرى النائم أن ملكهم ســيزول، وأن هــذا المبنـــى الـــذي بالغوا في بنائه وهو (تاج محل بهوبال) سيتسلمه غيرهم.

فلمـــا انتبهت من نومها وفكرت في أمرها رأت أن تبني شيئاً لا يزول بمعنى أنه لا يتولى عليه الأعداء فيأخذونه منهم، ويصرفونه عن وجهه الذي أرادوه له.

ثـــم عزمت على أن يكون ذلك مسجداً ضخماً تلحق به مدارس وأماكن لطلـــبة العلـــم، ودارسي علوم الشريعة، فبدأت ببناء مسجد عظيم أسمته (تاج المساجد) على اسم (تاج محل بهوبال) ونحن ذاهبون إليه الآن.

بحيرة تاج المساجد:

بحيرة الوضوء بجانب تاج المساجد في بهوبال تنعكس عليها صورة المسجد

كـــنا نســـابق الشمس قبل أن تغرب لنرى (تاج المساجد) فيما تبقى من عمر النهار هذا اليوم لأن الانتظار برؤيته إلى غدٍ أمر لا أطيق الصبر عليه.

فوصـــلنا قبل الوصول إليه بحيرة واسعة تنعكس عليها منارات المسجد وتقـــع جهة الشمال منه في منظر رائع يملأ النفس بالمشاعر الجياشة، وربما صـــحت تسميتها بتاج البحيرات لو لا أن البحيرات بطبيعتها منخفضة، وذلك لكـــونها بجانب مسجد تاج المساجد وحفرت من أجل الوضوء فيه، وإن كانت تنزل عنه كثيراً.

فالتقطت صورة عجلى لهذه البحيرة التي حفرت قبل حوالي مائة سنة، ولا تـــزال باقية عامرة حتى الآن، وإن كانت حكومة الولاية تنازع المسلمين ملكيتها، إذْ تقول إنها ليست تابعة للمسجد، وإنما هي ملك عام.

والغريب أن بحيرة الوضوء هذه رغم اتساعها الذي يبلغ أكثر من ثمانية آلاف متر مربع لا تزال باقية، وذلك لكون مستوى الماء في الأرض ثابتاً أو شبيهاً بالثابت، وتأتي أمطار موسمية في أوقات محددة فتغذي الأرض بمياهها كما هو معروف في أرض الهند.

وقـد مـررنا داخل مدينة بهوبال بالمساجد المشرفة على عدد من الشوارع والأحـياء، وذلـك أن هذه المدينة كانت مدينة مسلمين يحكمها ملوك أو نواب كما يسـمونهم مـن المسلمين مثلها في ذلك مثل مدينة (حيدر آباد) التي ترى المساجد فيها كثيرة قوية البنيان، تشهد بقوة الدولة الإسلامية التي كانت تحكمها.

وذلـك رغـم كـون عامـة السكان في المملكتين كلتيهما هم من غير المسلمين، ولا يؤلف المسلمون إلاّ أقلية عددية بينهم.

وقد قال لي الأخ (شوكت علي) وغيره من المسلمين: إنه ربما بلغ عدد المساجد في القسم القديم من مدينة بهوبال مائتي مسجد.

مسجد موبتي:

مـررنا على مسجد موبتي في قلب المدينة التجاري غير بعيد من (تاج محـل بهـوبال) ويطل بمناراته الرشيقة وقبته الجميلة على ناصيتي شارعين مهمـين صـورتهما، وقد بنت المسجد سيدة فاضلة هي (اسكندر جهان بيقم) والدة شاه جهان بيقم.

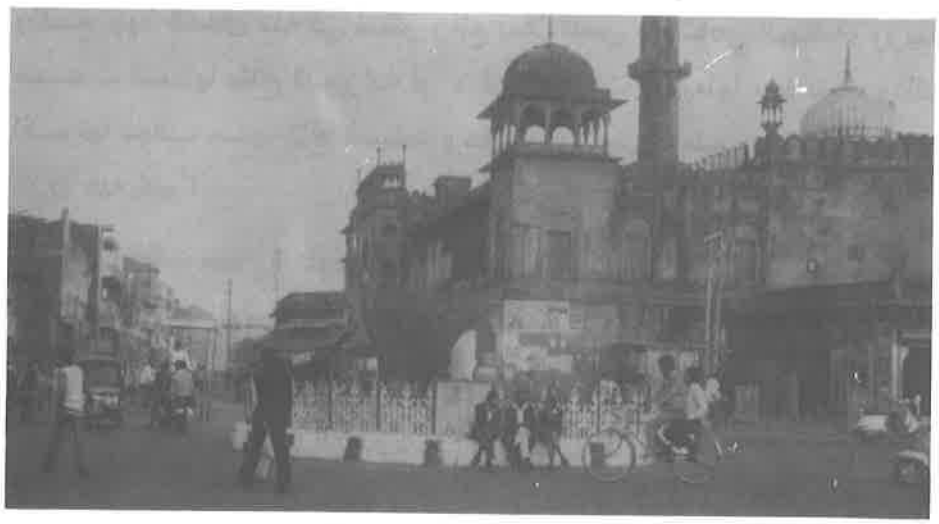

مسجد موبتي في بهوبال

وبقـربه بـناء سري ظاهر اسمه (أمير صدر منزل) أي منزل رئيس

الأمراء أو الأمير الكبير، ولا يزال يسمى بهذا الاسم الذي كان بقية من أسماء أطلقت في عهد الحكم الإسلامي، ولا يزال أكثرها باقياً، وإن اختفت معانيها.

فصـــدر الأمراء أو رئيسهم قد اختفت وظيفته منذ أن استولت الحكومة الهندية على هذه المملكة الإسلامية في قلب الهند.

وكانـــت هـــذه المنطقة من المدينة التي تقع فيها هذه الأماكن، بل المآثر الإســـلامية منطقة إسلامية ولا يزال كثير من المسلمين يقطنون فيها، وسيأتي ذكر عدد المسلمين في بهوبال.

ولذلك يرى المرء وجود المسلمات ظاهراً في المدينة ولا زلن متمسكات بغطاء أسود خفيف يوضع على الوجه.

وأيـــنما توجه المرء في هذه المدينة يرى مآذن المساجد تؤنس وحشته، وتســـتثير همته لمساعدة الإخوة المسلمين في الهند على المحافظة على مالهم مـــن مجـــد قديم فيها إذا كان ذهب منهم في ميدان السياسة، فإنه لا ينبغي أن يذهب في ميدان الثقافة.

ويرى المرء الغريب الذي قدم لتوه من مدن هندية مزدحمة مثل بومبي أو حتـــى حيدر آباد أن الزحام هنا ليس شديداً رغم شكوى السكان منه، سواء في ذلك العربات أو السيارات أو الأناسي، بل حتى المواشي إذْ ترى المواشي من الأبقار والماعز موجودة في بعض الشوارع.

ميدان أمام جامع موبتي في بهوبال

وأما السيارات فإن نسبتها كثيرة هنا، ويظهر لمن يقدم إلى المدينة، أنها أغنى أو إن شئت الدقة قلت: إن الناس فيها أقل فقراً من الناس في حيدر آباد، فضلاً عن عامة الناس في بومبي التي إذا استثنينا طائفة قليلة فيها من الأغنياء المترفين فإن سواد الناس والمراد بذلك هنا عامتهم وليس سواد لونهم، وإن كان شيء من ذلك موجوداً بكثرة هم من الفقراء وبعض هؤلاء من الفقراء المدقعين الذين لا يملكون حتى غرفة يسكنون فيها، وإنما يسكنون في أرصفة الشوارع كما ذكرت ذلك في كتاب (في غرب الهند).

مع أن نظرتنا هذه هي نظرة سطحية بمعنى أنها تنظر إلى المظاهر دون الحقائق والمظاهر هنا هي مظاهر التحسن في النظافة والنضارة في الوجوه، وعدم لبس الملابس المهلهلة بالنسبة إلى كثير من المدن الهندية التي زرناها.

وقد قال لي إخواننا: إن حالة المسلمين الآن في تأخر إذا نسبناها إلى ما كانوا عليه عندما كان حكم هذه البلاد بأيديهم، وهذا أمر ظاهر، يتجلى في قلة عددهم في وظائف الدولة.

قالوا: وذلك له سببان ظاهران أولهما: أن الحكم الآن بيد الأكثرية من الهنادك الذين سيؤثرون بطبيعة الحال- أبناء مذهبهم إن لم نقل أبناء جلدتهم بالوظائف التي يوكل إليهم النظر فيمن يشغلها.

وأمر آخر مهم وهو أن المسلمين أقل حصولاً على الشهادات العليا من الهنادك في الوقت الحاضر.

وهذا لا يمنع من كون المسلمين يوجد منهم موظفون كبار في الدولة ومنهم متعلمون تعليماً عالياً، بل أعلى ولكن ذلك على قلة.

العلاقة بين المسلمين والهنادك:

هذا الحديث عن المسلمين هنا وهم أقلية عددية اختلف في نسبتها في مدينة (بهوبال) نفسها بما بين ٤٠./. و٣٠./.، وأما في الأرياف فإنهم حوالي

٧٠/. ، ويـــبلغ سكان بهوبال مع ضواحيها مليون نسمة، ربما ناسب أن نذكر كلمة عن العلاقات ما بين المسلمين وبين الهنادك وينبغي أن يكون الكلام في هذا الموضوع منصباً على ما يسمى بالاضطرابات الطائفية أي القتال ما بين المســـلمين والهـــنادك الذي هو معروف في بعض مدن الهند في شمال البلاد ووســـطها مثل (أحمد آباد) عاصمة ولاية (كوجرات) بل مثل مدينة حيدر آباد وهي عاصمة ولاية جنوبية كان يحكمها مسلمون.

وبهـــذا القياس نقول: إن العلاقات بين الطرفين هنا هي جيدة رغم كون البلاد كانت تحكم من قبل المسلمين.

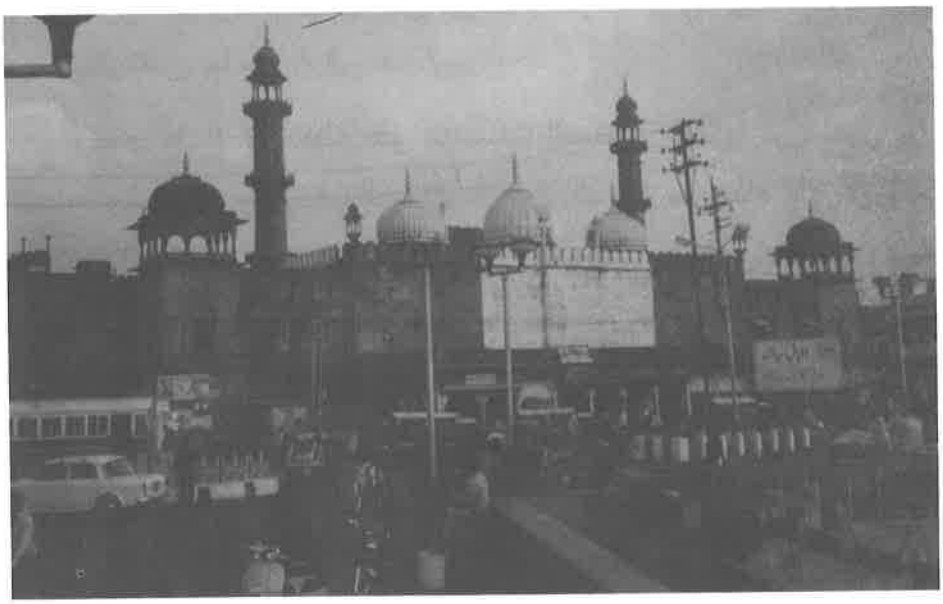

أحد المساجد القديمة في مدينة بهوبال

ويـــرجع أهل (بهوبال) ذلك إلى كون الحكم انتقل من المسلمين إلى الهنادك بصفة سلمية أي دون حرب بناء على أن الهنادك تمثلهم الحكومة الاتحادية الهندية التـــي يفتـــرض افتراضاً أنها ليست حكومة هندوكية، إنما هي حكومة تمثل عموم السكان في الهند وبخاصة أنها تعلن أنها حكومة علمانية لا دينية.

وذلـــك خلافاً لما عليه الحال بالنسبة إلى المسلمين في (حيدر آباد) حيث

احتلت الجيوش الهندية تلك الإمارة أو المملكة المسلمة احتلالاً بقوة السلاح.

ويقولـــون: إن الـــنواب وهـــو بمعنـــى السلطان، أو الملك غير العظيم (حمـــيدالله خان) الذي كان يحكم هذه البلاد عرف أنه لا قبل له ولا للمسلمين بمقاومة الجيش الهندي، بل إنه لا يمكن الاستمرار في حكم الأكثرية الهندوكية مـــن أفراد الشعب وسط بحر خضم من الهنادك في الهند الذي يحيط بمملكته فاتفـــق اتفاقـــاً مـــع (جواهر لال نهرو) رئيس وزراء الهند آنذاك على انتقال السلطة إلى الحكومة الهندية سلمياً لقاء شروط قبلتها الحكومة الهندية منها مثلاً أن تبقـــى مدينة بهوبال عاصمة لولاية وسط الهند، ولو كانت مدينة (أندور) التـــي مررنا بها ولا تزال أكبر من بهوبال وأكثر سكاناً إلا أن نسبة المسلمين فيها قليلة، تقدر ما بين ٨ إلى ١٠./..

ومـــن ذلـــك المحافظة على مؤسسات المسلمين وإبقائها دون تغيير من المساجد والمدارس والأوقاف الخ، قالوا: ومن ذلك التاريخ وبناء على أن حكم المسلمين لهذه البلاد التي عاصمتها بهوبال كان يتسم بالعدل والإنصاف، فإنه لم تكن هناك حزازات وضغائن ظاهرة بين المسلمين و الهنادك فيها.

وذلك لغلبة العلم أو محبته على معظم حكام المسلمين فيها، وربما يكفي أن نذكـــر في هذا المجال السيد (صديق حسن خان) العالم المشهور الذي حكم هذه المملكة فترة من الزمن.

ويجـــدر بنا أن نذكر هنا ملاحظة مهمة كررها إخواننا المسلمون وهي أنه رغم انتقال السلطة إلى الهنادك في بهوبال، ورغم كون عدد المسلمين قد أصـــبح قليلاً لأنه انضم إلى الولاية عدد كبير من الهنادك فإنه لا يوجد مسلم يكفـــر بدينه ويصبح هندوكياً- حسب تعبيرهم- والعكس هو الصحيح إذْ يوجد أفراد من الهنادك وإن كان عددهم قليلاً من ذوي التفكير الحر الذين يدرسون الإسلام ويقتنعون بأنه الدين الحق فيسلمون.

مسجد أم كلثوم:

وقفنا عند مسجد رشيق المنابر، عالي الشعائر، ذي قباب صغيرة ولكن النفقة التي بذلت في بنائها وفي بناء المسجد كبيرة جداً بدليل أنها بنيت بأيدي مهرة المهندسين، وذلك لانتقائها وجمال مظهرها.

واسمه كما كتب عليه (مسجد أم كلثوم جهان بيقم) وبيقم التي قد تكررت هنا معناها: سيدة وهي لقب يطلق على ذوات الشأن من النساء اللاتي ينحدرن من أسر غنية أو ذات مكانة في الناس، وإن كان صار يطلق الآن على كثير من السيدات المسلمات.

وهـذه المـرأة التي بنت المسجد ليست من الأسر الحاكمة أو حتى من ذوي السـلطان الظاهر، وإنما هي امرأة من سائر المسلمين على حد تعبيرهم في التعريف بها.

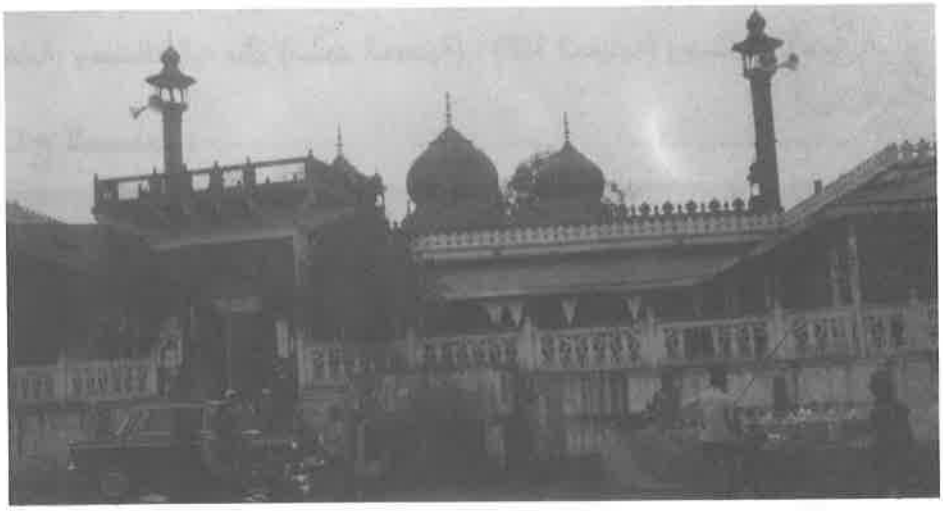

مسجد كلثوم في بهوبال

وعـندما دخلـت المسـجد وجـدت أن باطنه أجمل من ظاهره، إذ هو بالمرمر والرخام الثمين الصقيل، مما يقل نظيره حتى في المساجد الكبيرة.

وقـد سرنا قليلاً في السوق الذي يقع فيه المسجد فصار المرء يرى في بعض الأحيان وجوهاً صبيحة لا يراها في مدن الجنوب الهندي.

ورأيت بائعاً متجولاً عنده نبق هندي كبير يبلغ حجمه حجم التمر، وكان يجلب إلى بلادنا من باكستان فاشتريت منه الكيلو الواحد بست روبيات.

واللغة الشائعة هنا هي الهندية المسماة بالهندي ومعها الأوردية الشائعة في شمال الهند ووسطها، ولكن الهندية أكثر في الاستعمال.

مستشفى السلطانية:

عـــدنا إلى شارع السلطانية أو (سلطانية رود) فمررنا بمستشفى اسمه (سلطانية لـــيدي هوســـبيتال) أي مستشـــفى السيدة سلطانية وهو مثله منسوب إلى سلطانة جهان بـــيقم كمـــا تقدم، ويقابل المستشفى من جهة الشرق حديقة (باد قادر شاه جهان بارك) وهي حديقة كبيرة جيدة منسوبة إلى شخص مسلم اسمه (باد قادر شاه).

وعلـــى ذكـــر المسميات المنسوبة للمسلمين وأول ما ذكرناه منها هو (شارع الحمـــيدية) نقـــول: إنها كثيرة جداً، فالنواب (حميدالله خان) وحده له عدة مسميات هامة، ومضافة إليه مثل (مسجد الحميدية) و(كلية الحميدية) ومستشفى الحميدية.

تاج المساجد:

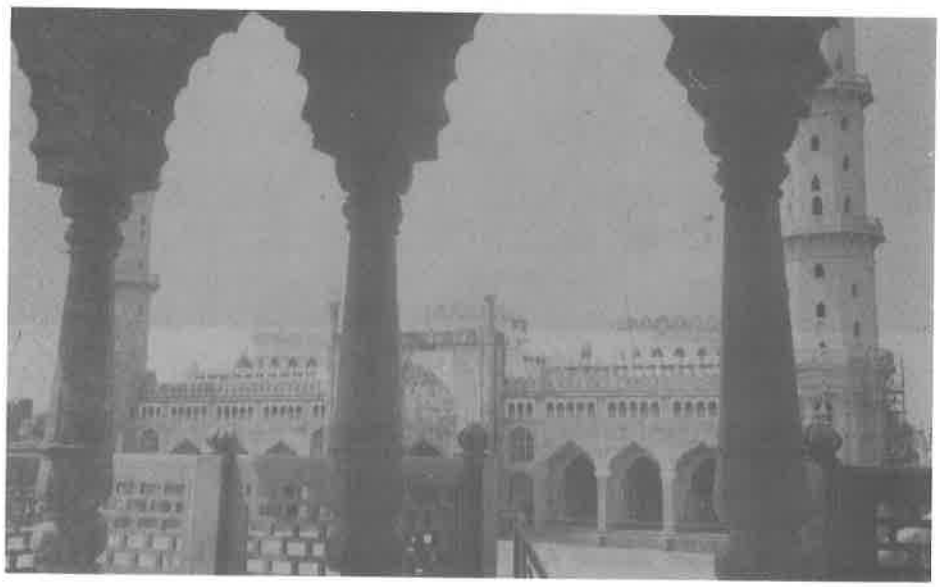

صورة لجامع تاج المساجد في بهوبال

واســمه حقيقي بالنسبة للمساجد في هذه المدينة فهو أعلاها من جهة الموقع ومــن جهة البناء، إذ اختاروا له تلة مرتفعة تشرف على ما حولها، ورفعوا شعاره حتى إن مناراته ترى من أماكن بعيدة جداً، وبخاصة عندما تضاء بالليل.

هــذا مع أن الظاهر أن الاسم الذي اختارته له بانيته السيدة (شاه جهان بــيقم) مستوحى من اسم تاج محل بهوبال وليس من أجل موقعه وارتفاعه إلا إذا كانت أرادت أن تجعل ذلك اسماً على مسمى.

ويذكر أن كلمة (تاج) العربية قد دخلت الأوردية فأصبحت تدل على ما تدل عليه بالعربية.

دخلنا إلى هذا المسجد العظيم بعد أن استقبلتنا مناراته على البعد بفيض مــن الجــلال والــرهبة وكان دخولنا بالسيارة من بوابة له خارجية من جهة الجــنوب تفضــي إلى فناء مكشوف واسع جداً وهي بوابة فاخرة بنيت لتكون رمــزاً علــى مــنطقة المسجد كما اعتاد الحكام المسلمون في الهند أن يبنوا الــبوابات التي تكون رمزية حقاً في بعض الأماكن بحيث إنها لا تمنع داخلاً من الدخول إلى المكان إذا أراد أن يتجنب دخولها.

وســرنا بالســيارة حتى وصلنا إلى البوابات الفعلية للمسجد وهي أيضاً تفضــي إلى فناء داخلي أو لنقل بلغة أسلافنا الأقدمين إلى صحن المسجد لأنه فناء مكشوف مبلط بحجارة حمراء وهذه هي صفة الصحن في الأبنية الكبيرة المعتنى بها في تراثنا العربي القديم.

فأوقفــنا الســيارة قبل هذه البوابة الداخلية ودخلنا مترجلين إلى الصحن المكشوف للمسجد وهو واسع بدرجة كبيرة بحيث إن فيه بركة للوضوء واسعة جدا، ولا تبين في صحنه لسعته.

منظر البوابة الخارجية لتاج المساجد في بهوبال

وهـــذه البركة الداخلية هي بطبيعة الحال غير البحيرة الكبيرة الخارجية التي تقع بجانبه وتسمى بحيرة الوضوء فتلك نازلة عن مستوى المسجد كثيراً.

دخلـــنا مـــع أذان المغرب وعادة القوم هنا بل ربما في عموم الهند أن يدخلوا في صلاة المغرب خاصة بعد الأذان مباشرة، ولذلك يكون المصلون قد فرغوا من الوضوء قبل الأذان.

وبعـــد الصلاة سلمنا على الإمام واسمه (سيد أشراقت علي الندوي) كما عرفنا أيضاً بعد الصلاة الأخ الشيخ عبدالسبحان الندوي ناظر دار الإقامة في مدرسة (دار العلوم تاج المساجد) وهي ملحقة بالمسجد العظيم هذا، وهي من المـــدارس الكبيرة حتى إن دار الإقامة فيها تحتوي على مائتي طالب بمعنى أنهم يقيمون فيها وتقدم لهم المأكل والملبس وهناك ثلثمائة طالب آخرون خارج دار الإقامة أي أنهم يدرسون فيها ولكنهم لا يقيمون فيها إقامة دائمة كما قابلنا الشيخ شمس الدين الندوي أحد المدرسين في هذه المدرسة.

ونلاحـــظ كثرة ورود الندوي في نسبة هؤلاء الإخوة وربما لا يعرف بعض القـــراء الكـــرام هذه النسبة التي هي منسوبة إلى (ندوة العلماء) وهي جامعة مهمة

مشـــهورة في الهند تسمى (دار العلوم ندوة العلماء) ويشغل منصب الأمين العام لها مـــنذ سنوات صديقنا العلامة الشيخ أبوالحسن الندوي، وقد ذكرت أمر هذه الجامعة في كتاب (في شمال الهند) حين زرتها، وتقع في مدينة لكنهو.

والنسبة إليها ندوي بفتح النون وإسكان الدال.

وهـــذه عادة للإخوة المسلمين من أهل الهند أن ينسبوا طالب العلم منهم إلـــى المدرســـة التي تخرج فيها أكثر مما ينسبونه إلى أسرته أو بلده، فكأنهم الذين يقولون بأن الأبوّة العلمية أولى بالإظهار أو الإشهار من الأبوة الجسدية.

كان الوقت مظلماً فلم يتسع لتفقد المسجد كله فعزمنا على العودة إليه في النهار واختصرنا في هذا الوقت على الحديث معهم في بعض الشئون المتعلقة بالمسجد والمدرسة.

وقد أعجبني جداً ما رأيته من حالة طلاب المدرسة الذين صلوا معنا في المســـجد إذْ كانـــوا نظيفي الثياب والأبدان تظهر عليهم التربية الدينية، وعلى وجوههم الإشراق الذي يكون في وجوه طلبة العلم.

والتقطنا صورة مع إمام المسجد والمدرسين في فناء المسجد.

المؤلف قرب البوابة الداخلية لتاج المساجد بهوبال

في مطعم إسلامي:

كـــنت أتحرج من وصف مثل هذه المطاعم التي يديرها أو يتردد عليها المســـلمون في بعض الأقطار بالمطاعم الإسلامية لأن بعضها لا يتحقق فيها هذا الوصف، فكنت أصفها بأنها مطاعم المسلمين لا مطاعم إسلامية.

أمـــا في هذه البلاد الهندية فإن أكثر مطاعم المسلمين يصح أن توصف بأنها إسلامية، لأنه لا يكون فيها شيء من المحرمات في الإسلام.

مـــع أن مطـــاعم الهنادك لا تكون فيها شيء من اللحوم المحرمة، في أغلـــب المطاعم لأنهم لا يأكلون اللحم، وإذا وجد اللحم فيها فإنه يكون مذبوحاً بأيـــدي المسلمين لأن الهنادك لا يذبحون إلاّ إذا كان ذلك في منطقة يكثر فيها المسيحيون أو السيخ.

إلا أن الهنادك قد يضعون في أطعمتهم زيوتاً أو دهوناً غير نظيفة، كما أنها ليس فيها اللحوم أصلاً.

ودخلنا في مطعم للمسلمين داخل حي ضيق الشوارع فطلبنا من أطايبه طعامـــاً اشـــترطت أن يجنبوه الفلفل ولكن هذا الشرط لا يناسب الأخ (شوكت علي) فطلب فلفلاً مسحوقاً أضافه إلى طعامه وأكثر وضعه عليه.

وكـــان الطعام أرزا بريانياً وهو المخلوط بالدسم والبهارات وفيه اللحم قطـــع يكـــون مطبوخاً معه، وأحضروا معه الحساء (الشوربة) والكاري وهو المـــرق الغلـــيظ الكثيف الدسم، يضعون فيه هذا الدسم الكثير لكي يقاوم تأثير الفلفل الحار في الطعام فلا يجرح المرئ والمعدة حسبما قالوه.

ولكن الدسم الكثيف الذي يكرر المرء أكله في الوجبات هو مضر أيضاً بالصحة، لأنه ثقيل في الهضم، ويرفع الكلسترول في الدم وهو الفضلات التي تترسب داخل العروق وقد تسبب انسدادها على المدى الطويل.

كما أن الدسم الكثير يساعد على ثقل الجسم عن طريق زيادة وزنه وقد

يقــول قائل لهم: إذا كنتم تضعون الدسم الكثيف في الطعام ليقاوم تأثير الفلفل الحار فما الذي يحملكم على وضع الفلفل الحار فيه؟

وقــد سألت طائفة من الإخوة المسلمين قبل ذلك عند زياراتي للهند عن الســر فــي إكــثارهم من الفلفل في الطعام؟ فقالوا: إنه يشهي ويساعد على الهضــم، فقلت لهم: إن أهل الهند بأكثريتهم لا يحتاجون إلى ما يشهي الطعام لهم، لفقرهم بل هم في حاجة إلى طعام أي طعام.

أمــا بالنسبة للأغنياء منهم فقد يقال لهم: إنه لا داعي لمشهيات الطعام، بل إن الأغنياء الذين لا يضعون الفلفل في طعامهم في العالم يبحثون الآن أو يــبحث أكثرهم عن شيء يقلل شهوتهم للطعام، حتى لا يصابوا بثقل الوزن، وما يصحبه من أمراض وأعراض.

وإذا تركناهم جانباً فإننا نرى أن المقصود من الطعام أن يكفي الجسم في التغذية، وذلك يتم بدون إضافة الفلفل الكثير إلى الطعام.

وربمــا تأتي مناسبة نتكلم فيها على عادة الإكثار من الفلفل في الطعام عند أهل الهند.

وكان ثمن هذه الوجبة لي ولمرافقي (شوكت علي) ٤٦ روبية هندية أي أقل قليلاً من ٤ دولارات أمريكية وهذا رخيص جداً.

يوم الخميس ١٤٠٧/٥/٨هـ

يلبسون أغطيتهم:

أصبح الجو غائماً هذا الصباح، يميل إلى البرد، ولذلك خرج كثير من الناس إلى الشوارع وهم ذاهبون لأعمالهم وعليهم الأردية و(البطانيات) يضعونها على أكتافهم ويلفونها حول صدورهم كما يفعل المحرم للحج بالقطعة العليا من ملابس الإحرام.

مما ذكرني بما رأيته في شمال الهند وباكستان في فصل الشتاء إذْ كان الناس يصنعون كذلك إذا اشتد البرد وهو برد ليس شديداً في العادة ما عدا بلاد كشمير فهي شديدة البرودة.

وقال لي بعض الإخوة: إن الناس يلبسون أغطيتهم في اليوم البارد ولا يخصصون ملابس للبرد، وذلك لكون البرد هنا ليس شديداً ولا يستمر طويلاً.

زيارة قبر صديق حسن خان:

بعدما وصلت مدينة بهوبال رأيت أنه ينبغي لي زيارة قبر الأمير صديق حسن خان العالم الهندي المشهور الذي لم يمنعه الملك من طلب العلم، وتأليف الكتب العديدة المفيدة في سائر العلوم التي بلغ عددها في العربية حداً زعم بعض العلماء أنه فعل كما قيل إن الإمام عبدالرحمن السيوطي فعله، وهو أن يأمر تلامذته بإعداد كتاب في فن من الفنون ثم يقرأه ويكتب عليه أنه تأليفه على اعتبار أنه موافق على ما جاء فيه، وحملهم على ذلك كثرة مؤلفات السيوطي وكونه كان غنياً ورث عن والده أموالاً وعقارات من أراض زراعية وغيرها.

كما أن السيد صديق حسن خان كان ملكاً أو نَوَّاباً بمعنى الملك على مملكة صغيرة في داخل الهند وهو بالتالي عنده عدد كبير من التلاميذ، والطلبة المتفرغين لطلب العلم، وربما كان يستعين بهم على إعداد بعض المؤلفات أو البحوث.

وأياً كان الأمر فإن مؤلفات السيد صديق حسن خان هي مؤلفات قيمة أغنت المكتبة العربية في فنون كثيرة وهو كذلك سلفي العقيدة، لأنه من أهل الحديث في الهند الذين نافحوا وما يزال أتباعهم ينافحون عن العقيدة السلفية الصحيحة، ويحاربون البدع والخرافات التي دخلت على الدين، وبخاصة خرافات الصوفية، ومدعي الكرامات، وكذلك البدع التي تقام حول الأضرحة والقبور.

البستان الكبير:

ذهبنا إلى مقبرة واقعة في حديقة واسعة اسمها (بيرا باغ) أي البستان الكبير، وهي حديقة واسعة فيها قبور لذوي الشأن من الناس متفرقة في أنحائها وإن كان أكثرها لا يزال خالياً من القبور.

ورأينا قبراً عليه قبة كبيرة وأرضه مرفوعة عن أرض الحديقة بحوالي المتر فسألنا موظفاً في المقبرة أمياً عن صاحب هذا القبر فلم يعرفه إلا أنه قبر لجد حميد الله خان آخر ملوك المسلمين على هذه المنطقة، ولكن أحد الأشخاص ويبدو أنه من المثقفين قال لنا إنه قبر (سلطان خان) جد النواب حميدالله خان.

وسألناه عن قبر السيد (صديق حسن خان) المدفون في هذه المقبرة ويسمونها (قبرستان) فذكر أنه لا يعرفه، وقال: لم يسألني أحد قط منذ أن بدأت العمل في هذه المقبرة عن قبر صديق حسن خان، ولا أعرفه.

ثم دلنا على قبر معتنى به وعليه اسم صاحبه بالأوردية مكتوب عليه أنه لنذير خان وقد كتبوا الاسم بعد البسملة.

وحتى فراش المقبرة أو لنقل إنه السادن هو معتل الصحة، ضعيف الصوت لمرض في حلقه لا يكاد يستطيع الكلام.

ثم حضر بستاني في هذه الحديقة مهمته العناية بالأشجار، والنبات فيها، ولكنه أذكى وأعرف من السادن.

قال لنا: إنه يعرف قبر السيد صديق حسن خان، وأنه في ركن من هذه الحديقة في (القبرستان) أي المقبرة.

ثم أوقفنا على قبره وعليه حوش أي حائط من الرخام الغالي الثمين قال: إن أناساً بنوا هذا البناء على قبره بعد وفاته بمدة طويلة، ولكن قوماً من طلبة أهل الحديث هدموا البناء وأزالوا السقف حتى لم يبق إلاّ هذه الحوائط.

فقلت في نفسي: الحمدلله الذي سخر لهذا الرجل السلفي المخلص من خلص قبره من بدعة البناء عليه، وإن كانت بقيت عليه من البدعة بقية وهي هذه الحيطان الرخامية الزخرفية التي نرجو أن يقيض الله لها من يزيلها ويبعدها عن قبره.

عند قبر صديق حسن خان مع مزارع (قبرستان)

سلمنا السلام الشرعي على قبر السيد صديق حسن خان ودعوت له بالثواب الجزيل لقاء ما قدمه من خدمات جليلة للسنة المطهرة، وما عمله من أعمال جليلة في هذه البلاد من أجل الإسلام و المسلمين.

ولم نر على قبره أية كتابة أو حتى تاريخاً كالذي اعتاد الناس على كتابته على القبور في هذه البلاد، وأما القبر فإنه لم يرفع إلا مثل الشبر أو حوالي نصف المتر وهذا لا يزيد على المشروع في رفع القبر عن الأرض.

مع العلم بأن وفاة النواب صديق حسن بن ولاد حسن القنوجي كانت في عام ١٣٠٧هـ ولكن حوله أصص فيها زهور.

ثـم غادرنا (قبرستان): بير باغ، واستوقفني في الرصيف رجل قد نشر بساطاً لـه من الخيش وفوقه عدته التي يصلح فيها الأحذية وبجانبه مجرى المياه المستعملة على جانب الشارع مكشوف في أكثر الأماكن.

ثـم مررنا بمسجد من المساجد الجديدة وقال لي الأخ (شوكت علي) إن المساجد الجديدة هنا قليلة لأن المدينة كانت فيها مساجد قديمة كثيرة عندما كان السلطان فيها للمسلمين.

إلى مصنع الموت:

ربما يتذكر القارئ الكريم قصة مصنع المبيدات الحشرية في مدينة (بهوبال) هذه الذي تسربت منه الغازات السامة فأهلكت أمماً وأصابت أناساً آخرين بعاهات مستديمة كالعمى ومرض الصدر أو تلف في بعض أجهزة التنفس في الجسم.

لذلك رأيت زيارة هذا المصنع والاجتماع ببعض من شهدوا الحادث وبخاصة المسلمين منهم.

مع المتضررين من مصنع المبيدات الحشرية أمام المصنع في حيهم الردئ في بهوبال

خـــرجنا مـــن قلب المدينة إلى الضاحية التي يقع فيها المصنع فمررنا بســـوق فيها خضار جيدة مما يدل على الموقع المعتدل للمدينة، وأكثرها مما جلبه الفلاحون لأنفسهم ويبيعونه على دوابهم.

ثـــم وصلنا إلى المصنع واسمه كما كتب عليه بالإنكليزية (يونيون كارباید) وهـــو مغلـــق الأبـــواب وواسع جداً، وقد حدثت فيه تلك الكارثة التي ربما كانت أكبـــر كارثـــة من نوعها يسببها مصنع مثله في السنوات الأخيرة فقد تسرب منه الغاز السام في الحادية عشرة ليلاً واستمر يتسرب لمدة ثلاث ساعات.

وذكـــر لنا أن هذا من لطف الله تعالى، وأنه لو كان تسرب الغاز السام منه نهاراً لمات خلق أكثر من الذين ماتوا فيه بالفعل.

وذكـــروا أيضـــاً أن مـــن حسن الحظ- حسب تعبيرهم- أنه كان هناك ضباب مائي كثيف يلف المنطقة مما جعل الغاز المتسرب لا يذهب بعيداً، وإلا لكان وصل إلى بعض ضواحي المدينة الآهلة بالسكان.

أمـــا البـــيوت القريبة منه وأغلبها لعمال وموظفين فيه صغار فإن أهلها دهمهـــم الغاز القاتل وهم نائمون فمات القريبون منه على فرشهم وهم نائمون والـــذين كانـــوا أبعد منهم أصيبوا بإصابات مختلفة والإصابة هنا من سحابة الغاز السام القاتل.

شهود العيان يتكلمون:

جلنا في القرية الشعبية الملاصقة للمصنع لا يفصل بينهما إلا شارع عريض وهي قرية أو محلة شعبية ذات بيوت زرية تدل على الفقر ورقة الحال.

وبيوتها ذات مظهر رديء من الخشب والقش وستائرها من الخيش.

وحتـــى البضـــائع فيها هي عجيبة، وعلى سبيل المثال وجدنا خشباً من خشب الوقود الذي كسروه وكوموه يباع بالوزن، وما رأيت قط خشب الوقود يوزن بالميزان أما عيار الميزان فإنه حصاة والميزان نفسه من الخشب.

مع المتضررين من مصنع المبيدات الحشرية في بهوبال (بجانب المصنع المغلق)

وطلبت أن أقابل بعض المصابين أو شهود العيان كما يسمون، بخاصة من إخواننا المسلمين فقابلنا مصادفة أخاً مسلماً اسمه (مونيخا) مات أهل بيته بسبب الغاز السام الذي تسرب من هذا المصنع وهم أمه وأبوه وزوجته وأولاده الثلاثة، قال: جميع أهل بيتي ماتوا تلك الليلة، وقال: لقد كتبت لي السلامة لأنني كنت خارج المنطقة عندما حدث التسرب، ولولا ذلك لكان سبيلي سبيلهم، ثم أردف بحزن قائلاً: ولكن ما فائدة الحياة بدونهم؟

إلا أنه قال: أنا مؤمن بالله تعالى وهذه إرادة الله تعالى وما عليَّ إلاّ الصبر.

وقد صبرت بالفعل فتزوجت ورزقت من الزوجة الجديدة بطفل صغير.

وسألته عن التعويض الذي دفع له، فقال: لقد دفعت لي الحكومة الهندية عشرين ألف روبية تعويضاً عن هذه الكارثة.

وهذا المبلغ يساوي حوالي ١٨٠٠ دولار أمريكي أو خمسة آلاف وخمسمائة ريال سعودي.

القيامة الصغيرة:

كـــنا نتحدث مع الأخ مونيخا فالتف علينا طائفة من أهل القرية من مسلمين وغير مسلمين، وقال أحد الإخوة المسلمين وقد ذهب الغاز بأكثر بصره حتى صار يفـــتح عينـــيه بأقصى سعة ومع ذلك لا يكاد يبصر طريقه، وقد إبيض أكثر سواد عينيه: إنها (ميني قيامة) أي القيامة الصغيرة أو يوم القيامة مصغراً.

وقـــال: كـــان بيتـــي في الصفوف الخلفية ولذلك مات طفل لي رضيع وأصـــبت أنـــا وزوجتي بهذه العاهات ولاحظت أن الذين التفوا علينا هم في مظهـــر مخيف محزن فبعضهم فقد بصره تماماً، وبعضهم لا يكاد يقوى على التـــنفس مـــن أجل إصابات في صدره، وآخرون لا يقوون على الحركة من الهزال لأنهم أصيبوا في أماكن متعددة من أجسامهم.

وبعضـــهم أصيب في المعدة لذلك بقي هزيلاً نحيلاً كأنه الهيكل العظمي الذي يمشي على الأرض، لأن معدته لا تزال مصابة.

والأصـــعب مـــن ذلـــك أن مســـتقبل هؤلاء المصابين مجهول، فهم لا يســـتطيعون العمـــل وبعضـــهم لا يكاد يقوى على الحركة لضعف رئتيه أو صدره، فكيف يعملون ويعيلون أنفسهم وذويهم؟

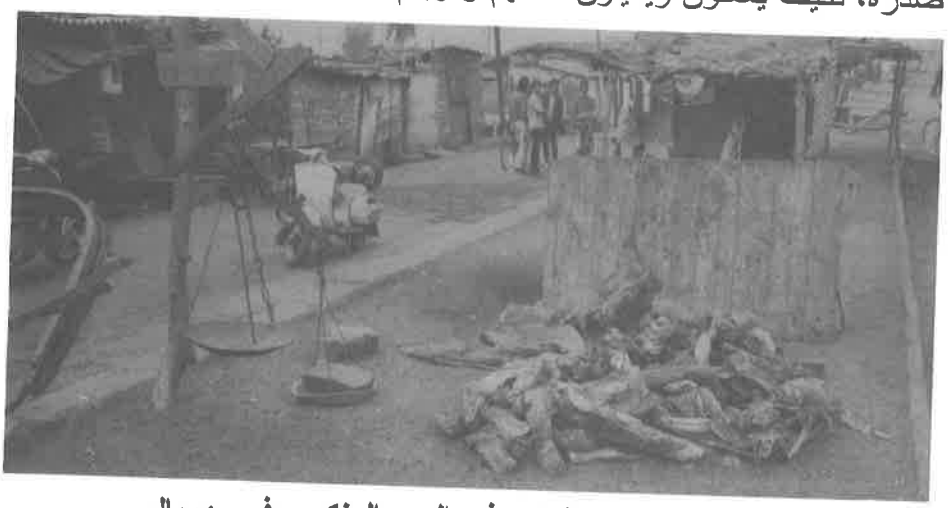

ميزان الخشب بالوزن في الحي المنكوب في بهوبال

وذكروا لنا أن أصعب ما في الإصابات التي بقيت حتى الوقت الحاضر

هو الضعف في العيون التي لم تستطع أن تستعيد عافيتها، بل صارت حالات أكثرهم تسوء مع مرور الزمن.

وهـذا الحـي المجـاور للمصنع، وإن شئت قلت: القرية الصغيرة كما يسميها بعضهم وإن كان في الحقيقة متصلاً بمدينة (بهوبال) لا يفصله عنها إلا مسـاحات معمـورة ولا يبعد عن قلب المدينة إلا ثلاث كيلومترات، هو حي مختلط بين الهنادك والمسلمين إذ رأينا معبداً صغيراً للهنادك يجاوره غير بعيد منه مسجد صغير يصلي فيه المسلمون.

وذكـروا لنا أنه لا توجد اضطرابات طائفية، أو حزازات بين الفريقين مـن المسلمين والهنادك فيه، ومن الأشياء المحزنة أن بعض الذين استطاعوا الحركة والهرب من بيوتهم هربوا جنوباً فتبعتهم سحابة الغاز وصرعتهم لأنه كانت توجد ريح شمالية خفيفة كانت من خلفهم.

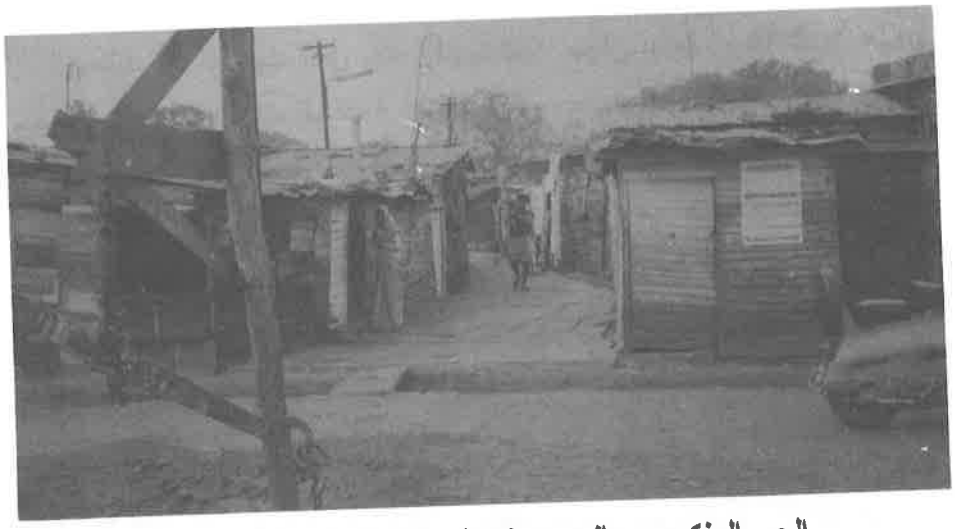

الحي المنكوب بجانب مصنع المبيدات الحشرية في بهوبال

وذكـروا لـنا أنه لو كانت هناك إسعافات سريعة حضرت بسرعة وأبعدت المصـابين من المكان إلى مكان فيه هواء نقي، لأمكن إنقاذ حيوات كثير من الذين ماتـوا، ولكـن الـناس كانـوا لا يدرون ما الذي أصابهم، ولا كيف يتصرفون، وبعضـهم كانت له بعض القوة للهرب وبخاصة من كانوا أبعد قليلاً عن المصنع،

ولكنهم لا يعرفون، إلى أين يتجهون لأنهم لا يعرفون من أين أوتوا.

عدد المصابين:

عـــدد المصـــابين في هذه الكارثة كثير، ولكن الناس يذكرون الموتى، وأكثـــر الأرقـــام التـــي ســـمعناها في هذا الصدد اعتدالاً هي أن أربعة آلاف هندوكـــي وخمسمائة مسلم ماتوا في هذه الكارثة، وذلك بطبيعة الحال خلاف الذين أصيبوا بعاهات مستديمة، ولكنهم لا يزالون على قيد الحياة.

عودة إلى تاج المساجد:

رجعنا إليه لاستكمال الإطلاع عليه في النهار، فكان أول ما لفت نظري فيه أنه محـــاط من جهاته الثلاث الشرقية والجنوبية والشمالية بغرف متجاورة كثيرة جداً مبنية على طراز يكاد يكون واحداً وقد كتبوا على كل غرفة اسم الذي تبرع ببنائها.

وذلك أن المسجد الذي بنته السيدة (شاه جهان بيقم) زوجة السيد صديق حســـن خـــان، وكانت الحاكمة على بهوبال وما يتبعها قد بدأت بناءه في عام ١٨٨٥م واســـتمر العمل فيه مدة ست عشرة سنة دون أن يكمل لجودة البناء وعظـــم نفقته حتى قال لي بعض المشايخ العاملين في هذا المسجد إنهم كانوا يحفرون لأساس المسجد ٥٢ ذراعاً.

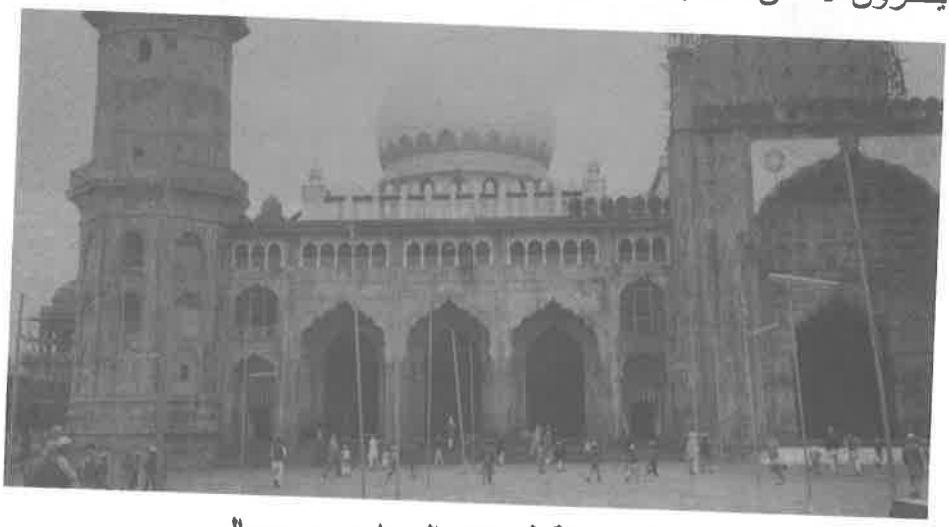

القبة الحديثة في تاج المساجد - بهوبال

وهذا ليس ببعيد إذا عرفنا أن المسجد قائم على تلة طينية لا يوصل منها إلى مساواة سطح بحيرة الوضوء التي بجانبه إلا بعد حفر حوالي ٢٠ متراً.

ولـذلك صار أهل الخير يسارعون إلى بناء بعض الأشياء الملحقة به، ومـن ذلك هذه الغرف الكثيرة المتراصة في صفوف منتظمة تحيط بفنائه أو صـحنه المكشـوف، وهـي مخصصـة لسكن طلبة العلم الذين يدرسون في المدرسة الدينية الملحقة به.

وكـان من بين المتبرعين ببناء بعض الغرف طائفة من فضليات النساء المسلمات منهن مثلاً- كما كتبوا اسمها على إحدى الغرف (أز عطية سلطان صـاحبة حرم جلال الدين صاحب قريشي) وصاحب للرجل وصاحبة للمرأة لقب كان يطلق على الأشخاص المحترمين حتى من غير المسلمين، وقد رأيت داخل المعبد الذهبي المقدس عند السيخ في مدينة أمرتسر في الهند عدة أسماء منقوشـة بالأردية على أرض المعبد تحمل أسماء متبرعين أو مقبورين ممن تبرعوا للمعبد فيها لقب (صاحب) هذا.

وربما كان أصل الكلمة (صاحب) السعادة أو صاحب الملك، أو السلطان بمعنى وزيره فحذف المضاف إليه وأقيم المضاف مقامه.

وبعـض المتبـرعين ببناء الغرف أراد بعمله وجه الله دون ذكر اسمه فكـتب في مكان اسم المتبرع: (فاعل خير) أي بالأردية (أز عطيه أصحاب خيـر بيـر سيه ولاريا) والريا: هو الرياء أي مرآءة الناس، وفعل الخير من أجل أن يقال: إن فلاناً فعل ذلك، وليس من أجل ابتغاء وجه الله.

محل النور:

اجـتمع علينا في المسجد عدد من طلبة العلم الذين يعرفون العربية من أهـل بهـوبال فكانت هذه فرصة للبحث معهم في بعض الأمور، ومنهم الأخ عبـيد الـرحمن بـن محمد سلمان خان من المتخرجين في كلية الشريعة في القصـيم، وهـو هندي الجنسية، والشيخ رئيس كلية دار العلوم تاج المساجد

منذور حسين من المشهورين بنسخ الكتب العلمية وخطه حسن وصحيح، ودار العلوم تاج المساجد هي المدرسة الملحقة بهذا الجامع كما تقدم.

أمام مصلى النساء مع الدكتور محمد حسان في جامع تاج المساجد- بهوبال

وقد صحبناهم في جولة في هذا الجامع الواسع فذهبنا أول الأمر للبوابة الشرقية التي لم تكن قد اكتملت في الأصل فوجدنا العمل فيها يكاد ينتهي وقيل لـــنا: إن سيدة محسنة من أهل الخليج العربي هي التي قامت على إصلاحها، واســـمها الشيخة مريم مثلما أن التي قامت على بناء المسجد في الأصل هي سيدة مسلمة هندية.

ومـــن هـــذه البوابة الشرقية إطلعنا على حي من مدينة (بهوبال) اسمه (نور محـــل) أي محل النور ذكروا أن السيد صديق حسن خان كان يسكن فيه، ولا يزال بيـــته معروفا، ولا يزال بعض ذريته يسكنون فيه من ذرية ابنيه نور الحسن وعلي حسن من زوجته الأولى قبل أن يتزوج بالملكة (شاه جهان بيقم).

وذكروا لنا أن ذرية السيد صديق حسن خان لا يعتبرون الآن من طلبة العلم، بمعنى أنهم ليسوا معنيين بالعلوم الشرعية.

ووقفـــنا على حوض الماء في صحن المسجد قالوا: إنه أكبر حوض للوضوء

في الهند ومساحته ٢٥٠٠ متر فطوله خمسون متراً في خمسين متراً.

ومـــع ذلـــك ذكروا لنا أن جماعة التبليغ أقامت أحد مؤتمراتها في هذا المســـجد وحضره منهم ما زاد على مائتين وخمسين ألفاً، وأقاموا حوضاً آخر للوضوء طوله ٩٠ متراً في ٩٠ متراً.

عشرة أبناء علماء:

انتقلـــنا بعد ذلك لزيارة المدرسة المسماة بدار العلوم تاج المساجد، فدار العلوم تعني مدرسة وتاج المساجد إضافتها إلى هذا المسجد.

البوابة الخلفية التي لم تكن كملت عند بناء تاج المساجد- بهوبال

فاطلعـــنا علـــى فصولها ورأينا بعض تلامذتها، ولم يكن الوقت يسمح برؤية كـــل ما كنا نود رؤيته من أمرها وهي كسائر المدارس الإسلامية في البلاد الهندية أعجـــوبة العجائب التي قام بها إخوتنا المسلمون من أهل الهند، ولم يقم بها غيرهم مـــثلما قامـــوا بهـــا ماعـــدا الإخوة المسلمين من أهل إفريقية الخضراء الذين لهم مدارســـهم، ولكـــنها ليست في قوة مدارس أهل الهند من حيث كثرة التبرعات لها، وإيقاف العقار لها، ورصد النفقات اللازمة لاستمرارها.

وحتـــى في المهاجر الإسلامية نجد أن المهاجر التي فيها إخوة مسلمون من

أهــل البلاد هي أكثر مهاجر المسلمين ازدهاراً من ناحية التعليم والعمل الإسلامي، بل من ناحية الدعوة إلى الإسلام، والحرص على انتشاره وهداية الناس إليه.

وقد ذكرت في بعض كتبي السبب الذي ظننته الصحيح لهذا الأمر.

وقابلنا في هذه المدرسة شيخاً وقوراً اسمه (محمد سليمان محمد الياس) وهــو عميد هذه المدرسة (دار العلوم تاج المساجد)، وأخبرنا الإخوة من حاله وهــو يسمع عجباً، إذ ذكروا أن له عشرة أبناء كلهم عالم متخرج من مدرسة (دار العلوم ندوة العلماء) في لكنهو، ولذلك يلقب كل واحد منهم بالندوي.

ومن العجب أيضاً أن الرجل حج عشر مرات عن كل ابن حجة واحدة رغم ما يعنيه الحج بالنسبة إلى المسلم الهندي من مشقة ونفقة كما هو معروف.

وذكــر لــي أن هؤلاء الأبناء هم من زوجتين اثنتين وليسوا من زوجة واحدة كما قال لي: إن عمره الآن ستون سنة.

وانضــم إلينا في المسجد الأستاذ الدكتور محمد حسان خان وهو يعرف العــربية لأنــه حصل على الشهادة العالية من الجامعة الليبية، وحصل على الماجستير والدكتوراه من جامعة بهوبال، وهو الآن يعمل أستاذاً مشاركاً للغة العربية في قسم اللغات والحضارات المقارنة في جامعة بهوبال.

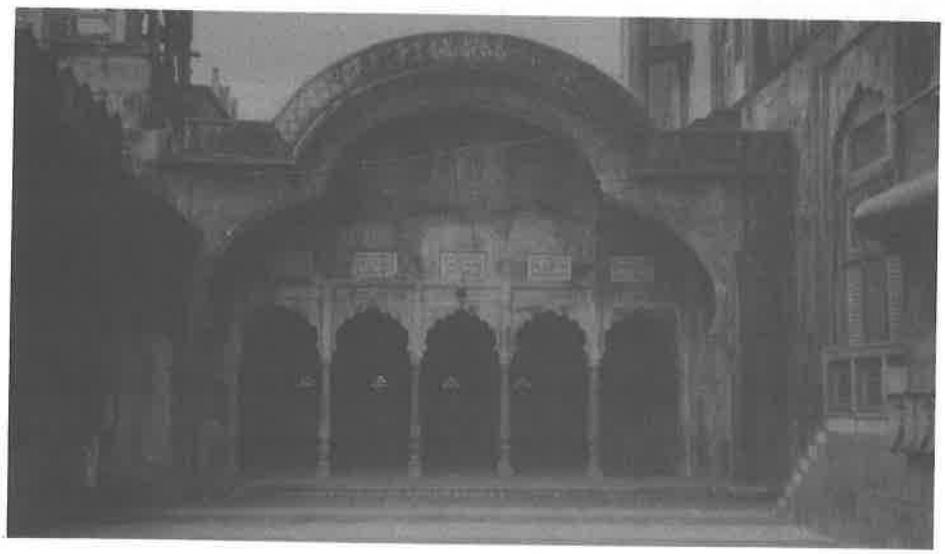

مصلى النساء في تاج المساجد في بهوبال

ووالـــده الشـــيخ محمد عمران خان الندوي من علماء الهند المشهورين وهـــو الذي تولى العمل على إصلاح بناء هذا المسجد وصار رئيساً للجمعية المشرفة على ذلك.

وكان تخرج في الأزهر عام ١٩٣٩م وقد توفي قبل شهرين فقط.

ونقل لي عنه ابنه الدكتور محمد حسان أنه كان يقول له: يا ابني العجب أن العرب لا يزالون يجهلون أشياء كثيرة عن إخوانهم المسلمين في الهند، ولا يـــزالون يســـألون عنهم أسئلة لا يريدون أن يخبرهم غيرهم بأجوبتها مع أن بإمكانهم أن يأتوا إلى الهند ويزوروا إخوانهم فيها.

قـــال لـــي ذلـــك الدكتور محمد حسان يحثني على أن أكتب مشاهداتي عن أحوال المسلمين في الهند، وكان اطلع على بعض كتبي عن المسلمين في إفريقية.

القسم الحديث من المدينة:

اخترقنا ميدان (بير دروازه) ولم نقف فيه، وإنما ذهبنا إلى القسم الحديث من المدينة، ويفصل بينه وبين القديم منها وادٍ منخفض ليس فيه ماء.

وبهذه المناسبة حدثونا عن السبب في كون مدينة بهوبال تصبح عاصمة ولاية (مادهي بردايش) مع أنها أصغر من مدينة أندور التي لا تبعد إلا بمائتي كـــيلو وقـــد قطعـــنا المسافة بينهما في ٢٠ دقيقة بالطيارة، فذكروا أن النواب حميدالله خان آخر ملوك المسلمين أو لنقل أمرائهم على هذه المملكة الإسلامية بهوبال وما حولها، كان صديقاً (لجواهر لال نهرو) قبل الاستقلال، وإنه أهدى للحكـــومة الهـــندية أبنـــية ضخمة متعددة الطوابق (عمارات) قيل إنها ما بين أربعين إلى خمسين (عمارة).

كمـــا أنـــه لم يناصب الحكومة المركزية التي تألفت برئاسة نهرو بعد الاســـتقلال العـــداء، لأنه عرف أنه لا يمكن لمملكة صغيرة أغلب سكانها بل الأغلبـــية الســـاحقة من سكانها من الهنادكة أن تقاوم حكومة عموم الهند التي يؤلف الهنادك الأغلبية، بل مئات الملايين من سكانها.

لـــذلك رضي بتسليم هذه المملكة للحكومة المركزية الهندية بشروط من أهمها أن تكون مدينة بهوبال هي عاصمة ولاية مادهي براديش التي هي أكبر الـــولايات الهندية مساحة، وإن لم تكن أكثرها سكاناً وإنما أكثر ولايات الهند ســـكاناً هي أترا براديش أي الولاية الشمالية التي عاصمتها مدينة لكنهو، وإن تحافظ الحكومة المركزية على الطابع الثقافي الإسلامي لمدينة بهوبال.

وتـــم ذلك في ١ يونيو عام ١٩٤٩م وقد توفي النواب حميدالله في عام ١٩٦٠م ومـــا تـــزال المظاهر الإسلامية ماثلة في أية جهة قديمة ذهب إليها المرء فهي في هذا الأمر مثل مدينة حيدر آباد الدكن.

إلى ريف بهوبال:

خـــرجنا إلـــى ريـــف بهوبال لرؤية الريف نفسه ولزيارة حديقة واسعة للحيوان الوحشي والبري اسمها (زو).

فكان أهم طابع لهذا الريف هو الخصب الظاهر الذي يتمثل في أعشاب جافـــة كثـــيفة متراكمة يمكن أن ترعاها المواشي وتسمن عليها بما يدل على خصوبة المنطقة.

وكنا نسير على خط أزفلتي بجانب بحيرة كنت قد رأيتها من الطائرة في المدينة، فاعترضتنا حديقة الحيوان من دون سابق إنذار.

وذلـــك بـــأنهم وضعوا على الطريق الأزفلتي بوابة من حديد، إلا أنها خفيفة، أبعدها السائق بسهولة واسم البحيرة (بحيرة تالاب بارا) بمعنى الكبيرة لأن (بـــارا) تعنـــي كبيـــرة بالأردو، وتالاب بحيرة، وحدثونا أن هذه الحديقة أنشئت قبل خمس سنوات فقط.

فكان أول ما رأيناه من حيوانها البقر الوحشي الذي يسميه بعض العرب بالعـــين- بكســـر العـــين- جمـــيع عيناء، تسمية شعرية، وكان موجوداً في صحرائنا العربية عند البعثة المحمدية.

وهـــو طلـــيق فـــي هذه الحديقة يأكل من الحشائش الكثيفة، والأشجار الخضـــر في مناطق معزولة لا يسمح بقطعها أو إسامة الحيوان الأهلي فيها، ويشرب من مياه هذه البحيرة الوافرة.

كمـــا رأينا غزالاً غريراً طليقاً يسير على الطريق الأزفلتي كأنما يريد بذلك أن يقلد السيارات فاقتربت بالسيارة وصورته منها.

غزال على الطريق في حديقة حيوان بهوبال
التقطت له الصورة من نافذة السيارة

وهناك حيوانات أخرى طليقة مثل قرود سود أو أنواع من الطيور وهذه كلها يمكن أن تقترب من الناس ويقتربوا منها دون أن يخشوا منها ضرراً.

أمـــا الحـــيوان المفترس كالأسود والنمور فإنهم خصصوا له مساحات واسعة أحاطوها بسياج يمنع هذه الحيوانات من الخروج ولكنها تستطيع داخله أن تركض وأن تمارس بعض عاداتها الطبيعية.

وقـــد رأيت نمراً في المساحة الواسعة المخصصة له وفيها أشجار كثيفة فأردت أن أصوره وهو يعدو إلا أنه فاتني ودخل بين أشجار فيها فاختفى حال التقاط الصورة، فكانت الصورة لعرينه.

وفـــي البحيـــرة أســـراب وأسراب من الطيور الوحشية، إلاّ أنها طليقة تســـتطيع أن تغادر المنطقة كلها إذا أرادت، وذلك كالغرانيق البيض، وطيور من طيور الماء كثير، أما البط بأنواعه فإنه كثير.

ومـــن ألطـــف مـــا صنعوه أن الخط الأزفلتي الذي جعلوا عليه باب الحديقة يســـتمر فـــيها فيوقف الناس بسياراتهم أو دراجاتهم على جانبه وينزلوا إلى شاطئ البحيـــرة وهو منخفض قليلاً فيجدوا هناك على شاطئها أمكنة للبقاء، وقضاء بعض الـــوقت فيها بين هواء البحيرة العليل ورؤية الحيوان الطليق الوحشي غير المؤذي، والطيور التي تسبح فيها، وهذا أمر ليس كثير المثيل في الهند.

مع السائق شوكت علي على شاطئ بحيرة (تالاب بارا) قرب بهوبال

وشـــاهدنا في هذه البحيرة جزيرة صغيرة فيها أشجار ملتفة وذكروا أن فيها قبراً لأحد العلماء من المسلمين يزعمون أنه ولي، ويذهب الجهال لزيارته مـــن أجـــل التقـــرب بذلك، إلا أن بعض الناس كما قال لي الإخوة المرافقون يذهبون إلى تلك الجزيرة لمجرد الفرجة والفسحة.

ولا نقتصـــر المناظـــر على ما ذكرته بل إن البحيرة عليها تلة جبلية اسمها (شملا هل) أي تلة شملا فيها عدة فنادق سياحية ويقابلها من جهة الشمال لسان من

البحيرة فيه مصلى العيد أو (عيدكاه) أي مصلى العيد بالأردية وهو واسع جداً.

وواصلنا السير مع هذه الطريق الأزفلتية التي تشق الحديقة حتى وجدنا عند طرفها الجنوبي منزلاً أنيقاً واقعاً على البحيرة ذكروا أنه منزل رئيس وزراء هذه الولاية، وأن المنزل ملك للحكومة يشغله رئيس وزرائها ما دام في منصبه، ثم يتركه لمن يخلفه في المنصب.

ميدان إقبال:

عدنا إلى قلب المدينة القديم، وذلك لمشاهدة بعض معالمه التي لم نرها من قبل ولأنني لم أشبع من النظر إليه لأن أكثره ذو مظهر إسلامي، أو يدل على قوة كانت للمسلمين فيها، وبخاصة منه الأبنية الكبيرة المميزة.

فوقفنا على منزل اسمه (شيش محل) ذكروا أن الشاعر الإسلامي الكبير الشهير محمد إقبال سكن فيه عدة مرات عندما كان يزور مدينة (بْهُوبال) هذه، ولذلك أطلقوا على ميدان صغير أمامه اسم (إقبال ميدان) بالأوردية وتعني بالعربية (ميدان إقبال) قدموا المضاف إليه على المضاف، وقد كتبوا اسمه هذا على الميدان بالأوردية ذات الحروف العربية كما هو معروف.

وقد اعتنت الولاية أو على الأدق عاصمة الولاية هذه وهي بهوبال بالشاعر إقبال حتى إنها خصصت جائزة أدبية أسمتها جائزة إقبال قيمتها خمسون ألف روبية هندية.

والروبية الهندية تساوي في الصرف الرسمي أكثر قيلاً من ربع ريال سعودي غير أنها في ميزان الأجور والرواتب هنا، وكذلك في أسعار المأكولات وتكاليف المعيشة تساوي ريالاً سعودياً أو أكثر بمعنى أن المدرس المتوسط في المدارس الحكومية الثانوية يتقاضى راتباً بالروبيات أقل مما يتقاضاه زميله السعودي بالريالات السعودية بكثير.

وقـد بـدأ تخصيص هذه الجائزة ومنذ العام الماضي ١٩٨٦م، ومنحت الجائزة لهذا المعنى لشاعر من بومبي اسمه (علي سردار جعفري).

في بلدة (بيراقل):

خـرجنا إلـى المطار للسفر إلى بومبي فوجدنا الطائرة قد تأخرت عن مـوعدها المحدد لذلك ذهبنا إلى قرية غير بعيدة من المطار اسمها (بيراقل) ذكروا أن سكانها يتألفون في الغالب من سنود الهنادك أي الهنادك الذين كانوا فـي السـند قبل تقسيم القارة الهندية، وإنشاء باكستان فخرجوا من السند إلى الهند مثلما خرج بعض المسلمين من الهند إلى باكستان.

منازل في بلدة السنديين قرب مطار بهوبال

وفـي هذه القرية في الوقت الحاضر عدد من المسلمين بنوا لهم مسجداً في القرية هو الذي قصدناه لأداء صلاة الظهر فيه.

والقـرية سيئة المظهر شوارعها ترابية، وأكثر الممرات فيها هي أزقة غيـر مسـتقيمة، وكان فيها معسكرات للجيش الهندي النظامي ولا يزال فيها عدد منه الآن.

ووقفـــنا عـــند مسجد البلدة وهو مبني بلبن الأسمنت ومسقف بالصفيح وحتى فراشه فإنه قليل وغير مناسب، ويدل مظهر المسجد وحالته على ضيق ذات الـــيد، وقـــد قلـــت لأحد الإخوة المسلمين الذي دخل إلى المسجد يصلي بمفـــرده لأن صـــلاة الجماعة كانت قد انتهت قبل أن نصل: إنه يمكن لكم أن تكتـــبوا إلـــى رابطـــة العالم الإسلامي في مكة المكرمة بطلب المساعدة على إكمال ما يحتاج المسجد إليه وأنا سوف أساعدكم على ذلك.

ومـــع ذلـــك وجدنا في المسجد ما يدل على عناية القوم بمعرفة أوقات الصلاة فنهاك لوحة مكتوبة توضحها وساعة معلقة في الحائط.

في مسجد قرية السنديين قرب مطار بهوبال

وقـــد أدينا الصلاة والتقطت صوراً للمسجد وللقرية، وعدنا إلى ، الذي يبعد عنها بأربعة كيلومترات.

قبل مغادرة بْهُوبال:

لـــم يـــبق على مغادرتي بهوبال إلا وقت قصير رأيت أن أشغله بشيء يتعلق بهذه المدينة التي كانت قد شهدت أمجاداً من أمجاد المسلمين في القديم.

أمجاد بْهُوبال:

مـــن أمجادهـــا أن الملكة شاه جهان بيقم كانت ذات دين وصلاح تولت الملك، وكانت تحكم وتصرف شئون دولتها من وراء حجاب حقيقي إذ لم يكن البرقع يفارق وجهها التزاماً بالستر الذي أمر به الإسلام.

وكانـــت لهـــا حسنات عظيمة من أهمها أنها رضيت بأن تتزوج من السيد صـــديق حســـن خـــان وهـــو طالـــب علم عندما تزوجته، وليس من بيت ملك، وفوضت إليه أمور الدولة، فكان هو الذي يحكم فيها بما أمر الله به، بل كان من أهـــل الحديث الذي يتحرون في كل ما يعملونه ويذرونه من أمور الدين ما صح عـــن رســـول الله صـــلى الله علـــيه وسلم، وعن السلف الصالح، مبتعدين عن الخـــرافات والـــبدع التي أدخلت في الدين في العصور المختلفة، مثل البناء على القبور، وتعظيم أموات الصالحين والأولياء، والانغماس في شطحات المتصوفة.

ومـــن حسنات (شاه جهان بيقم) هذه أنها جلبت إلى مدينة بهوبال مطابع عربية كبيرة طبعت فيها عدداً من أمهات الكتب في الحديث من فنون العلم.

ومن ذلك أن أول طبعة لفتح الباري، شرح صحيح البخاري قد طبعتها بنفقتها الخاصة في بهوبال هذه اشترت المخطوطة من مصر، ووزعت النسخ المطبوعة بالمجان، كما طبعت مؤلفات عدد من مشاهير أهل الحديث والعلماء فـــي الهـــند ومن ذلك جميع كتب الشاه ولي الله الدهلوي وكتب زوجها السيد صديق حسن خان.

كمـــا بـــنت أول مسجد في إنكلترا- فيما يقال- اسمه (مسجد شاه جهان) في (واكند) من ضواحي لندن، وقد بدأ بناؤه في عام ١٨٨٧م وكمل في مدة يسيرة.

ومن مآثرها بناء هذا المسجد العظيم (تاج المساجد) كما سبق.

واحة إسلامية:

وكانـــت بهوبال بمثابة الواحة الإسلامية وسط صحراء هندوكية هي المنطقة الوسطى من الهند التي أصبحت تسمى الآن (مادهيا برديش) أي الولاية الوسطى.

فهـذه المنطقة هي من أقل المناطق الهندية سكنى للمسلمين رغم كون المسلمين قـد حكمـوا أجـزاء مـنها حكماً مباشراً لسنوات طويلة مثل مدينة أندور كبرى مدن الـولاية ومـن أهمهـا الآن في الصناعة والتجارة، فقد كانت قبل أربعمائة سنة فيها مملكـة إسلامية مزدهرة، وكان العلماء المسلمون يقصدونها من أنحاء عديدة من الهند ليدرسـوا فـيها الطلاب، وكان الطلاب يذهبون إليها للدرس والتحصيل حتى قيل: إنه كـان فـيها آنـذاك في أحد الأوقات ما يزيد على مائتين من جهابذة العلماء مجتمعين وكـان للمسـلمين مملكـة عظـيمة لا تبعد عنها كثيراً اسمها (مالوه) لا تزال آثارها الإسلامية باقية حتى الآن، وسوف يأتي الحديث عنها فيما بعد إن شاء الله.

أما بْهُوبال وفي العهد القريب الذي لم يمض عليه قرن من الزمان فإنها كانـت موئلاً لطلاب العلم من الهند، ومن خارج الهند حتى اشتهر من علماء نجـد من ذهبوا لطلب العلم فيها والاستفادة من حاكمها الجليل السيد (صديق حسـن خان) رحمه الله منهم الشيخ سعد بن حمد بن عتيق والشيخ إسحق بن عبدالرحمن بن الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله.

وكان في بهوبال رغم وقوعها في محيط هندوكي كافر أربعمائة مسجد وفي باقي إمارة بهوبال أربعمائة مسجد أخرى.

ولا تـزال (بهـوبال) حتى الآن من الناحية النسبية كالواحة المسلمة في صحراء هندوكـية لكـون نسـبة المسـلمين فيها تبلغ حوالي ٣٥./. وإن كانت في عموم ولاية مادهـي بـراديش لا تـتجاوز ٥./.، فالمعاهـدة التـي عقدها النواب حميدالله خان مع الحكـومة الهـندية المركـزية تقضـي بأن تحافظ الحكومة الهندية على الطابع الثقافي الإسـلامي للمدينة، وأن تحافظ حتى على دفع رواتب أئمة المساجد ومؤذنيها التي كانت تدفع من قبل حكومة (بهوبال) من أوقاف المسلمين أو من أعمال الدولة نفسها.

وقال لي أحد الإخوة: إن الهنادك المسئولين في المدينة لا يعارضون في ذلـك لأنهم كانوا يعلمون أن حكام المسلمين وبخاصة النواب الأخير حميدالله خان كان يعدل في معاملته لأهل الأديان الأخرى ومنهم الهنادك.

هكذا قالوا:

أكاديمية نواب صديق خان:

ومـــن مظاهـــر عدم بغض الهنادك المواطنين في هذه المملكة الإسلامية في الســـابق للحكـــام المســـلمين أنهم أنشأوا منذ عدة أيام فقط ما سموه أكاديمية نواب صـــديق خـــان والنواب بفتح النون هو الأمير أو الحاكم للمملكة الصغيرة في الهند قبل الاستقلال، ويترأس هذه الأكاديمية التي أنشأتها الولاية رجل هندوكي.

وهـــدفها التعـــريف بالسيد صديق حسن خان، ونشر مؤلفاته في داخل الهند وخارجها، وشرح آرائه العلمية، وهي أكاديمية شبه حكومية، وتضم في عضويتها مسلمين وغير مسلمين من العلماء المعنيين بأمر السيد صديق حسن خان.

ومـــن أعضـــائها أحـــد أحفاد ابن السيد صديق حسن خان (سيد مجيب حسن) وهو موظف حكومي في إدارة التعليم في بهوبال.

وقـــد عقـــدت الأكاديمية احتفالاً كبيراً في اجتماعها الأول قبل يومين افتتحه رئيس وزراء ولاية مادهيا براديش أي الولاية الوسطى التي عاصمتها بهوبال.

مغادرة بهوبال:

في الساعة الثالثة والنصف من بعد الظهر غادرت مدينة بهوبال على طائرة صغيرة ذات محركين مروحيين فيها اثنان وأربعون راكباً قاصدة بومبي.

وهبطت الطائرة في مطار مدينة أندور التي هي أكبر المدن في المنطقة ثم غادرتها إلى بومبي وهي طائرة سيئة خالية من تكييف الهواء، وربما كانت أيضـــاً خالية من تكييف الضغط فقد شعرت بضيق في التنفس فيها وأصابني صـــداع شـــديد لم أشعر بمثله من قبل على كثرة ركوبي للطائرات صغيرها وكبيرها في أنحاء العالم المختلفة.

ووصلنا مطار بومبي في السادسة مساءً حيث سكنت في فندق (سنشور) الكبر الجيد قرب المطار.

الرحلة الثانية

يوم السبت ٥/٤/١٤١٢هـ- ١٢/١٠/١٩٩١م:

من الرياض إلى دلهي:

ركبت طائرة الخطوط السعودية العملاقة من طراز ٧٤٧ المعروف باسم جامبو، ولكن موظف الترحيل أخبرني أن الرحلة كلها سياحية بمعنى أن الطائرة ليست فيها درجة أولى، وتذكرتي مقطوعة على الأولى وحجزي كذلك إلا أن بعض الطائرات قد وضعت مقاعدها لتكون كلها سياحية تستعملها مؤسسة الطيران السعودية لنقل أكبر عدد من الناس في أوقات المواسم كالحج والعمرة، كما تستعملها طول العام في الخطوط التي يزدحم عليها الركاب من العمال ونحوهم ممن لا يركبون إلا في السياحية ومنها هذه الرحلة، إذ أكثر الركاب فيها هم من العمال الهنود والموظفين في الشركات في بلادنا، وقد تجلى وجودهم عند ممر الدخول إلى الطائرة إذ كان جمعهم كثيراً ازدحم بهم الممر من باب الطائرة إلى باب المغادرة في مطار الرياض، مما ذكرني بالزحام في الهند، ومنه شيء آخر ذكرني بذلك وهو رائحة العرق وبعد العهد بالاستحمام مما يعني أن رحلة الهند بدأت من مطار الرياض فعلاً.

غادرت الطائرة مطار الرياض في الحادية عشرة ظهراً إلى الظهران واستغرق الطيران خمسين دقيقة غير أن اللبث في المطار استمر ساعة وعشر دقائق.

وأعلنوا عند الإقلاع من الظهران أن السفر إلى دلهي سيستغرق ثلاث ساعات وربعاً.

امتلأت الطائرة على سعتها بالركاب الذين كلهم تقريباً من أهل الهند فلا يكاد المرء يرى غيرهم، ولذلك لم يوزعوا علينا صحفاً وجرائد إلا بعد قيام الطائرة من الظهران.

وقدموا لنا غداء جيداً مع خدمة جيدة كانت تقوم عليها مضيفات من المغرب

العربي، ومضيفون فيهم سعوديون وآخرون من عرب الشمال الإفريقي.

ومـــن الطريف أن جاري في المقعد كان هندياً مسلماً صلى العصر في الطائـــرة مـــتجهاً إلى جهة الطائرة مع أنها جهة الشرق لا جهة الكعبة، فلما أخبـــرته بأن القبلة إلى خلف الطائرة وإنه الآن متجه إلى القارة الهندية لا إلى مكـــة المكـــرمة أجـــاب أنه لا فرق فالله موجود في كل اتجاه وقال ما معناه: الأرض كروية والاتجاه للمشرق معناه إلى الكعبة ولكن من مكان بعيد وكذلك صلى المغرب بهذه الطريقة.

ولاشـــك في أن كلامه غير صحيح، وإنما يكون صحيحاً إذا كان المرء فـــي مكان بعيد يكاد يستوي فيه بُعده عن مكة من جهة المشرق والمغرب كما حصل لي عندما كنت في جزر المحيط الهادئ الجنوبي وهي تونغا وساموى وجـــزر كوك، فهناك يكاد يستوي البعدان عن الكعبة فيمكن للمرء أن يصلي إلـــى الجهـــة التي يترجح لديه أنها أقرب إلى مكة المكرمة سواء أكانت جهة المشرق أو جهة المغرب.

بل إنه إذا عرف تساوي المكان الذي هو فيه بالضبط في البعد عن مكة المكـــرمة فإنـــه يجوز فيه أن يصلي هو إلى جهة المشرق ويصلي مسلم آخر بجانبه جهة المغرب وتكون صلاة كل واحد منهما صحيحة.

وفي هذا المكان كما في غيره يتذكر المرء قوله تعالى: (ولله المشرق والمغـــرب فأيـــنما تولوا فثم وجه الله) وهو ما عناه أخونا هذا المسلم الهندي الـــذي صلى اليوم، وإن كان لم يفهم الأمر على حقيقته لأنه خالف آية كريمة أخـــرى وهو قوله تعالى **﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام۞ وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾** أي جهته.

وهـــو فـــي الحقـــيقة ولـــى وجهه شطر الهند لا شطر المسجد الحرام في مكة المكرمة، وتولية الوجه إلى مكة المكرمة معناه أن توجه وجهك إليها لا إلى غيرها.

في مطار دلهي:

وصلت الطائرة مطار دلهي في الرابعة والنصف عصراً بتوقيت المملكة ويساوي السابعة والنصف بتوقيت دلهي، ولذلك كانت الشمس قد غربت عندما هبطت، وكان موظف الترحيل في السعودية قد جعل مكاني عند نافذة في مكان الدرجة الأولى من الطائرة ولم يجعل بجانبي أحداً من الركاب وقد ساعدني هذا على الراحة والكتابة، وساعدني على كوني وصلت مع أول الواصلين إلى مكاتب الجوازات في المطار غير أنني رأيتهم قد علقوا لافتات على مكتبين بأنهما للأجانب (فورنرز) وثلاث لافتات على ثلاثة مكاتب بأنها للمواطنين الهنود، ولم يكن على المكتبين المخصصين للأجانب أي موظف فوقفت عند أحدهما بعد أن بحثت عن مكتب لمن يحملون جوازات (دبلوماسية) فلم أجد.

ومر بي ضابط عليه لباس رسمي فسألته عن مكتب (الدبلوماسيين) فنظر إليّ ولم يجبني بشيء ومضى.

ثم جاء الفرج بأن وصل الأستاذ مجدي أبوعيش القائم بأعمال السفارة السعودية في دلهي، وهو يعتذر ويقول: إن الزحام في الشوارع في هذه الساعات شديد، والطائرة بكرت عن موعدها المعتاد لأنها كانت تتأخر قليلاً في العادة وفي هذا اليوم لم تتأخر.

ومعه موظف هندي اسمه (آصف) يعرفني شخصياً وكان قد استقبلني في مطار دلهي مندوباً من السفارة أكثر من مرة، ومنها مرة لا يزال يذكرها لأنها كانت في شهر رمضان قبل اثنتي عشرة سنة.

أخذني (الدبلوماسي) السعودي إلى قاعة الشرف وهو يحمل كالذي معه بطاقة الدخول إلى ما وراء الجوازات في المطار.

والأخ الهندي (آصف) يسعى في الجواز وغيره ثم بسرعة دخلنا إلى

داخـل المطـار ومررنا بالجمارك دون تفتيش للجواز (الدبلوماسي) الذي لم يطلعـوا علـيه، وإنمـا اكتفوا بالخبر من المرافقين بأنني أحمل جواز سفر (دبلوماسـياً) وقـد وجدت أحد المشايخ وهو (مولانا نذير الحفيظ الندوي) في اسـتقبالي في المطار ممثلاً لندوة العلماء، فكان معي حتى دخولي الفندق، ثم حجـزوا لـي من دلهي إلى (بهوبال) في الطائرة التي تغادر إلى بهوبال في السادسة والثلث من صباح الغد.

ولذلك رأيت قضاء هذه الليلة في أقرب فندق جيد من المطار وهو فندق سنشـور مـن فـنادق الدرجة الأولى، وأجرة الغرفة فيه لليلة (٦٥) دولاراً أمريكياً بعد تخفيض ٢٠٪ للجواز السياسي، ولا يقبلون الأجرة من الأجنبي إلا بالعملة الصعبة.

ومـن الطـريف أنني سألت شخصاً من الفندق رافقني إلى الغرفة عن القبلة وهو غير الحمال الذي حمل أمتعتي وغير موظف السفارة آصف، فأشار إلـى جهـة القبلة وأخذ يدقق في ذلك فسألته: أأنت مسلم؟ فأجاب لا، هندوكي لكنه يعرف القبلة من المسلمين ومن اتجاه المساجد.

وطلـبت مـاء معدنياً للشرب وهو موجود الآن عندهم فجاءوا بزجاجة متوسطة حسبوها بأربعين روبية أي بدولار وربع.

يوم الأحد ١٤١٢/٤/٦هـ:

السفر إلى بهوبال:

كـــنت طلـــبت من أهل الفندق أن يوقظوني في الخامسة إلا ربعاً، وقد استيقظت قبل ذلك وأنا أعرف ذلك من نفسي بأنني لا احتاج إلى من يوقظني ولكنني ذاهب إلى مؤتمر هناك موعده العاشرة ضحى ولا أريد المخاطرة.

وفي الموعد المحدد رنَّ جرس الهاتف في الخامسة إلاَّ ربعاً يوقظني فكلمتهم وبعد دقيقتين رن ثانية وقالت المتحدثة أردنا أن نتأكد أنك قد استيقظت.

ركـــبت مـــع ســـيارة أجـــرة إلى المطار الداخلي وهو أبعد عن فندق (سنشـــور) مـــن المطار الدولي الذي قدمت منه البارحة ودفعت أجرته (٦٠) روبية وتساوي دولارين بالسوق الحرة، وببعد عن الفندق عشرة كيلومترات، وعند ركوب سيارة الأجرة وهي قديمة مهلهلة من طراز قديم من (امباسدور) التي تصنع في الهند أسرع حارس في الفندق يفتح لي الباب من دون أن آمره مـــثلما يفعـــل بعـــض العمال المصريين الذين يرجون بذلك شيئاً منك وإذا لم تعطهم ولو قليلاً غضبوا.

عندما وقف السائق أمام المطار الداخلي بادرنا عدة حمالين وليس معي إلا حقيبة واحدة يشق علي حملها، فأومأت إلى أحدهم بأن يحملها ولكنه أمسك بـــيد آخر والحقيبة خفيفة فسار معي حوالي أربعة أمتار حتى الباب الخارجي للمطار لأنه لا يسمح بدخول المطار إلا للمسافرين حتى الحمالين لا يسمح لهم بالدخول، وقال الحمال: نحن اثنان فأعطيتهم عشر روبيات فسروا بذلك.

ولـــم أجد في مكتب الترحيل إلى بهوبال أحداً، إذ كان معظم الركاب قد وصلوا قبلي مع أنني كنت مبكراً فأسرعوا إنهاء الإجراءات إلا أن البطء كان عند ضباط الأمن وهم عدة، ويفتشون الجسم بآلة كهربائية. وباليد كما يفتشون الحقيبة بالكهرباء وباليد.

ولـــم يعرف الضابط آلة كهربائية للحلاقة كانت في حقيبتي ولما أخبرته بعملها تعجب.

وقـــد أســـرعت في قاعة الترحيل إلى فتي يصنع الشاي فأعطاني كأساً من الشـــاي بفـــنجان من اللدائن بثمن روبيتين فقط، وهذا منتهى الرخص إذ معناه أن الدولار إذا صرف بالسعر الحر فإنك تستطيع أن تشرب به ١٥ فنجاناً من الشاي!

ثـــم نـــادوا على رحلتنا فوجدنا الطائرة من طراز بوينغ ٧٣٧ المعتادة التي تطيـــرها شـــركة (إنـــديان اير) وهي الشركة الخاصة بالطيران الداخلي إلى جميع أنحاء الهند الواسعة ووجدتها انظف مما عهدتها من قبل ومقاعدها أحسن تنجيداً.

أما المضيفات فإن لباسهن لم يتغير وهو اللباس الهندي الوطني التقليدي المؤلـــف مـــن الساري الطويل الذي يوضع جزء منه على أحد الكتفين ويظل يتدلـــى من الكتف وينزلق عنه كثيراً فتعيده المرأة إلى الكتف كما نفعل نحن بالغترة كما أن الساري يكون طويلاً يضرب إلى الكعبين.

وهو لباس غير رشيق وغير ساتر لأنه يبرز جزءاً من وسط الجسم فيه جـــزء من بطن المرأة وظهرها، وهو أيضاً متعب للمرأة بطوله الذي يجعلها تسير، وهي تتعثر بأذيالها.

ولم يراعوا في المضيفات الجمال وحده بل اللياقة والتعلم لأنهن لسن من أجمل الجميلات عندهم.

لـــم تمتلـــئ الطائـــرة بالركاب خلاف العادة التي عرفتها في مثل هذه الـــرحلات الداخلـــية، وخُـــيِّل إليَّ أنني رأيت في هذه المرة تحسناً في خدمة الطائـــرة، بل وفي مظهر الركاب، وربما كان مرجع ذلك إلى كونهم من أهل العاصـــمة التي تقع في شمال البلاد، وتقع فيها المؤسسات والشركات، مع أن الـــذي لاحظته بعد توقف عن زيارة الهند لفترة، أن ضيافة الطائرة هذه المرة كانت أكثر سخاء من ذي قبل.

والشـــيء الذي لم يتغير في ركاب الطائرات الهندية هو كثرة العطاس والسعال، وقلة المناديل الورقية التي يضعها المرء على فمه وأنفه حين يعطس أو يسعل.

قامـــت الطائـــرة في الساعة السادسة والنصف متأخرة ١٠ دقائق عن المـــوعد المحـــدد لقـــيامها في الأصل وهو لا يعد تأخيراً في عرف شركات الطيران الدولية، فلا تعتذر للركاب عنه على سبيل المثال.

وقـــد نهضت من مطار (دلهي) قبيل بزوغ الشمس لذلك ما أن ارتفعت قليلاً عن الأرض حتى بدأ قرن الشمس يسبح في جو من الضباب، والغمام قد اخـــتلط فـــيه بخـــار المـــاء مع دخان البيوت التي توقد بالحطب، والسيارات والدراجات العالق في الجو.

وأسرعت المضيفات بالضيافة وهي علبة من الورق المقوى فيها فطيرة حلـــوة، وشـــطيرة جيدة من الجبن (ساندويتش) ثم فنجان من الشاي الممزوج بالحليب المحلى بالسكر يأتون به هكذا لجميع الركاب.

ولكن المقادير هنا لا بأس بها فهي أكثر من المعتاد في مثل هذه الطائرة كما سبق.

في مطار قواليار:

هـــبطت الطائـــرة فـــي مطار (قواليار) وهي بلدة قبل بهوبال استغرق الطيران إليها من دلهي ٤٠ دقيقة.

قال الشيخ عبدالحي الندوي الحسني الهندي:

(كوالـــيار) بفتح الكاف الفارسية والواو وكسر اللام وفتح الياء من تحت بعـــدها ألف وراء مهملة، ويقال لها (كواليار) بدون الألف بعد التحتية، حصن منيع على قمة جبل شاهق، كأنه منحوت من الصخر، لا يحاذيه جبل، وبداخله بـــرك المـــاء وأســـفل الحصن مدينة حسنة مبنية كلها من الحجارة المنحوتة،

ومساجدها ودورها وهي الآن في أيدي (مرهته) تحت سلطة الإنكليز، ومدينة (كوالـــيار) قاعـــدة بلادهـــم، يسكن بها ملوك سندهيا، وفيها قبر الشيخ محمد الغوث الكواليري.

انتهى كلامه.

ومطار قواليار صغير هبطت الطائرة على مدرجه هبوطاً خشناً اهتزت له ثم كبح الطيار جماحها بمحركات الطائرة بشدة وعنف.

وهـــذه بلـــدة كانت إمارة هندوكية قبل الاستقلال بخلاف (بهوبال) التي كانـــت إمارة إسلامية يسمونها مملكة، وإن كانت قواليار في القديم داخلة في ممالـــك المسلمين في الهند فإنه في وقت من الأوقات كان للمسلمين في إمارة (قواليار) نفوذ كبير، فكان منهم وزراء وموظفون لدى حكومتها الهندية.

وتعتبـــر مديـــنة تاريخية مهمة، إلا أننا لم نر من المطار إلاّ كونها أقل خضرة وخصباً من بهوبال المملكة أو الإمارة المسلمة السابقة.

ولـــم تطل الطائرة لبثاً في هذا المطار، ولم ينزل من الركاب إلا اثنان كما لم يصعد إلاّ أربعة، ففارقته بعد ٣٠ دقيقة قاصدة بهوبال.

وجـــاءوا بعـــد إقلاعهـــا بضـــيافة جديدة للجميع وهي علبة من الورق المقـــوى، إلا أن فـــيها طعامـــاً أكثر من الأولى ففيها الزبد والمربى والخبز وفطيرة كبيرة حلوة، ثم جاءت المضيفات بعصير من عصير المانجو للجميع.

العود أحمد يا بهوبال:

هبطت الطائرة في مطار بهوبال في التاسعة إلاّ الثلث بعد ٤٠ دقيقة من الطيـــران مـــن (قواليار) فجددت قبل هبوطها عهداً ليس ببعيد بمناظر المدينة ومـــا حـــولها وبخاصـــة بحيرتها التي تزين المدينة، وتلتف حول جهات من جهاتها كما يلتف الساري الحريري الأبيض على أجسام الهنديات السمر.

وأعجبني أكثر كما أعجبني من قبل منظر المساجد ذات المنائر الشامخة التـــي تشق عنان السماء، وكأنها الأصابع المرفوعة بالشهادة لله: **(أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله)**.

ولا غـــرو فهـــي كانت مملكة إسلامية تحكم بالإسلام، بل كانت مقصداً للعلماء الأعلام وطلبة العلم من جميع أنحاء العالم الإسلامي المعروف في ذلك العهـــد وهو القرن الثالث عشر الهجري، حتى من بلادنا قد ذهب إليها جماعة تعلمـــوا فيها وتتلمذوا على السيد صديق حسن خان نوابها- أي حاكمها- وإن كـــان- في الحقيقة- قد أصبح (نواباً) لكونه تزوج من النواب شاهجهان بيقم وريثة العرش البهوبالي العريق.

وعـــندما شـــاهدت جمعاً من الإخوة العلماء المسلمين في استقبالي في مطـــار بهـــوبال هذه المرة ذكرت المرة السابقة التي زرتها فيها ولم يكن في استقبالي أحد، وإنما وفقت إلى أن وجدت أخاً مسلماً يسوق سيارة أجرة ويتكلم الإنكليـــزية بطلاقة فصار لي سائقاً ودليلاً، وقلت في نفسي هذه المرة، (العود أحمد يا بهوبال)!

كـــان فـــي استقبالي في المطار جمع من الإخوة والأصدقاء منهم الشيخ محمـــد الرابع الندوي الأمين العام لرابطة الأدب الإسلامي في القارة الهندية ورئـــيس جريدة الرائد الإسلامية وغيرها وهو عالم وكاتب معروف، والشيخ حبيب ريحان مدير مدرسة دار العلوم تاج المساجد المشرف على جامع (تاج المســـاجد) الذي هو من أكبر المساجد في الهند وذكرته فيما سبق، والدكتور محمـــد لقمـــان خان الندوي الأزهري نائب مدير دار العلوم بسراج المساجد، والشـــيخ أبوالبركات الفاروقي أحد تلاميذي في الجامعة الإسلامية في المدينة المـــنورة، وكنت أعرفه فيها شاباً روقة، والآن أصبح شيخاً قد طار من رأسه الغراب وحل محله الغرنوق كما يقول مثلنا العامي ولذلك لم أكد أعرفه عندما رأيته أول مرة في هذا الصباح وغيرهم.

ركبـــنا الســـيارات إلـــى بهـــوبال وأعجبت أيضاً بالخضرة والأشجار الموجودة في منطقتها تباري الطريق الممتد إلى المدينة.

منظر عام لمدينة بهوبال (تصوير المؤلف)

وقصـــدوا فندقاً جديداً وجدتهم حجزوا لي فيه واسمه (جيهان نوما بلاس هوتـــيل) أي فندق قصر المنظر العالمي، ومع أن من يكون فيه يرى منظره أنـــيقاً لأنـــه واقع في ضاحية متسعة من المدينة غير بعيد من ضفاف بحيرة بهوبال بعيداً عن زحام المدينة ودخان السيارات والعربات فيها، فإنه لا صلة لـــه بمعنـــى العالم (جهان) ولو كان الذين أسموه بهذا الاسم رأوا من مناظر العالم ما رأيته لما جرءوا على أن يسموه بهذا الاسم.

إلا أننـــي وجدته نظيفاً حقاً فالغرفة أثاثها نظيف جداً والذوق في ترتيب غرف الفندق وأفنيته الخضر رفيع.

ويقولـــون: إنـــه ملك لأحد الإخوة المسلمين، ولذلك لم يخبروني بأجرة الغرفة وقالوا: أنت ضيفنا لا تدفع شيئاً للفندق لا من الطعام ولا غيره.

وقـــد أجبتهم إلى ذلك بالسكوت، لأن عادتي أن لا أقبل أن يدفع أحد من أهل المؤتمرات والاجتماعات التي اشترك فيها شيئاً من أجرة الفندق أو غيره عني- وإنما أدفع أنا ذلك عند مغادرتي الفندق.

منطقة الفندق ضاحية مرتفعة ذات منظر جيد ويمكن أن تكون أجمل لو نسقت بشكل أفضل فوسعت شوارعها، وغرست الأماكن المتسعة منها بزهور وأعشاب بهيجة.

ولكـــن مديـــنة (بهوبال) مع ذلك هي جميلة بالنسبة إلى أكثر مدن الهند الشمالية وهي متوسطة الحجم لذلك يقولون: إن كثيراً منهم يحبون أن يسكنوا فيها أو في مثلها.

افتتاح الاحتفال برابطة الأدب الإسلامي العالمية:

كـــان مـــوعد الافتتاح في العاشرة والنصف فجاءت سيارة أخذتني من فندقي (جيهان نوما بالس) فكان ما استرعى انتباهي وجود مسجد جديد أبيض الطلاء عالي المنار.

ومن المعروف أن مدينة بهوبال القديمة هي من أكثر مدن الهند مساجد لكـــونها كانـــت عاصـــمة إمـــارة إسلامية وقد أخبرني أحد إخواني المعنيين بالمساجد من أهل بهوبال أن فيها ٤٥٢ مسجداً من المساجد الرسمية أي التي بنـــيت لـــتكون مساجد ومظهرها مظهر المساجد قال: وأما الأماكن الصغيرة المتخذة مساجد فإنها عديدة أيضاً.

ومـــع ذلـــك فإن المسلمين من أهلها الذين تبلغ نسبتهم فيها حوالي ٣٣./. لا يزالون يبنون المساجد في الضواحي الجديدة التي انتشرت فيها العمارة حديثاً.

واختـــرقت الســـيارة قلب المدينة القديم ذي المظهر الإسلامي الواضح الـــرائع إذْ أيـــنما قلـــب المرء بصره يميناً أو شمالاً أو أماماً رأى مساجد أو مدارس ذات مبانٍ إسلامية جميلة.

تاج المساجد أيضاً:

حتـــى دخلـــنا بـــوابة (تاج المساجد) وهو الجامع الرئيسي في بهوبال الذي تكلمـــت عليه فيما قبل كرر لنا الإخوة ما قيل لنا من قبل من كونه مع باحته يعتبر أكبر المساجد في الهند، ولذلك استحق عندهم هذا الاسم (تاج المساجد).

السرادق الضخم لاجتماع رابطة الأدب الإسلامي

وقد أقاموا في ركن من فنانه الواسع جداً سرادقاً واسعاً يقوم على أعمدة من الحديد وتستره ستائر من القماش القوي المنقوش نصبوا فيها مكبرات الصوت وفيها عندما دخلنا الألوف من الحضور.

رابطة الأدب الإسلامي العالمية:

استقبلني القوم عندما نزلت من السيارة بغاية السرور والترحيب فأنا عضو رسمي في هذه الرابطة وأنا العربي الوحيد، بل الضيف الوحيد الذي جاء إليهم من خارج القارة الهندية، وأنا مع ذلك أشغل وظيفة مهمة في رابطة العالم الإسلامي التي تتعاون مع الجمعيات الإسلامية في الخارج وتقدم الدعم المالي لها.

وفوق ذلك فإنني صديق قديم للسيد أبي الحسن الندوي رئيس الرابطة يرجع تاريخ أول معرفة وثيقة به عندما فتحنا الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة في عام ١٣٨١هـ/١٩٦١م، وكنت أشغل الوظيفة الثانية فيها فكونا لها مجلساً استشارياً ينعقد كل سنتين أسميناه المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة وعينا من أعضائه في الهند السيد أبا الحسن الندوي فكان يحضر إلينا في المدينة المنورة ولكنه لا يقبل أن ينزل كما ينزل بقية أعضاء المجلس على ضيافة الجامعة في أحد فنادق المدينة، وإنما كان ينزل عند أحد الإخوة من سكان المدينة الذين أصلهم من بلاد الهند. وأكثرهم نزولاً عنده هو السيد

(نورولـــي)، كمـــا أننا كنا نعطي كل عضو ثلاثة آلاف ريال بمثابة المكافأة فكانوا كلهم يتسلمونها منا إلا السيد أبا الحسن الندوي فإنه كان يردها ويقول: كيف أقبل مكافأة مالية على إعطاء مشورة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، إنه كان أولى بي أن أدفع ما أستطيع دفعه لهذه الجامعة، ويكفيني من الحضور إلـــى المديـــنة والصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحصل على تذكرة الركوب إليها من الجامعة الإسلامية.

أجلسوني في المنصة الرئيسية التي كان فيها ستة أشخاص في وسطهم الشيخ أبو الحسن الندوي وأنا على يمينه وعن يساره وزير الأوقاف في ولاية مادهي براديش ومع الجميع مشايخ كبار منهم.

المؤلف في المنصة الرئيسية على يساره الشيخ أبوالحسن الندوي والشيخ ريحاني يتكلم في مهرجان الأدب الإســـلامي

وقد حضر الاحتفال حوالي عشرة آلاف شخص.

وهـــذا أمـــر عجيب من أمر أهل الهند كيف يقبلون على الحضور بهذه الكـــثافة وفيهم أناس قدموا من خارج هذه الولاية (الولاية الوسطى) من أنحاء الهند، والموضوع هو موضوع الأدب الإسلامي، ولكن لا شك في أن لوجود السيد أبي الحسن الندوي على راس الاحتفال جاذبية خاصة.

وقــد نظم الاحتفال بالاتفاق مع مدرسة دار العلوم تاج المساجد وهي مدرسة إســلامية كبيرة أسسها الشيخ محمد عمران الندوي في جانب من هذا الجامع الكبير (تاج المساجد) وصارت تستقبل الطلبة الذين يقيمون فيها ويعيشون داخلها.

وقــد نمت واتسعت وكثرت مبانيها بسبب صلاح مؤسسها وإقبال الناس على التبرع لها ولذلك أصبحت تتسع لاستضافة الحاضرين من خارج بهوبال لحضــور هذا الاجتماع فخصصت لهم ٤٨ غرفة يقيم فيها ضيوف هذه الندوة ويأكلون ويشربون طيلة أيام الاجتماع الثلاثة.

والشيء الذي لم توفره رابطة الأدب الإسلامي العالمية ولا (دار العلوم تاج المساجد) هو تذاكر القطار أو الطائرة فعلى من يحضر أن يدفع ذلك من جيبه الخاص، وهذا أمر مفهوم معمول به في مثل هذه المؤتمرات.

برنامج الاحتفال:

كــان احتفالاً مهيباً بدأ بتلاوة قرآنية كريمة من طالب في هذه المدرسة (دار العلوم تاج المساجد) أدى التلاوة أداء لا بأس به وهو جالس فقد خفضوا له لاقط مكبر الصوت الذي يقف الخطباء أمامه احتراماً للقرآن الكريم.

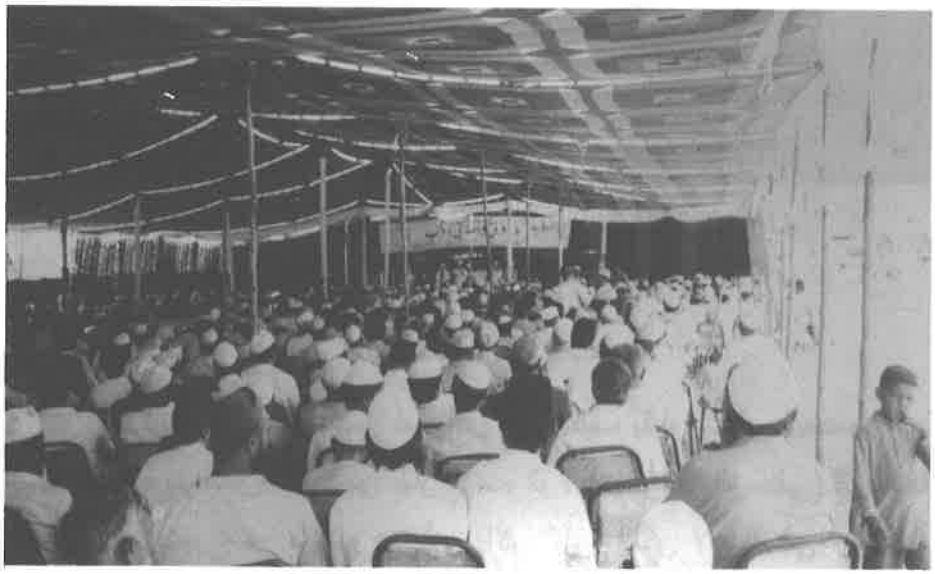

منظر آخر لسرادق الاحتفال وكثرة الحاضرين فيه

وكانت تلاوته من سورة إبراهيم مبدؤة بقوله تعالى **﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء توتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾** .

وكانت الفقرة الثانية بعد التلاوة قصيدة لشاعر المسلمين في الهند في الأزمنة الأخيرة محمد إقبال رحمه الله، عنوانها (فضل لا إله إلا الله) وهي بالأوردية كما نظمها ناظمها ذات مقاطع موزونة مقفاة ويتكرر فيها مقطع **(لا إله إلا الله)** بين كل بيتين، وقد قرأها أحدهم بصوت منغم شجي.

ثم تلت ذلك ترجمة باللغة الأوردية لقصيدة الشارع المشهور عمر أبي ريشة وقد ألقاها مترجمها الشاعر بالأوردية (طفيل أحمد الندوي) إلقاء شعرياً مؤثراً، أعقبه الدكتور عبدالله عباس الندوي فألقى القصيدة نفسها بالعربية كما نظمها الأستاذ عمر ابوريشة، قالوا: من أجل أن يفهمها ضيفنا العربي.

وهذا هو النص العربي للقصيدة:

أمَّتي، هَل لكِ بَيْنَ الأمم ... مِنْبَرٌ للسِّيفِ أو لِلقَلَم؟
أتلقاكِ وطَرْفي مُطرقٌ ... خَجَلاً من أمْسِكِ المُنْصَرِم
ويكادُ الدَمعُ يَهمي عابثاً ... ببقايا كِبْرياء الأَلَم!
أينَ دُنياكِ التي أوْحَتْ إلي ... وتَري كُلَّ يَتيم النَّغَمِ
كم تخطَّيْتُ على أصْدائهِ ... ملْعَبَ العِز ومَغْنَى الشَّمَمِ
وتهاديْتُ كأنِّي ساحِبٌ ... مِئْزَري فوقَ جِباهِ الأنجُمِ
أمّتي ! كم غُصَّةٍ دامِيةٍ ... خَنَقَتْ نَجْوى عُلاكِ في فَمي
أيُّ جُرح في إبائي راعِفٍ ... فأتَاهُ الآسي، فلم يَلْتَئِم
ألإسْرائيل تعلو رايةٌ ... في حِمى المَهْدِ وظِلِّ الحَرَمِ
كيفَ أغْضَيْتِ على الذُّلِّ ولَمْ ... يَشْتَفِ الثَّارُ ولَمْ تَنْتَقِمي
إسمَعي نَوْحَ الحَزانَى واطْرَبي ... وانظُري دمعَ اليَتامى وابسِمي
ودَعي القادَةَ في أهوائِها ... تَتَفانى في خَسيس المَغْنَمِ!

رُبَّ «وامُعْتَصِـــماه» انطلقـــتْ ... مـــلءَ أفـــواهِ البَـــناتِ اليُـــتَّم
لامَسَـــتْ أســـماعَهُمْ لكِـــنَّها ... لـــمْ تُلامِـــسْ نَخْـــوَةَ المُعْتَصِمِ!
أمّتـــي ! كـــم صَـــنَمٍ مَجَّدتِـــهِ ... لـــمْ يكُـــنْ يَحْمِلُ طُهْرَ الصَّنَم!
لا يُـــلامُ الـــذّئبُ فـــي عُدْوانِهِ ... إنْ يَـــكُ الرّاعـــي عَـــدُوَّ الغَنَم
فاحبســـي الشّكوى فلو لاكِ لَما ... كـــانَ فـــي الحُكْمِ عَبيدُ الدِّرْهَم

وكان القوم يستمعون بتأثر إلى هذه القصيدة وغيرها من الكلمات باللغة الأوردية تأثراً منبعثاً من إيمانهم العميق بالإسلام.

وكـــان الشاعر الأوردي الأخ طفيل أحمد الندوي يلقي ترجمة القصيدة بقصيدته الأوردية وهو يكاد يبكي، بل خيل إليَّ أنه بكى تأثراً من معانيها، أو هكذا أراد أن يتأثر المستمعون لترجمتها كما تأثر هو بأصلها.

جانب من سرادق اجتماع رابطة الأدب الإسلامي في بهوبال

ثـــم ألقـــى الأستاذ (حبيب ريحان خان الندوي الأزهري) كلمة رئيسية مهمة مطولة باللغة الأوردية ضمنها تاريخ (دار العلوم تاج المساجد) هذه بل تاريخ هذا الجامع الكبير.

وحــق لــه أن يتكلم في ذلك فهو ابن الشيخ (محمد عمران الندوي) رغم عــدم وجود ما يوحي في اسمه بذلك فحبيب ريحان هو كله اسم له دون اسم أبيه وهكــذا أهــل الهند يعتمدون على اسم الشخص نفسه واسم المدرسة التي تخرج فــيها دون اسم أسرته، وإن كان الاسم غالباً يتألف من اسمين أو لنقل من كلمتين مــثل (حبــيب ريحان)، هذا وقد يكون مؤلفاً من مضاف ومضاف إليه مثل اسم الشيخ الذي استقبلنا في مطار دلهي (نذير الحفيظ) وهو نذير كأنه منذور للحفيظ وهو الله سبحانه وتعالى، وليس في هذا الاسم أي شيء يشير إلى اسم أسرته.

تكلم الشيخ حبيب ريحان بالأوردية ولكنه التفت إليَّ قبل أن يمضي في الكــلام وتكلــم بالعــربية معتذراً عن كون كلمته بالأوردية وهي مكتوبة بل مطبوعة ذاكراً أنه سوف يترجم إلى العربية ملخصاً لها يعطيني إياه.

وقــد كــرم فخصني بمزيد من الثناء كما كان مقدم الحفل قد فعل كذلك وأثنى عليَّ ثناءً لا أستحقه وهو يعرف الحاضرين عليَّ.

فكــان مما جاء في كلمة الشيخ (حبيب ريحان) مدير معهد (دار العلوم تاج المساجد):

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفســنا وســيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أمــا بعد: حضرة صاحب الفضيلة ضيف الشرف الأستاذ محمد ناصر العبودي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي – حفظه الله ورعاه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أهنئ نفسي وبلدي وأعضاء الرابطة الأدبية الإسلامية وخدام دار العلوم تــاج المســاجد والحاضرين الكرام بقدوم سعادتكم في هذا الاحتفال المبارك الــذي جمعــنا بســماحة أستاذنا الشيخ الداعية الكبير السيد أبي الحسن علي

الحســـني الندوي حفظه الله، وأهل العلم والفضل والأدب من مختلف المعاهد الإسلامية والجامعات الهندية.

وأرحـــب بكم أشد ترحيب وأشكركم الشكر الجزيل من أعماق القلب وأغوار الفؤاد فمجيء سيادتكم في هذا الحفل كطلوع شمس البهجة والسرور على قلوبنا.

حضـــرة صاحب الفضيلة: جئتم من بلد الله الحرام الذي جعله الله مثابة للـــناس وأمنا، البلد الذي سواء العاكف فيه والباد، البلد الذي طلع منها شمس الهداية ونزل فيها كتاب الهداية للناس أجمعين، وبعث فيها رسول الهداية النبي الخـــاتم صلوات الله وسلامه عليه وعلى أصحابه واتباعه إلى يوم الدين وأنتم هنا مندوب هذه الرسالة الخالدة التي أشرقت بنورها الأرض.

جئتم من بلد مولد هداية النور، من المملكة السعودية هذا البلد الإسلامي العربـــي العظـــيم الذي أنار طريق الهداية لجاهلية القرن العشرين وأقام حكم الكـــتاب والســـنة فـــي عـــالم الظلام والتدهور، العالم الذي جعل البرلمانات والنظريات التي تبناه الناس دستور الحياة وترك حكم الله في هذا الكون أقامت المملكـــة العربية السعودية الدولة الإسلامية في ظل مؤسسها الملك عبدالعزيز رحمه الله، وهي الدولة الوحيدة في هذا العالم التي قامت في العصر الحاضر علـــى الكـــتاب والســـنة، ورضيت بمنهج الله في الحياة وهي تخدم الحرمين الشـــريفين وتسهر في راحة ضيوف بيت الله الحرام فتبلغوا عنا أحسن كلمات الخير والتهنئة لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه الله.

صاحب الفضيلة:

حضـــوركم في هذا البلد شرف كبير لنا، وهذا المسجد العظيم من مآثر تاريخ الإسلام في الهند وهو من أكبر مساجد الهند على الإطلاق وبناه النواب شـــاهجهان بـــيجوم الملكـــة المسلمة التقية البارة وبقيت ناقصة الأجزاء بعد وفاتها- لأسباب سياسية واقتصادية- نصف قرن حتى هيئ الله لبنائه شخصية فذة من شخصيات الإسلام في الهند ألا وهو فضيلة الشيخ محمد عمران خان

الندوي الأزهري رحمه الله الذي وافاه الأجل في سنة ١٩٨٦م، وهو الذي أقام في عرصات هذا المسجد المعهد الإسلامي العربي الكبير باسم (دار العلوم تاج المساجد بهوبال) وتعتبر هذه الدار من أهم معاهد الهند الإسلامية الآن، وقد تم من عمرها ٤١ سنة وفيها شعبة حفظ القرآن الكريم.

وتدرس فيها العلوم الإسلامية والعربية من تفسير وحديث وفقه وأصول وميراث ونحو وصرف وبلاغة وغيرها، كما تدرس مبادئ العلوم الجديدة واللغات الإنجليزية والهندية فضلاً عن اللغة الأوردية والفارسية وتحافظ الدار على تراث المسلمين وعلى اللغة العربية المجيدة الحبيبة إلى قلوبنا لغة القرآن والسنة، ولغة النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم، لغة أهل الحق والنور ولغة أهل الجنة.

وقد أرسى حجر الأساس في مشروع تكميل الأجزاء الناقصة من تاج المساجد سعادة السفير السعودي سنة ١٩٧١م، وبتبرعات أهل الخير من الهند وغيرها من الأقطار قد تم والحمدلله مشروع تكميل الأجزاء الناقصة من هذا المسجد العظيم ولم يبق غير تصليح وترميم السقوف التي بقيت كذا في الشمس والماء حوالي مئة سنة وعندنا الآن كمشروع ضخم إنشاء الله لتصليح السقوف.

واجتمعنا هنا اليوم بدعوة من الرابطة الإسلامية الأدبية العالمية وهي رابطة تجمع أصحاب العلم والقلم الذين يقولون بألسنتهم وقلوبهم (رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً نبياً) واختاروا لأنفسهم المنهج الذي أقامه الله للحياة وأنكروا مناهج الطاغوت والعلمانية وطواغيت الإنس والجن والشرق والغرب.

والأدب له قيمته في بناء الفرد والمجتمع فإذا انحرف الأدب انحرف الفرد والمجتمع، فلابد من تصحيح الأوضاع وعلاج الأمراض في ضوء الطب الإلهي وكتاب الهداية الذي فيه شفاء لما في الصدور والعقول، ولابد من جعل الأدب والقلم واللسان وكل ما خلقه الله ورزقه للإنسان في خدمة الله سبحانه وتعالى وخدمته يعني خدمة الإسلام وهداية الناس إلى يوم القيامة للمنهج الذي أقامه الله لهداية البشر.

والإســـلام هـــو العـــبودية الكاملة لله سبحانه الباري الخالق المصور، ورضـــاء الإنســـان بقانـــون الحياة الذي أنزله الله لسعادة البشر في الدارين والعـــبودية فـــي الإسلام وأشكالها ومظاهرها من الطاعة، والتذلل والخضوع والخشـــوع والإنابـــة والاخبات والرجاء والخوف والعبادة والاستعانة كلها لله وحـــده لا شريك له في ذلك، ووضع الإسلام توحيد الله سبحانه وتعالى وأبعده مـــن كل شائبة شرك وشبهة، فالله هو الخالق المالك الرب والعبد هو المخلوق المـــربوب فلابـــد له أن يرضى بأمر الله التشريعي، كما هو راضي بحكم الله التكويني ويحتوي لفظ الإسلام معنى السلام والأمن أيضاً فهو طريق العبودية لله والسلام للبشر في الدنيا والآخرة.

وموضـــوع المذاكرة العلمية أدب الدعوة والإصلاح فيجب على المسلم دائمـــاً أن يدعـــوا الناس إلى جميع أنواع الخير والبر والإسلام جامع لجميع أنـــواع البر والخير، فدعوة الإسلام يعني دعوة الخير والبر والهداية والأمن والطمأنينة للبشرية الحائرة في ظلام الكفر والشرك والطاغوت والطغيان.

وفـــي الـــنهاية اشكر من صميم قلبي حضرة صاحب الفضيلة محمد بن ناصر العبودي مساعد أمين عام الرابطة الإسلامية كما اشكر حضرة صاحب الفضـــيلة رئيس الحفل السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي، وأشكر العلماء الأفاضـــل وأســـاتذة الجامعات الهندية العظام والحاضرين الكرام على قبولهم دعوتنا والحضور في هذا الحفل المبارك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وكـــان مقـــدم البرنامج يقدم المتكلمين بالعربية أولاً مراعاة لوجودي ثم بالأوردية.

كلمة الأمين العام للرابطة:

الشيخ محمد الرابع الندوي يتكلم في الاجتماع

بعد أن انتهى الشيخ (حبيب ريحان) من كلمته بالأوردية تقدم إلى المكبر الشيخ السيد محمد الرابع الندوي الأمين العام لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في القارة الهندية فأثنى عليَّ جزاه الله خيراً ثناءً لا استحقه وبين أنني عضو في هذه الرابطة وأنني ألفت عشرات الكتب في الرحلات وبيان أحوال المسلمين مما هو ضمن نطاق الأدب الإسلامي الذي أسست هذه الرابطة من أجل رعايته كما نوه بزياراتي للمسلمين في مختلف أنحاء العالم، بل ذكر لهم أنني زرت العالم كله.

ثم ألقى تقريره بالأوردية ذاكراً أنه سوف يقدم لي ملخصاً له بالعربية.

ثم ألقى السيد أبوالحسن الندوي رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية كلمته مكتوبة بالعربية رأيت أن أثبت نصها العربي وإن كان يخرج في بعض الأحيان فيعلق عليها بالعربية لإيضاح بعض الكلمات وهي:

أدب الدعوة والإصلاح:

الحمـــدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين، وبعد:

فـــيقول الله تـــبارك وتعالـــى: **﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشـــجرة طيّـــبة أصـــلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس لعلّهم يتذكرون﴾**[1].

الشيخ أبوالحسن الندوي يتكلم وهو جالس على يمينه المؤلف

ســـادتي وإخواني ! إن هذه الآية الكريمة بنصّها وفصّها معجزة كاملة، وكل كلمة فيها معجزة في مكانها، لا بديل لها ولا عوض، وما يمكن أن يوجد تصوير للكلام البليغ الدعوي، والأدب المؤثر الهادف، ليس المغير للتفكير بل المغيـــر للمســـير والمصـــير، ولقـــدرة نفوذه في القلوب والنفوس والعقول، ولاحـــتوائه علـــى أكبر مساحة مكانية وعلى أكبر مساحة زمانية في التأثير والـــنفع من هذه الآية، فالله سبحانه وتعالى يقول: **﴿ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء﴾**.

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٢٥.

الشـــرط الأول: أن تكـــون الكلمـــة طيبة فلا قيمة للكلمة عند الله وعند رســـوله وعند من شرح الله صدره للحقيقة إذا لم تكن طيبة، مهما كانت لبقة، ومهما كانت بليغة، ومهما كانت ساحرة، ولكنها إذا لم تكن كلمة طيبة فلا قيمة لهـــا عند الله و عند رسوله وعند العارفين بالحقيقة، إن تاريخ الأدب العالمي والشـــعر في مختلف اللغات والأزمنة والبلاد يدلّ على إهمال اتصاف الكلمة الأدبـــية والبيانية بالطيبة بصفة عامة، يبرهن على ذلك تاريخ الأقطار الثقافي التي سلمت لها الزعامة في الأدب والفلسفة والعلوم الرياضية، كيونان وإيران، وبلاد الغرب، والهند، قبل أن يصل إليها الإسلام.

فالشرط الأول أن تكون الكلمة كلمة طيبة، يقول الله عز وجل: **﴿ألم تر كـــيف ضـــرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾**، كانت هنالك أشياء كثيرة، كـــان يمكـــن أن تشبه الكلمة الطيبة بها، كالمعادن الكريمة والجواهر الغالية وبالآيات، والقوى، وبالطاقات السياسية وغير السياسية، والمادية والعسكرية، ولكن الله اختار للتشبيه شجرة طيبة، ففي هذا الوجود المادي، وفي هذا الكون الواسع والعالم الفسيح، أشبه شيء بالكلمة الطيبة، هي الشجرة الطيبة، فالكلمة الطيـــبة لابـــد أن يكون لها أصل راسخ في الأرض، أصل راسخ في القلب، والشجرة لا تنمو، ولا تثمر، ولا تبقى، ولا تزدهر إلاّ إذا كان لها أصل ثابت، كلاهمـــا لابـــد أن يكـــون لهما أصل ترجعان إليه، وتعتمدان عليه، وكما أن الشـــجرة الطيـــبة إذا نبتت ونمت، فإنها تمتد فروعها إلى مكان قد لا يتصور الغـــارس أن هـــذه الشـــجرة الصغيرة تمتد إلى هذا المكان العالي، وإلى هذا المرتفع وتملأ هذا المكان الفسيح، كذلك الكلمة الطيبة تبتدئ من بداية لا ترى حتـــى بالمكبرة، ولكنها إذا نمت وترعرعت وإذا ازدهرت وأثمرت فإنها تمتد فروعها إلى آفاق السماء وأرجاء الأرض.

ثم إن الله سبحانه وتعالى قد ذكر في هذه الآية الكريمة المعجزة الخالدة، أن إثمـــار هـــذه الشجرة لا يتقيد بزمان دون زمان، وبقرن دون قرن، وببيئة دون بيـــئة، وبفتـــرة زمانية تاريخية دون فترة زمانية تاريخية، بل إنها تؤتي

أكلهـــا كـــل حـــين بإذن ربّها، فمتى كان ظهور الإسلام، ومتى كانت البعثة المحمديـــة وإلى هذا الوقت لا تزال آثارها ملموسة، ملحوظة موقرة محترمة، وهـــي التـــي لـــم تزل تسيطر على العقول والنفوس أكثر مما تسيطر عليها الحكـــومات والمـــنظمات، فتؤتي أكلها كل حين بإذن ربّها، وكان من غرسها المجـــتمعات المؤمـــنة الصالحة الفاضلة، والعلوم النافعة، والمدارس الفكرية السليمة البناءة، والمكتبات الغنية الزاخرة، وعمليات إنقاذ البشرية والتقدم بها، والقضاء على المظالم والاتجاهات الفاسدة ورسوم الجاهلية، والله إنها لمعجزة لو آمن إنسان بسماع هذه الآية فقط كان مصيباً ومحقاً.

أيهـــا السادة! إن الدعوة لها أركان ثلاثة في نظري ودراساتي القاصرة، (ودراســـتي لـــتاريخ الدعوات والنبوءات والرسالات)، تحتاج أولاً إلى حسن النـــية، والإخـــلاص، ثـــم إنهـــا تحـــتاج إلى لغة مفهومة لبقة لائقة بمستوى المستمعين، ولائقة بالزمان والمكان، ومؤثرة تشقّ طريقها إلى أعماق النفوس، وما يكفي أن تكون كلمات مركبة ومجموعة كلمات لبقة، بل يكون فيها سحر وجاذبـــية نفسية وقلبية، والشيء الثالث أن يرافق هذه الدعوة شيء من التألم والرقة والإشفاق على مصير المستمعين.

جانب من السرادق المزدحم بالحاضرين لاحتفال رابطة الأدب الإسلامي في بهوبال

وأحكي لكم حكاية حضرتني الآن، وهي أن أحد أبناء ملوك التتار الذين هاجمـــوا الشـــرق العربي الإسلامي، ودمّروا بغداد كما تعرفون، ودمّروا كل المملكات الإسلامية، حتى كان الناس يتصورون أن الإسلام يلفظ نفسه الأخير، وأنـــه لا مستقبل له في هذا العالم، فتوزع هؤلاء المهاجرون في عدة فروع، فـــرع كان يحكم تركستان وإيران، وكان ولي العهد في ذلك الزمان الذي كان سيتوج في عهد قريب، هو تغلق تيمور، حكى البروفيسور (آرنلد) فـــي كتابه (PREACHING OF ISLAM) (الدعـــوة الإســـلامية) هذه القصة، والقصة كما حكتها المصادر الفارسية والتركية تختلف قليلاً، فالذي يحكيه (آرنلد):

هو أن تغلق تيمور خرج للقنص، وعند القناصين كما تعرفون توهمات وبالأصـــح تشـــاؤمات، وكـــان عندهم أنه إذا وقع نظرهم على إيراني كانوا يحتقـــرون الإيراني إلى آخر نقطة إلى آخر المدى، إذا وقع نظر أحدهم على إيراني فمعنى ذلك أنه لا يوجد الصيد، والتشاؤم، لا أصل له شرعاً، ولكن هو أراد شـــيئاً، والله أراد شيئاً آخر، أراد أن لا يدخل إيراني ولا يقع نظره على إيراني، والله أراد أن لا يدخل إيراني فقط، بل يدخل بنفسه ويدخل ولي العهد في الإسلام بل يدخل فرعاً بتمامه في الإسلام، ذلك تقدير العزيز العليم.

فصـــادف أن الشـــيخ جمـــال الدين وكان صاحب قلب حيّ وصاحب ضمير وشـــعور، وصـــلة بـــالله قوية وعميقة، دخل على غفلة منه، فقبض عليه الشرطي وجـــرّه إلـــى ولـــي العهد، فاستشاط غضباً، وجنّ جنوناً، وما وجد شيئاً يعيّره به ويهيـــنه، إلاّ أنـــه كان عنده كلب، فقال: من منكما أفضل؟ كلبي؟ ونسبه إلى نفسه قصـــداً، فليس كل كلب ككلب الملوك والأمراء المدلل، كلبي أفضل أم أنت؟ فسكت قليلاً، قال: لماذا لا تجيب؟ فالذي يحكيه (آرنلد) أنه قال: إذا لم يكرمنا الله بالإسلام فكـــان ذلك الكلب أفضل، أما إذا أكرمنا بالإسلام، فأنا أفضل، فقال: ما هو الإسلام والإيمـــان؟ فـــبدأ يشـــرح الإيمان بمقدار مناسب وجرعة يستسيغها الأمير في ذلك الوقت القصير والفكر المشغول بالقنص واللهو، وبلباقة لم يطنب ولم يقتصر، فوقع كلامه في أعماق قلبه، وحرّك شعوره، قال: طيّب.

ومـــن هنا كان الإسلام قد شقّ طريقه إلى قلبه، فقال: يا سيدي إذا سمعت أن تغلـــق تيمور تمّ تتويجه، فلابد أن تشرفوه بالزيارة، قال: طيّب إن شاء الله تعالى، وبـــدأ ينتظـــر بمـــا كـــان عنده من حرص على إسلام التتار الفاتحين الغزاة الذين دوّخـــوا العـــالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه حتى كان من الأمثال السائرة- إذا قـــيل لـــك إن التـــتار انهزموا فلا تصدّق- فكان يعدّ الأيام عدّاً، ولكن الله أراد أن يسوق هذه الكرامة إلى ابنه، فلما حضرته الوفاة قال: يا ابني لعلّ الله قد ادّخر هذه الكرامة لك، فإذا سمعت أن تغلق تيمور قد تم تتويجه، فلابد أن تزوره، فزاره.

أما المصادر التركية والفارسيه فيه تقول:- وأنا راجعتها- إنه لما سأله الملـــك أيّكمـــا أفضـــل، كلبي أم أنت؟ قال: والله لا أستطيع أن أردّ على هذا الســـؤال الآن، قال: لماذا؟ السؤال بسيط، والجواب بسيط، أما أن تقول: كلب ابن الملك أو نفسي، قال: لا، هذا يحتاج إلى انتظاره قال الأمير: أي انتظار؟ تعـــرف الكلـــب، وتعـــرف نفسك، قال: لا، إذا ختم لي بالحسنى، ومتّ على الإيمـــان، وعلـــى كلمـــة الشهادة، فأنا أفضل، وأما إذا لم يختم لي على كلمة الشهادة والإيمان، فالكلب أفضل.

هذا كلام له سحر وأي سحر، و الله إن مكتبة كاملة لا تستطيع أن تقابل هـــذه الكلمـــة الـــواحدة، فإن الذي يخرج من القلب يدخل في القلب، قال ولي العهد: طيّب، وأذن له بالانصراف، فذهب، فلما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال: يا ابني لعلّ الله ادّخر لك هذه الكرامة، إذا سمعت أن تغلق تيمور قد تم تتويجه فلابدّ أن تزوره، وتذكره بالقصة.

فلمـــا بلغـــه نبأ تتويجه ذهب يزوره، لكنه لم يسمح له بالدخول في البلاط، فرمـــى ســـجادته بعيداً عن القصر، وصار يصلّي ويؤذن، وفي غير الصبح ما كـــان الصـــوت يصـــل إلى القصر، ولكن في يوم من الأيام طرق أذنه صوت الآذان، قـــال: ما هذا الصوت العجيب؟ وفي غير أوانه، كأن الرجل شبه مجنون ينادي هكذا، أدعوه لي، فدعاه، فقال: من أنت؟ ماذا تفعل؟ ماذا تصرخ وتقول؟

فقال: يا جلالة الملك، لعلك تذكر أنك كنت في قنص وفاجأ دخول شيخ

مـــن العلماء اسمه جمال الدين الإيراني، فتشاءمت بذلك ووجهت إليه سؤالاً، أيكما أفضل، الكلب أم أنت؟ فقال: لا أستطيع أن أجيب على هذا السؤال الآن، قـــال: فمـــاذا تقول؟ قال: أنا أشهد أنه ختم له بالحسنى، وأنه مات وهو يلفظ بكلمـــة الإسلام، وهو **(أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله)**، فأســـلم ابن الملك التتاري ودعا رئيس الوزراء، وقال: أنت وشأنك، قرر ماذا يكون مصيرك، أما أنا فقد اعتنقت الإسلام، وآمنت بالله وبرسوله، فقال: والله يـــا جلالـــة الملك، أنا كنت قد أسلمت قديماً، ولكني كنت أخفي إسلامي، فدعا رجال البلاط وقادة العسكر ورجال الحاشية، فكلهم أسلموا.

فلابد أيها السادة! أن يرافق الدعوة كل ما يجب أن تتصف به الدعوة من قوة إفهام واقناع، ودلائل علمية وبلاغة بيانية وشيء من الألم النفسي وشيء من الشعور الدافق الذي ملك القلب.

وأخـــتم هـــذه الكلمة المستعجلة بما ذكرته ونوّهت به من بعض صفات الداعـــية وشـــروط أثـــر الدعوة وعملها في القلوب، وفي المجتمع المعاصر المكـــوّن من طبقات مختلفة من البشر ومستويات مختلفة متفاوتة من العقول والأفهـــام والاتجاهـــات والحرف والصناعات ما قلته في الحديث عن الإمام عـــبدالقادر الجيلانـــي فـــي الجزء الأول من كتابي (رجال الفكر والدعوة في الإسلام) وإلى المستمعين الكرام هذه السطور المنقولة من الكتاب:

(ويجـــب أن يكـــون هـــذا الداعي صاحب بيان ولسان، يخاطب العلماء والمثقفـــين فـــي أسلوبهم والعامة في أسلوبها، ويجب أن يكون صاحب نفس زكـــية، وهمة قوية مؤثرة، وعلى جانب عظيم من الزهد والقناعة والعزوف عن الشهوات وكبر النفس، يجد ضعاف الإيمان وضعاف النفوس في مجالسه قـــوة اليقين، وحرارة الإيمان، ويجد أهل الشك والارتياب السكينة والإذعان، ويجـــد أصـــحاب النفوس القلقة والقلوب الجريحة المنكسرة الهدوء، والعزاء والســـلوان، ويجد هواة الحقائق والمعارف وأصحاب الدراسات للعلوم الدقيقة والـــنكت اللطيفة، ويجد أصحاب البطالة والعطلة وأصحاب القلوب الخامدة ما يملـــؤهم حماســـة وإيماناً، وما يحفزهم إلى العمل والجهاد، ويجد عباد اللذات

والشـــهوات والمتـــرفون في الحياة الذين تجرءوا على المعاصي والمحارم ما يبعث فيهم الإقلاع والندامة والتوبة والإنابة، وبالجملة يجد كل أحد في مجالسه غناءه ودواءه وغذاءه وشفاءه، ويقف كشارة عالية من الإيمان والعلم في بحر مـــن الظلمـــات والجاهلية، يأوي إليها الغرقى ويهتدي بها الحائرون، ويخلف الأنبياء في دعاء الخلق إلى الله، ودعوة الناس إلى دار السلام و إخراجهم من الظلمـــات إلى النور، ويخلفون الأنبياء في تهذيب النفوس، وتجديد الصلة بالله تعالى، والتذكير بالآخرة.

إيـــثارها على الدنيا، وتجريد التوحيد، وإخلاص الدين لله تعالى، وذلك كلـــه مـــن أهـــم مقاصد بعثة الأنبياء ومن أعظم أهدافهم، ولا يمكن أن يبقى الإسلام كدين ونظام خلقي، وأسلوب للحياة ودعوة مؤثرة حتى يكون له دعاة مجددون من هذا الطراز)[1].

أبو الحسن علي الحسني الندوي

وعندما فرغ السيد أبوالحسن من كلمته بالعربية وكان يقرأها عاد يلقيها بالأوردية ارتجالاً من دون ورقة، وقد تابعه القوم، وتأثروا بل أنصتوا بتأثر لما قاله، وذلك لمكانته في النفوس، ولفصاحته في التعبير.

وتعتبر كلمته بمثابة الخطاب الرئيسي في هذه الجلسة من جلسات الرابطة.

كلمتي في الاحتفال:

دعونـــي إلى إلقاء كلمتي وكانوا يسموننني ضيف الشرف في اجتماع الرابطة فـــي هـــذه الدورة، بعد أن قدمني تقديماً مجدداً مكتوباً بالعربية والأوردية الدكتور محمـــد لقمـــان محمد خان الندوي الأزهري، وقد علق مقدم البرنامج قبل أن يقدم الدكـــتور محمـــد لقمـــان فوصفه بالأزهري ولم يصفه بالندوي فصحح القوم ذلك وطلـــبوا منه أن يعيد تعريفه بالندوي الازهري، الندوي معناه أنه متخرج من دار العلـــوم نـــدوة العلمـــاء فـــي لكنهو ودارالعلوم هي المدرسة وندوة العلماء جمعية

---

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام، الجزء الأول، ص٢٠٢- ٢٠٣.

إســـلامية معروفة هي التي أسست هذه المدرسة التي صارت مدارس عديدة جامعة فـــي لكـــنهو عاصـــمة ولاية اترابرديش إي الولاية الشمالية والأزهري معناه أنه متخـــرج من الأزهر في مصر، واسم الأخ الدكتور محمد عمران الندوي الأزهري هذا كله اسم له خاصة دون اسم أبيه أو اسم أسرته كما سبق.

تكلـــم الدكـــتور محمـــد لقمان بالعربية ثم الأوردية مترجماً لي معرفاً للجمهـــور بجهـــودي- كما يقول- تعريفاً مجدداً ولم يذكر عملي في الجامعة الإســـلامية في المدينة المنورة فاستدرك عليه الشيخ أبوالحسن وطلب منه أن يذكر ذلك للحاضرين فذكره.

ثم ألقى ذلك مكتوباً باللغة الأوردية حتى يفهمه هذا الجمع الكبير الذي لا يعرف العربية منهم إلاّ المشايخ وطلبة العلم وهم كثر هنا غير أنهم لا يمثلون إلا نســـبة قليلة من الحاضرين الذين فيهم صحفيون وأدباء وأساتذة من أساتذة الجامعات المدنية وفيهم عدد من المثقفين من غير المسلمين، لأن هذه الجلسة هي بمثابة الجلسة الافتتاحية الموسعة.

وقفت أمام مكبر الصوت وكنت أعددت كلمات في ورقتين كتبتهما وأنا في الطائرة بين الرياض ودلهي، ولم يكن من عادتي أن أكتب كلماتي ولكني وجدت بعض المحتفلين يريد مني كلمة مكتوبة حتى يمكنه أن يترجمها ويوزع نصها على الحاضرين.

المؤلف يتكلم بجانبه الدكتور محمد اجتباء الندوي مستعد للترجمة

ولكـــن لـــم يكـــن الوقت يسمح بذلك لهذا تركتها وتكلمت ارتجالاً كلمة مبســـوطة مطولة تضمنت ما في الورقتين اللتين كتبتهما في الطائرة بالمعنى وزيادة على ذلك.

وتطـــرقت فـــي كلمتي إلى موضوعات عدة مما يهم المسلمين هنا من أحـــوالهم وأحوال إخوانهم المسلمين في الخارج وتكلمت عن وضع المسلمين في هذه البلاد الهندية.

كمـــا تكلمت عن وجوب تعاون رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة مـــع (رابطـــة الأدب الإسلامي العالمية) وقلت إننا بدأنا ذلك وكنت أحضرت معـــي خمسة آلاف دولار أمريكية نقداً مساعدة من رابطة العالم الإسلامي في مكـــة المكـــرمة علـــى إقامـــة هذه الدورة لرابطة الأدب الإسلامية العالمية، وأخبـــرت الأخ محمد الرابع الندوي قبل ذلك فذكر لي أن الحكومة الهندية قد أصـــدرت قوانين تمنع منعاً باتاً تسلم أية مبالغ مالية من الخارج إليهم أو إلى غيرهم من المؤسسات الإسلامية لذلك لم أعلنها في كلمتي.

وقلـــت: الحمـــدلله الـــذي خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على المـــبعوث بالإيمان والإحسان رسولنا ومولانا محمد بن عبدالله أفصح ولد عدنان، الـــذي قـــال: أدبنـــي ربـــي فأحسن تأديبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله الكرام وصـــحبه الـــذين نصر الله بهم الإسلام فنشروه فيما عرفوه من البلاد، وهدى بهم العـــباد إلى سبيل الرشاد، وما زال هذا الدين القويم والصراط المستقيم يتجدد على مـــر الدهور، ويزداد اتساعاً على العصور، يحي الله به قلوباً، وشعوباً حتى وصل إلى كل ناحية في الأرض، ذات الطول والعرض.

أمـــا بعـــد: فإننـــي أحمل إليكم تحية إخوانكم المسلمين في رابطة العالم الإســـلامي مـــن مهـــابط الوحـــي ومـــن جوار البيت الحرام منطلق الدعوة الإسلامية، ومهوى أفئدة المسلمين.

وإن رابطـــة الأدب الإسلامي العالمية رابطة عزيزة على قلوبنا جميعاً،

كـيف لا وهـي قائمة على إبراز الجانب المشرق من بيان أهل الإسلام الذي يخاطب القلوب بلغة الأدب الربيع، ويخاطب العقول بالمنطق الصحيح.

وقد نشأت في حضن ذلك الصرح الشامخ من صروح الإسلام في القارة الهـندية وهي دار العلوم ندوة العلماء التي يقوم على العناية بها والرعاية لها علـم مـن أعلام الإسلام المعروفين هو السيد الجليل العلامة أبوالحسن علي الحسني الندوي حفظه الله، وبارك في جهوده.

أيهـا الإخـوة الكـرام: إن رابطة الأدب الإسلامي العالمية تقوم على إبراز الجانـب الناصـع مـن التعبير الإسلامي عن الدعوة، بل وعن شئون الحياة وهو الجانـب الـذي ظـل مطموساً عن الأنظار، مطموراً عن الأفكار بما خلعه بعض الدعاة على نداء الدعوة من جد صارم، بل ما طبع به العلماء المشايخ سائر العلوم الدينـية من الاقتصار على ما كان موصلاً إلى الهدف من جمل وتعبيرات لا تنظر فـي أكثر الأحيان إلى جمال الأسلوب، ولا روعة البيان بقدر ما تنظر إلى جوهر الموضـوع، حتـى غـدت العلـوم الدينية، بل وكل الكتب الدينية في نظر الأدباء والمثقفين من أبناء المسلمين ثقيلة على النفس، صعبة الهضم، بل صعبة الفهم.

ولـو رجعـوا إلـى المنابع الأصلية في الإسلام لرأوا فيها من نصاعة الأسلوب وجمال العبارات، وروعة البيان ما يتنافى مع ذلك أو ما لا يتماشى معه على الأقل.

بـل إن أدب الدعوة من شعر ونثر ومن خطب ومحاضرات مما يحث علـى الاسـتماع، ويسبب الاقتناع. وواجب علينا نحن أعضاء رابطة الأدب الإسـلامي أن نسـعى جاهدين لتبصير إخواننا الدعاة بذلك، وأن نفهم غيرهم وبخاصـة أبناء المسلمين أن الأدب الإسلامي ليس هو أدب التزمت والتحجر الثقيل على النفس، البعيد عن الذوق والجمال.

ومـن هذا المنطلق تلتقي أهداف رابطة العالم الإسلامي بأهداف رابطة الأدب الإسلامي العالمية، أي من حيث خدمة الدعوة الإسلامية.

وعلـــى هـــذا الأســـاس جرت محادثات مهمة ما بين فضيلة السيد أبي الحســـن الندوي وبين معالي الدكتور عبدالله عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي حول زيادة التعاون في المستقبل.

بعض الذين حضروا الاحتفال في السرادق

وقد بحثت رابطة العالم الإسلامي خطة لذلك نرجو أن يظهر أثرها قريباً.

وســـوف تنظـــر الـــرابطة في إمكان عقد إحدى دورات رابطة الأدب الإســـلامي في مقر رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، إلى جانب أوجه التعاون الأخرى بين الرابطتين.

ســـيدي فضـــيلة الـــرئيس، إخواني الحضور: إن انبثاق رابطة الأدب الإسلامي من الهند دليل على عالمية هذا الدين الإسلامي الحنيف الذي من أخذ به قولاً وعملاً فهو من أهله حقاً وصدقاً، ولو كان بعيد الدار، نازح الجوار.

وهـــو دلـــيل أيضاً على عالمية اللغة العربية لغة القرآن الكريم وهو- أيضـــاً- دليل متجدد على كون إخواننا المسلمين من أهل الهند يعملون لدينهم الإســـلامي الحنـــيف في كل المجالات وهذا أمر شاهدته في طول هذه البلاد

الهندية وعرضها، بل شاهدته في مهاجر المسلمين من أهل الهند خارج بلادهم سواء في الأمريكتين أو إفريقيا أو أوروبا، ولا شك أننا نعرف أن علماء الهند القدامى أسهموا في خدمة اللغة العربية بنصيب عظيم يكفي أن نذكر منه تآليف العلامة الصاغاني والعلامة السيد مرتضى الزبيدي صاحب تاج العروس، شرح القاموس.

سيدي فضيلة الرئيس أخواني الكرام: إنني أعتقد أنه من الواجب علينا نحن أعضاء رابطة الأدب الإسلامي العالمية في خارج الهند أن نعمل ما في وسعنا للتعريف بهذه الرابطة المهمة وأن نسعى إلى أن تصل منشوراتها إلى أيدي الأدباء والباحثين في البلدان الإسلامية كلها، إلى جانب العمل على تشجيعها بشراء مطبوعاتها ومنشوراتها وبخاصة مجلتها الفتية، أثابكم الله تعالى، وأخذ بأيدينا جميعاً إلى معارج الحق والصواب، إنه سميع قريب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكان الإخ الدكتور محمد اجتباء الندوي الذي عمل سنوات عديدة في المملكة أستاذاً في جامعاتها يترجم كلمتي بعد كل فقرة أقولها منها إلى اللغة الأوردية التي يفهمها الجميع.

وبعد كلمتي كان تعليق منهم ذكروا فيه الثناء الذي لا أستحقه.

مع الشاعر طفيل أحمد الذي أتحدث معه ويساري السيد عبدالله الحسني حفيد شقيق الشيخ أبي الحسن الندوي في بهوبال

ثم دعوا أربعة من رؤساء الوفود إلى هذه الدورة من دورات انعقاد الرابطة وطلبوا منهم أن يكون كلامهم مختصراً مراعاة للوقت، فتكلم أولهم وهو رئيس وفد أهل دلهي العاصمة فألقى كلمته بالأوردية وكذلك فعل الذين من بعده.

ولم يكونوا يصفقون ولا يكبرون عند مقاطع الاستحسان أو غيرها وإنما كانوا طيلة الاجتماع ساكتين سكوتاً كاملاً، فكان المكان هادئاً جداً، ولم أرهم ينصرفون أو يتزحزحون عن أماكنهم، بل كان فيهم صبر عجيب على هذا الاجتماع الجاد الذي استمر ثلاث ساعات.

وكان مسك الختام لهذا الاجتماع مناجاة منغمة بالأوردية أظنها شعراً ألقاه منغماً كما تلقى التوشيحات الدينية عندنا أحد الطلبة.

ثم اختتم الاجتماع مع حلول الساعة الثانية فأسرع الجميع إلى الجامع الكبير (تاج المساجد)، وظللنا نسير في فنائه المكشوف الواسع دون أحذية لأنهم يخلعونها عند الدخول إليه.

وصليت الظهر معهم بين حفاوتهم وترحيبهم وحرصهم جميعاً على مصافحتي وسؤالي عن الأحوال حباً في إخوانهم أهل مكة المكرمة.

وقد أخبرني الإخوة أن طعاماً سيأتي للشيخ أبي الحسن الندوي ومرافقيه وهم كثر من أحد محبيه وطلبوا أن أتغدى معهم ولكنني ذكرت للشيخ أبي الحسن أن الغداء في الفندق أحب إليَّ فقال: ذلك إليك.

واخترقنا وسط مدينة بهوبال القديمة الذي عرفته من قبل، ولم أجده تغير عما عهدته، وهو كسائر مدن الهند مزدحم بالناس والدراجات وتحوم فوقه غلائل من الدحان والغبار.

وتوجد فيه إلى جانب الناس الهنود الذين ألفت منظرهم طوائف من الفقراء من (الهاريجان) أي المنبوذين على غاية من المنظر غير الأنيق سواء في الأجسام أو الثياب، أو الذوق أو عدم النظافة، ومرجع ذلك كله إلى الفقر ورقة الحال.

مسجد حديث في ضاحية في بهوبال

دار التصنيف:

كان من ضمن برنامج الضيوف في مساء هذا اليوم افتتاح دار التصنيف والترجمة، وهي دار بناها الشيخ (حبيب ريحان) مدير دار العلوم تاج المساجد وتقـــع في القلب القديم لمدينة بهوبال اسمه (نور محل) على شارع (التوفيقية) وهذه كلها كما ترى أسماء إسلامية من بقايا الحكم الإسلامي لهذه المنطقة.

والـــدار المذكورة بناها الشيخ (حبيب ريحان) أودعها كتباً له كثيرة كان قد جمعها بنفسه من البلدان العربية، وأهدى إليه بعضها إضافة إلى الكتب التي جمعها من الهند، وجعلها داراً للتصنيف والترجمة.

ذكـــر أنه يريد أن يسهل بذلك على من يريد تصنيف كتاب أي تأليفه أن يجد مـــن المراجع العلمية الكبيرة بالعربية ما يحتاج إليهن وكذلك من يريد ترجمة كتاب علمي ديني من العربية إلى الأوردية أو إحدى اللغات الهندية أن يجد بغيته.

وقلت للشيخ (حبيب ريحان) إننا سنساعده على ذلك أيضاً.

كان حفل الافتتاح قصيراً بسبب ضيق الوقت، إذ بدأ الحفل في الخامسة والنصف قبل المغرب بتلاوة آيات قرآنية كريمة، ثم كلمة مبسوطة بالأوردية للمؤسس الشيخ (حبيب ريحان) ذكروا أن هذا هو اسم الشخص وحده وأن والده اسمه محمد عمران الندوي، وهي مطبوعة وزعوها على الحاضرين وقرأ بعضها واختصر الآخر.

ثم ألقى الشيخ أبوالحسن الندوي كلمة افتتحها بسورة **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق۞ خلق الإنسان من علق۞ اقرأ وربك الأكرم۞ الذي علم بالقلم ۞ علّم الإنسان ما لم يعلم﴾**.

ثم استمر يتكلم كسابقه بالأوردية والقوم كلهم جلوس على الأرض متزاحمين يضيق المكان بهم، وصلينا أيضاً في هذا المكان المزدحم وخرج بعضهم بسبب الضيق.

الدين والسياسة:

عندما عدنا من (نور محل) في قلب المدينة إلى الفندق في ضاحيتها رأيت عجباً بل عجبين أولهما مكان منور بالكهرباء فيه مكبر للصوت ينبعث منه ما يشبه الأغاني الهندية ذكروا أن هذا احتفال بأحد آلهة الكفار، ويدعى (بادوان) وأن أعياد آلهتهم كثيرة جداً لأن آلهتهم كثيرة جداً، لذلك يصعب على غيرهم أن يعرف مغزى جميع الأعياد، ولكن سيحتفلون بعد أيام بعيد كبير آلهتهم (رام) قالوا (وبادوان) هذا هو يحي ويميت، وقد تجلى في شكل إنسان ولد في أجوديا في ولاية اترا براديش، ومات كما يموت الناس ولم يستطع أن يحي نفسه، والقول بأن (رام) إلههم أو كبير آلهتهم هو الأمر الذي تقوله عامتهم ويقوله الناس عنهم مثلما يقال مثل ذلك عن البقرة بأنهم إلهتهم، وقال لي أحد سائقي سيارات الأجرة الذي ركبت معه في دلهي قبل سنوات إنها ربي (My god).

ولكن مثقفيهم الذين يرون في هذا تشنيعاً عليهم يقولون إن (رام) وأمثاله من أربابهم الكثر ليسوا في الحقيقة آلهة وإنما هم مظاهر من مظاهر الإله الأعظم الذي لا يرى وإنما تجلى بصورة هؤلاء، وليس هذا هو موضع بسط هذا الأمر، وربما

نتطرق إليه في أحد كتبنا عن الهند عندما نستعرض الأديان والمذاهب في الهند.

كذلك يقول المثقفون منهم: إنهم يعظمون البقرة لأنها تجلت فيها صفات (٣٦٠) إلهـاً مـن آلهتهم، وإن آلهة كثيرة من آلهتهم كانت تشرب من حليب البقـرة لذلك قدسوها واعتبروها إلهاً أو كالإله، ويقول بعض مثقفيهم: إنك إذا أردت أن تكون هندوكياً حقاً كان عليك أن تبعد عقلك من تفكيرك، لأن الإيمان بالهندوكية لا يدرك بالعقل، يريد أنها لا تتفق مع العقل.

وقد رأينا مظـاهر الاحتفـال بإلههـم ذلك في أماكن عديدة من المدينة **﴿تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً﴾**.

والعجب الثاني هو مظاهرات عديدة رأيتها ظهر اليوم ورأيت مثلها بعد المغـرب إلا أن التـي رأيتها بعد المغرب كانت اثنتين إحداهما من جماعات يسـيرون ويهتفون ذكر لي الإخوة المرافقون أنهم يقولون: نريد تنفيذ مطالبنا وهـي مظاهـرة سياسـية يقصـدون منها مطالبة السياسيين الذين فازوا في الانتخابات بتنفيذ ما تعهدوا به.

والمظاهرة الثانية كان المشتركون فيها جالسين على أرض الشارع في صـف طويل جداً، وذلك بعد أن تعبوا من السير وإن المرء يعجب من هؤلاء القوم الذي مظاهرهم من غير المتعلمين، فلا أشكال وجيهة، ولا ما يدل على أنهم متعلمون بل إنك إذا رأيتهم خيل إليك أن حالهم ليست على ما يرام، سواء مـن حيث اللباس ومن حيث الغذاء، ومن حيث التفكير، ولكن تصرفاتهم تدل على عكس ذلك بل تدل على نضجهم السياسي، ومعرفتهم بحقوقهم السياسية.

المسلمون والسياسة:

كـان المسلمون هم حكام هذه المنطقة، وكانت مدينة (بهوبال) عاصمة مملكة أو إمارة إسلامية كما سبق ذلك مراراً.

ولكن الأمر اليوم صار عكس ذلك فليس لهم من الأمر فيها شيء بكل معنى الكلمة إلا ما كان خارجاً عن السياسة أو تدبير الأمور الإدارية الحكومية.

فنسبة المسلمين فيها تبلغ ما بين ٣٠ إلى ٣٥./. في بهوبال ومع ذلك لا يوجد في حكومة الولاية إلا وزير مسلم واحد من بين ٢١ وزيراً من الهندوك.

والأغـرب مـن ذلـك أن هذا الوزير المسلم الوحيد هو العضو المسلم الوحيد في المجلس التشريعي للولاية المؤلف من (٣٢٠) عضواً.

ولابد من أن يكون الوزراء من أعضاء المجلس التشريعي، ولم ينتخب فيه غير هذا المسلم الوحيد.

والأنكـى مـن ذلك أن إخواننا يذكرون بمرارة أن انتخاب هذا المسلم الوحـيد كـان على حساب انتمائه الإسلامي فكان يضع على رأسه ما يلبسه الهندوك وكان يزور معبدهم، ويتبنى مطالبهم، لذلك انتخب دون غيره، وليس معه غيره في المجلس التشريعي وأدخلوه الوزارة ليكون تحلة القسم.

علـى أن الشـيء الـذي ينبغي الانتباه له أن المجلس التشريعي وحكومة الـولاية يمـثلان ولاية (مدهي برديش) أي الولاية الوسطى وهي أكبر الولايات الهـندية مسـاحة وفـيها أماكن لا تزيد نسبة المسلمين فيها على ٢./. فهي من الولايات القليلة التي كانت قبل الاستقلال فيها أكبر عدد من الإمارات الهندوكية.

وإمـارة بهـوبال تعتبر استثناء من بينها فيما يختص بداخل مدينة بهوبال، أما أريافها فإنها لا تشذ عن هذه القاعدة وهي أن نسبة المسلمين فيها لا تزيد على ٥./..

وماذا عن الوظائف العامة:

يـتعهد الهنادك إبعاد المسلمين عن الجيش والشرطة في بهوبال فنسبتهم فـيها لا تزيد على ٢./. أما الوظائف العامة الأخرى فإن نسبة المسلمين في بهوبال تبلغ فيها ٢٠./..

وهـي نسـبة جـيدة إذا قورنت بنسبتهم في شغل الوظائف العامة في الـولايات ومـناطق أخرى من الهند، أما الجيش والشرطة فإن هناك سياسة هندوكية مرسومة بإبعاد المسلمين عنهما.

يوم الاثنين ١٤١٢/٤/٧هـ- ١٩٩١/١٠/١٤م:

كـــان الإخـــوة القائمون على أمر الاجتماعات لرابطة الأدب الإسلامي العالمـــية قـــد أخبروني أنهم قرروا عقد جلسة عربية خالصة تكون برئاستي، وأنا أعلم أنهم فعلوا ذلك من باب المجاملة، لأن معنى كون الجلسة عربية أن يـــدور كـــل ما فيها من حديث ويكون ما يلقى فيها من كلمات باللغة العربية، وهـــذا معناه حرمان الكثرة الكاثرة من الحاضرين من فهمها، ولو أرادوا أن يترجموا ما يدور فيها من العربية لطال ذلك وأمل.

وقـــد جربته في جلسة الأمس حيث كانوا يضطرون إلى ترجمة بعض الكلمـــات إلـــى العربية حتى أفهمها ولذلك اعتذرت للأخ محمد الرابع الندوي الأمين العام لرابطة الأدب الإسلامي العالمية عن ترأس هذه الجلسة.

وانقضى ضحى هذا اليوم في مقابلات مع علماء فيهم زملاء وطلبة لي سابقون، وكلهم يبتغي الجلوس معي لهذه الزمالة السابقة ولما ذكرته من قبل.

حزب الطلبة:

دعـــونا قبل مغرب اليوم إلى حضور حفلة أسموها (حفلة حزب الطلبة) وهـــم طلـــبة العلم في (دار العلوم تاج المساجد) الذين ذكروا أن عددهم يبلغ زهاء ألفي طالب.

هكـــذا سموه (حزب الطلبة) والمراد بذلك المعنى اللغوي لكلمة حزب، وليس المعنى الاصطلاحي الذي يطلق كلمة حزب على الحزب السياسي ونحوه.

وهكـــذا كثيـــراً ما يرد من المصطلحات في لغة هؤلاء الإخوة من أهل الهند ما يشتقونه اشتقاقاً صحيحاً وإن لم يكن مألوفاً في لغتنا.

وجـــدنا الاحتفال في قاعة كبيرة ملحقة بالمدرسة التي يقع مقرها بجانب المســـجد العظيم (تاج المساجد) وقد نصبوا مائدة كبيرة مستطيلة الشكل عليها

أعداد من مكبرات الصوت وكأنها مائدة مؤتمر للنقاش.

ووجدنا عشرات من الأساتذة والمعلمين من أهل المدينة ومن الوافدين عليها لحضـــور اجـــتماع (رابطـــة الأدب الإسلامي العالمية) وتبين أن هذه الحفلة أقامها طلبة (دار العلوم) فكرياً لهؤلاء الأساتذة من أجل الاستفادة من النقاش معهم.

شادي خانة أو بيت الزواج بقبته البيضاء وهو تابع لتاج المساجد في بهوبال

ولذلك وجدناهم كتبوا عليها استقبال الطلبة للضيوف الكرام، وحضرتها أعداد كبيرة من الطلبة الذين ارتدوا كلهم الزي الرسمي لطلبة المعاهد الدينية فـــي الهند كلها وهو القميص الطويل الذي يضرب إلى الركبتين تحته سروال يصل إلى الكعبين، وفوق الرأس طاقية لابد منها.

ألقى الأستاذ (حبيب ريحان) كلمة ترحيب بالعربية.

وأعقـــبها كلمـــة بالأورديـــة موجهة إلى الحاضرين من المدرسين والمثقفين ثقافـــة عصرية الذين لا يعرفون العربية تضمنت أيضاً الإشادة بشخصي الضعيف وبما قدمته للجمعيات الإسلامية في هذه البلاد وغيرها من أنحاء العالم.

ثم دعوني للكلام فألقيت كلمة بالعربية وأكثرهم يعرفها لأن جميع طلبة المـــدارس الإســـلامية التي يسمونها دور العلوم يعرفون العربية على تفاوت بينهم في ذلك.

وتضمنت سروري العظيم بحضور اجتماع الطلبة هذا، وقلت لهم: إننا نعتبر أنكـــم أيهـــا الأســـاتذة وأنتم أيها الطلبة تعاوننا على أداء مهمتنا في تعليم العلوم الدينـــية، ونحن يجب أن نعاونكم على ذلك، لأن ذلك واجب الجميع كما قال تعالى (وتعاونـــوا على البر و التقوى) وليس المراد من ذلك التعاون المالي فنحن لم نقدم لكم مالاً، وإنما التعاون العلمي والثقافي وهو أمر مطلوب في جميع الأوقات.

وقـــد قلت لهم ذلك لكون الحكومة الهندية قد منعت في العهد الأخير تقديم أية مســـاعدة مالـــية للجمعيات والمدارس الإسلامية زعماً منها أن ذلك لكون المدارس والجمعيات الدينية الهندوكية لا تتلقى مساعدات مثلها من خارج الهند.

ثـــم إننـــي مسرور جداً لمجرد حصول هذه الزيارة، لأن زيارة المسلم لأخيه المسلم أمر مطلوب لحد ذاته لكونه أولى مراحل التعاون الذي يجب أن يسبقه التعارف، لأنه لا تعاون بدون تعارف مسبق.

وقد كانت الحفلة قصيرة ولكن حفاوتهم بشخصي الضعيف كانت كبيرة، وقمـــنا بعـــدها إلـــى صلاة المغرب حيث أديناها في مقر الاحتفال لبعد مكان الصلاة في جامع (تاج المساجد) عنه.

وقـــد ذكروا أن لديهم مذاكرة لطلبة العلم فاعتذرت عن حضورها لأنها ستكون بالعربية والأوردية.

يوم الثلاثاء ١٤١٢/٤/٨هـ- ١٩٩١/١٠/١٥م:

العزم على السفر إلى أندور:

كـــنت حجـــزت في صباح هذا اليوم للسفر إلى دلهي، وختمت الخطوط الهـــندية علـــى تذكرتـــي للسفر إلى هناك ولكن أخي الذي كان تلميذاً لي في الجامعـــة الإســـلامية فـــي المديـــنة المنورة وهو الأستاذ الشيخ (أبوالبركات الفاروقي) كان قد ألح عليّ لزيارة مدينة أندور عندما علم بزيارتي الأولى إلى بهوبال المجاورة التي هي قريبة من (بهوبال) وله فيها مدرسة ومسجد جامع، وعمل جليل في خدمة الدعوة.

وكـــان من طلاب الهند الأوائل الذين قدموا للدراسة في الجامعة الإسلامية فـــي المدينة المنورة عندما كنت أشغل وظيفة (الأمين العام) فيها، وهي الوظيفة الثانـــية فـــي الجامعة في ذلك الوقت، وتخرج منها في عام ١٣٨٩هـــ، ورشحته للقـــيام بالدعـــوة إلى الله في إفريقية مع من رشحتهم لهذا الأمر فعمل في إفريقية عـــدة سنوات في أوغندا وكينيا، ثم استقال من ذلك كله، وعاد إلى الهند دون أي راتب أو تعاقد مع أحد وأسس هذا العمل الجليل في هذه البلاد.

وقـــد وعدته بالزيارة ولم أجد مقعداً في الطائرة هذا اليوم، فحجزت إلى دلهي لأن أخانا وزميلنا الدكتور عبدالله عباس الندوي أخبرني أن أبا البركات قد سافر من بهوبال إلى (أندور) لكي يخبر المسلمين هناك بقدومي ويدعوهم إلى الاجتماع بي وأن عدم ذهابي سيكون شاقاً عليه، وبخاصة أن الشيخ السيد أبا الحسن الندوي سيسافر أيضاً غداً إلى (أندور) وإن البرنامج يتضمن زيارة منطقة مهمة كانت موضع مملكة للمسلمين هناك في القديم وهي مملكة (مالوه) وتدعى عاصمتها الآن (مندو) وإن كان عدد المسلمين فيها قليلاً جداً.

فألغيت الحجز إلى دلهي وعزمت على السفر إلى أندور غداً بإذن الله.

أرياف بهوبال:

أبديت رغبتي لأحد الإخوة في رؤية أرياف بهوبال في مسافة أبعد مما رأيته منها من قبل وإن يشمل ذلك رؤية معبد هندوكي أثري لأنني لم أدخل مثل ذلك المعبد الهندوكي من قبل فانتدب لذلك الأخ الكريم (افتخار أحمد) وهو أحد وجهاء المسلمين وأثريائهم في بهوبال وعضو المجلس الاستشاري لندوة العلماء التي يرأسها أبوالحسن الندوي وإن كانت وظيفته تسمى وظيفة الأمين العام للندوة.

وقد أخبرني البارحة أن الأفضل أن نتناول طعام الإفطار مبكرين ثم يحملني بسيارته إلى هناك.

اسم واحد يكفي:

حضر الأخ افتخار أحمد مبكراً في هذا الصباح طبقاً للموعد فسألته عن اسمه الكامل فقال: افتخار أحمد فقلت له: إنني أعرف أن الأسماء عندكم مركبة بمعنى أن هذا اسم لك وحدك دون والدك أو أسرتك فأخبرني باسمك الكامل فقال: نحن لدينا اسم واحد يكفي، لسنا مثلكم أيها العرب الذين يكون للواحد منكم أربعة أسماء يريد اسماً رباعياً، وهو أمر صحيح إذ صار بعضهم عندنا لا يكتفون بالاسم الثلاثي بل لابد من الرباعي مثل اسمي أنا محمد بن ناصر بن عبدالرحمن العبودي واسمي الشخصي (محمد).

فقلت له: ما اسم والدك: فقال محمد دوست.

فتكرر عجبي من اقتصارهم على الاسم الشخصي بحيث لا يذكرون الاسم العائلي الذي هو مثل (العبودي) في اسمي لذلك لا يعرف الشخص أنه من أسرة معينة، بل ولا يعرف والده من اسمه، فكأن الصلة تنقطع بينه وبين اسم والده منذ ولادته.

وكان الأخ (حبيب ريحان) مدير مدرسة دار العلوم تاج المساجد أخبرني أمـــس أن (حبيب ريحان) هذا هو اسمه وحده وإنما يضيف إليه لقب الندوي الذي يدل على أنه متخرج من مدرسة دار العلوم ندوة العلماء هذا اسم علمي، قال: اسم والده محمد عمران، وجده محمد الياس قال: ولكن لا أحد منا يحتاج إلى ذكر ذلك.

النمور في بيته:

تناولـــنا طعام الإفطار في مطعم الفندق مع الأخ (افتخار أحمد) وابن له قـــال: إنه تعلم في إنكلترا بعض الوقت ثم انطلق الأخ (افتخار أحمد) وهو في حـــدود الخمســـين من عمره أو تجاوزها قليلاً ويقود سيارة له صغيرة نظيفة جديدة ذكر أنها تجمع في الهند ومصنوعة في اليابان.

وقصـــد حـــياً من أحياء بهوبال اسمه (خنسي) فيه بيته ومصنع للجلود وآخر للغراء كل ذلك له.

المؤلف يضع يده على نمر محنط في بيت افتخار أحمد الذي يقف إلى اليمين منه

ففـــتح بوابة كبيرة كالتي تكون على القصور حارس عليه لباس كلباس الجنود وتبين أن في البيت عمالاً غيره عليهم اللباس نفسه.

وقـــال الأخ (افـــتخار أحمـــد): إنني أردت أن أريك بيتي وأريك نموراً اصطدتها بنفسي من المنطقة القريبة من بهوبال فأنا صياد ماهر أمارس هواية الصيد كلما سنحت الفرصة، فأرانا نمرين اثنين محفوظين في بيت من الزجاج وكـــل النمور عنده محنطة تحنيطاً جيداً، ذكر أنه صادهما في مكان يبعد ٣٦ مـــيلاً مـــن بهوبال وإنه صاد أخر أرانا إياه والتقطنا معه صورة تذكارية في مكان يبعد (٣٠) كيلومتراً.

قـــال وقد صدت هذا وأشار إلى نمر محنط آخر- قائلاً لقد اصطدته في مكان لا يبعد أكثر من أميال من مدينة بهوبال.

وهو كبير ضخم من النمور الهندية المعروفة.

وقال بهذه المناسبة: إن النمور كثيرة في منطقة بهوبال لأن فيها أشجاراً كثيـــرة ملتفة وفي أماكن من ولاية (مدهي براديش) غير البعيدة غابات وأجام فيها الوحوش كافة من الأسود والنمور وغيرها، قال: وأما المنطقة القريبة من مدينة بهوبال فإن أكثر ما فيها هو النمر.

فســـألته عمـــا إذا كان لا يوجد خطر منه على الناس؟ فأجاب: لا، في الأحـــوال الطبيعـــية، لأن النمر في الأحوال الطبيعية يصطاد الحيوان البري، وأكثـــر مـــا يأكله الغزلان وهي موجودة بكثرة في المنطقة، إلا أن النمر إذا حـــدث وتقـــدم بـــه العمر وغالباً ما يقتل إذا كان كذلك فإنه يعجز عن صيد الغزلان التي هي سريعة في العدو فيصير يعدو على الحيوان الأليف وخاصة الأغنام، فإذا صار كذلك انتدب لقتله لأنه يهدد مصدر رزقهم.

قال: وأما الناس فإنه لا يهجم عليهم في الأحوال المعتادة، إلا إذا آذوه أو ضايقوه في مكان يصعب عليه النفاذ منه.

قـــال: أمـــا في الأحوال المعتادة التي يكون فيها النمر قادراً على صيد الغزلان وغيره من الحيوان الوحشي فإنه لا يهجم على الأغنام ولا يأكلها.

أرانا الأخ افتخار أحمد بيته فإذا به واسع حافل بالمقتنيات الأثرية وهو أشبه بالقصـــر المحـــاط بحديقـــة واسعة فيها أشجار مثمرة منها شجرة من شجر العمبه (المانجـــو) كبيـــرة ذكر أنها غير معمرة، وإن عمرها لا يزيد على ٢٠ سنة، وقال إن أطول عمر لشجرة العمبه هو مائة سنة، ويقل ثمرها في آخر عمرها.

الأخ افتخار أحمد في حديقة بيته وعلى يساره ابنه

وبيـــته ســـري واسع يدل على الثراء والجاه، إلا أن الحي الذي يقع فيه ليس فيه عناية كافية فشوارعه بعضها ترابي وأمام بيت الأخ افتخار أحمد أو قصره مجرى لماء متسرب قد حفر أخدوداً في الشارع يصعب على السيارات اجتـــيازه، وهـــناك بعض المخلفات والنفايات في الحي، وهذا أمر مألوف في أكثر المدن الهندية، حتى في الأحياء القديمة التي تستحق أن يعتني بها وتصان من أجل قيمتها الأثرية أو الثقافية.

جلود البقر:

قلت له عندما ذكر أن مصنعه هو للجلود: من أين تحصلون على جلود البقـــر والهنادك الذين لهم الأكثرية العددية في البلاد وبخاصة في هذه الولاية يحرمون ذبح البقرة؟

فقال: إننا نستوردها من ولايات أخرى تبيح ذبح البقر مثل ولاية كيرالا في الجنوب وولاية غرب البنغال في الشرق.

قال: وقد نحصل على جلود من جلود البقر من أناس ذبحوها خفية ولكن الشرطة لا تلحف في السؤال عن ذلك.

وقال: إننا نشتري جلود الجاموس أيضاً ونصنعه وهو غير مقدس عند الهنادك.

البقر في الهند:

يصح أن يكتب كتاب مستقل عن البقر في الهند، وشئون البقرة وشجونها مـــن كونها إلهاً، أو مظهراً للإله، ومن علاقة آلهة الهنادك بها، ولكن الشيء المؤسف أن البقرة كانت في العصور الحديثة وخصوصاً قبل عهد الاستقلال، وإنشـــاء باكستان عندما كانت للمسلمين قوة معنوية في الهند تعادل في الواقع القوة العددية التي للهنادك، وإن كان الهنادك أكثر عدداً بحيث يقابل في العدد كل ثلاثة هنادك مسلماً واحداً، ولكن القوة المعنوية للمسلمين تعدل تلك العددية المجـــردة، فكـــان المســـلمون يذبحون البقرة في الأعياد أو غيرها والهنادك يقدســـونها، وقـــد يحدث أن يريد المسلمون إغاظة الهنادك فيذبحون بقرة أو أبقـــاراً علناً، فتنشب الاضطرابات الطائفية بين الفريقين وتقتل فيها أعداد من الرجال بل وربما الأطفال وتحرق منازل وحوانيت.

أما الآن وبعد أن استقر الأمر للهنادكة فكانت لهم قوة الحكم والتنفيذ مع قـــوة العـــدد والعـــدة فإن ذبح البقرة صار صعباً على المسلمين في مثل هذه

الـــولاية التـــي تحرم ذبح الأبقار، وصارت الشرطة تبحث الأمر بل تتجسس على المسلمين إذا ذكر لها أن أحداً منهم ذبح بقرة.

قالـــوا: ولكـــن يحدث أن يذبح مسلم في القرى أو في الضواحي التي يمكن إخفـــاء الـــذبح فيها بقرة فلا تعرف الشرطة بنفسها الأمر، ولا يعرف الهنادك ذلك وإنمـــا لابـــد أن يعرف المسلمون الذين سيشتركون في لحم البقرة بالشراء ونحوه وقـــد يكـــون للـــذابح من يكون بينه وبينه خلاف فيشي به عند الشرطة فتحضر، وتعاقـــبه وتهيـــنه والعقاب ينصب على مخالفة القانون والإهانة ونحوها تعبير عن استياء الهنادك من هذا الأمر، لأنهم يعتبرون أن هذا اعتداء على ربهم!

فقلـــت له: إذا كان مزارع من المزارعين المسلمين استولد بقرة في مزرعته فغـــذاها مـــن لبن بقرته وعلف زرعه ثم ذبحها ما هي علاقة الهنادك بذلك؟ ولم لم يقتصـــروا علـــى تقديس البقر التي يتولون رعايتها دون غيرها؟ ثم ألا يعرفون أن البقرة لو كانت آلهاً لدفعت عن نفسها ما أراد بها المسلم من الذبح؟

فأجـــاب: إنهـــم لا ينظرون إلى الموضوع إلا من الناحية التي تؤثر في ثقافتهم فيما يزعمون أنه دينهم ومن ذلك تقديس البقرة وتعظيمها بل عبادتها.

الأكواخ بجانب القصر:

لا يقتصـــر العجب من أمر الهند على عبادتهم الحيوان البليد كالبقر فهم يعـــبدون ويقدسون طائفة كبيرة من الحيوان حتى الحية والقرد، و إنما العجب الظاهر في التمايز العظيم الذي لا يمكن تبريره بين طبقات السكان، فتجد فيهم الأثـــرياء والمثقفين ثقافة عالية كما تجد طوائف الجهال الفقراء الحفاة العراة الـــذين يفتك بهم الجوع حتى لا يبقى عليهم إلا الجلود فوق العظام، وتفتك بهم الأمراض حتى لا تشاهد في جسم الواحد منهم موضعاً لم يصبه المرض.

ومـــن مظاهر ذلك أنك ترى البناء الحديث الفخم الغالي بجانبه أكواخ من أكواخ الخيش والخرق التي يعد أهلها أن بيوت الصفيح من الترف الذي لا يحلمون به.

امرأة فقيرة في بهوبال

ومـــن ذلك ما شاهدته اليوم حول بناء أبيض ضخم حديث لإدارة التعليم في المـــنطقة، وقـــد أقـــام الفقراء في فناء بجانبه عشرات البيوت من الخرق والأعواد وقطـــع الخيش الممزقة فينصبون أعواداً غالباً ما تكون معوجة ويلبسونها ما تصل إلـــيه أيديهم من نفايات الخرق المتسخة، وقطع الورق المقوى (الكرتون) ويسكنون فيها ولا أحد يرثي لحالهم، ولا ينظر في تحسين أمرهم.

وكأنما كان لثقافة الهند القديمة ودينها الذي يجعل الناس من أصل الخلقة طبقات متمايزة خلق بعضها دون بعض لا مهمة له إلا خدمة الطبقة التي فوقه مـــثل طائفة المنبوذين الذين يسمونهم (هاريجن) وإن كانت هذه التسمية قصد بهـــا تطييب نفوسهم، لأنها لا تدل على النبذ والمنبوذين، وإنما معناها (أبناء الآله) فهاري إله من آلهتهم، وجن: أبناء، وهذه التسمية لم ترفع من شأنهم بل أصبح لها في نفوس السكان ما لمعنى المنبوذين، لأنها صارت تدل عليهم فلم تشرفهم، وقد ذكرني هذا بما سجله أدباؤنا القدماء ومنهم الثعالبي من أن اللقيط وهـــو ولـــد الزنا الذي لا يعرف له أهل يسمى (ابن القاضي) آخذاً من كون القاضي هو المسئول عن تربية اللقطاء من أمثاله.

قرية آنند نقر:

خرجنا من (بهوبال) مع ضاحية فيها مصنع جيد المظهر لصنع الأدوات الكهربائية المنزلية يبيع ما يصنع منها في الداخل والخارج.

ثم وصلنا إلى قرية تكاد تلاصق بهوبال اسمها (آنند نقر) ومعناها: بلدة السكون أو محل السكون لأن (آنند) باللغة الهندية سكون و(نقر) تعني بلدة أو محل السكنى بالهندية أيضاً وهي التي يسمونها (الهندي) و(نقر) كلمة شائعة لهذا المعنى مثل شيوع كلمة (بور) فيها وهي كلمة فارسية دخلت إلى الأوردية بمعنى مكان أو محل إقامة.

استرعى انتباهي في (آنند نقر) هذه معبد هندوكي صغير فيه مكبر للصوت يذيع بصوت عالٍ بل مزعج أناشيد وأغاني دينهم لمناسبة أحد أعياد آلهتهم الكثيرة.

أوقات العبادة:

وبهذه المناسبة نذكر أنه ليس لعبادة الهنادك أوقات محددة كصلاة الأحد للمسيحيين والصلوات الخمس للمسلمين، وإنما يكون ذهابهم للمعبد في الغالب في الصباح والمساء ولكن لا يحتم عليهم الذهاب في أوقات دائمة.

ولذلك ليس لهم يوم في الأسبوع خاص لعبادتهم كيوم الجمعة للمسلمين والسبت لليهود والأحد للنصارى، وإنما صاروا يعطلون يوم الأحد تقليداً لمستعمريهم الإنكليز.

ولكنهم في مقابل ذلك لهم أعياد كثيرة لإلهتهم كما تقدم، ومن أهمها أعياد الفرح التي يحل يومها المفضل يوم ١٩ أكتوبر وهو عيد زواج رام كبير آلهتهم بزوجته سيتا التي اختطفها منه (راون) إله الهنود الجنوبيين ويعتبره الشماليون أمثال هؤلاء شيطاناً، على حين أن الجنوبيين يعبدونه

والجميع من الهنادك فلا شك أن أحد الفريقين كاذب أو ضال في هذه المسألة حتى عندهم من ناحية المنطق لأنه لا يجتمع الشيء ونقيضه في الوقت نفسه.

أما عندنا فإنهم كلهم من الضالين والحمدلله على نعمة العقل والدين.

المنطقة التمرية:

هـذه تـرجمة حرفية لاسم منطقة ريفية وقفنا فيها نرى مزرعة يملكها صـاحبنا الأخ (افـتخار أحمد) تسمي (كاجوري) وكاجوري معناها: تمري- نسبة إلى التمر- لأن كاجور تعني التمر بالأوردية، ومع ذلك أخبرني الأخ افتخار أحمـد كمـا أخبرني غيره أن التمر لا يوجد هنا وأنه لا توجد فيها نخيل متمرة- بالـتاء المثـناة- ذكـر الأخ افتخار أحمد أن كثرة الأمطار تفسد التمر، وقلت: إن المهـم أيضـاً أن المطـر في هذه المناطق ينزل في فصل الصيف الذي هو فصل إخراج ثمرة النخل وصلاحه ونضجه، ولا يدري لم سميت بهذا الاسم.

غيـر أنني علمت أن في ولاية (مدهي براديش) هذه يوجد شجر يشبه النخل على البعد مع فروق كثيرة يسمى تمر الغابة يثمر ثمرة صغاراً لا طعم له، فربما كان هذا المكان قد أخذت تسميته منه.

وقفـنا فـي مـزرعة للأخ افتخار أحمد من إحدى مزرعتين هذه هي الصغيرة منهما ذكر أن فيها ٦ عمال وأن عماله من المسلمين من المنبوذين.

وفـي مـزرعته أشجار من أشجار العمبه (المانجو) مثمرة إلا أنها صغيرة وبعضـها صغير لم يبلغ أن يثمر الآن وذكر أن العمبه تثمر ثمراً جيداً يباع بثمن جـيد، وفـيها أشجار عديدة من البرتقال المثمر بعضه ناضج أكلنا منه، وهو من الـنوع الذي ينبت في المناطق الاستوائية والقريبة من خط الاستواء، ويتميز بلونه الأخضـر الذي لا ينقلب عند نضجه إلى اللون الأصفر أو الأورنجي الذي نعرف به برتقال لبنان كما يتميز بقوة قشره وصعوبة تقشيره باليد.

وتسقى مزرعته من قناة صغيرة مسحوبة من النهر الذي يجري قريباً من بهوبال وهي قناة صغيرة ليس فيها ماء الآن قال: إنهم إذا احتاجوا إلى الماء أخذوها من النهر، وإلا فإنها تبقى جافة، وإنهم أخذوها بمعرفة الجهات المختصة.

وأكثر المزارع في هذه المنطقة غير مزرعته تسقى من آبار ارتوازية لأن المياه الجوفية موجودة في باطن الأرض لأن البلاد تشهد موسماً غزيراً من الأمطار.

وذكر أن المحاصيل التي يجنيها من زراعتها فيها هي (فول الصويا) والقمح والبطاطس و(البرسيم) ونطق هذه الكلمة بالعربية إلا أنه ذكر أنه ليس البرسيم الموجود عندنا الذي يحصد وينبت ثانية، وإنما هذا يحصد مرة واحدة ينتهي بعدها.

ثم ذهبنا إلى مزرعة له ثانية أكبر من هذه فيها بيت ريفي لأسرته مزود بالكهرباء والهاتف من قبل الحكومة، أما ماء الشرب والاستعمال فإنهم يخرجونه من الأرض بمضخة كهربائية صغيرة.

سألته عن الأمن هنا فقال: إنه جيد جداً، ولا يخاف المرء من أن يعتدي عليه أحد، أو يسطو على بيته الذي رأينا فيه جهازاً للتلفزة.

أراني حقلاً صغيراً لفول الصويا وهو أصفر غير نضر، كما أن مساحة زراعته ضيقة، فذكرت بذلك حقول فول الصويا التي رأيتها في البرازيل واسعة نضرة، بل تغطي مساحات هائلة، وقلت: سبحان الذي أعطى ما شاء لمن شاء.

وفي ظل بيته جلست امرأة من المنبوذين لديها ثلاثة أطفال ذكر عامل عنده أنها أمهم مع أن مظهرها يوحي بأنها عجوز جدة في الستين، وذلك من فرط الهزال ونقص التغذية فصورتها على البعد، وأعطيتها نقداً صغيراً مقابل ذلك.

رأيت عمالاً يعملون عملاً هزيلاً لا أشك أن عملهم وهم ثلاثة يقوم به العامل الواحد من عمالنا قبل الترف الأخير فهم يعزقون الأرض أي يحرثونها بالمجارف.

وسألته بهذه المناسبة عن أجرة العامل في اليوم، فأجاب بأنها تتراوح ما

بـــين ٢٠ إلـــى ٢٥ روبـــية وهـــذا المبلغ يساوي دولاراً بالصرف الرسمي الحكومي الذي هو ٢٥ روبية بالدولار وهو يقل عن ذلك في السوق الحرة، إذ يصرف فيها الدولار بـــ٣١ روبية.

وتبعد مزرعته ١٥ كيلومتراً من بهوبال.

قرية حبيب قنج:

قصـــدنا ضـــاحية من بهوبال نخرج منها إلى جهة أخرى من الريف فمررنا بقـــرية اســـمها (حبيب قنج) وحبيب من أسماء المسلمين المستعملة في هذه البلاد، ومن أشهر ذلك حبيب بنك، أي مصرف حبيب، وأما قنج فلا أعرفه.

والمهـــم فـــي هذه القرية أو هذا الحي من بهوبال أن فيه مسجداً كبيراً جمـــيلاً ناصع الطلاء، ظاهر الرواء قد بناه المسلمون حديثاً في هذه المنطقة وهو يفوق المعابد الهندوكية الصغيرة الموجودة في أطراف المنطقة من حيث المظهر بمراحل.

وفـــي هذه القرية مررنا بطائفة من النساء وهن يعملن في رصف جانب من الطريق العام يعملن في ذلك وحدهن دون أن يكون معهن عمال من الرجال.

وينحصـــر عملهن بإحضار الحصى الصغار ورصه على وجه الأرض تهيـــئة لصـــب الأسفلت فوقه، وقد صورتهن على البعد لئلا يمتنعن إذا قربت منهن وهن يبطئن في عملهن، ويبدو من مظهرهن أنهن يتثاقلن في ذلك.

وهذا غير صحيح ولكن المرض والهزال والضعف الجسدي الذي يبدو عليهن، هو الذي يحملهن على ذلك أو هو الذي حملني على أن أعتقده فيهن.

وأجرة الواحدة منهن أقل قليلاً من أجرة الرجل فهي تتقاضى ما بين ١٥ روبية إلى ٢٠ أي ما يساوي نصف دولار إلى ثلثيه بالصرف الحر، ويساوي متوسط ذلك ريالين سعوديين في اليوم.

الريف الهندي:

خرج الأخ (افتخار أحمد) بسيارته إلى ريف خالص ليس فيه قرى وهو كسائر الريف الهندي الأصيل الذي لا يعدم المرء أن يرى فيه بين مكان وآخر منازل من الخرق والخيش أو الأخشاب المهملة غير المرتبة، وإنما يصح وصفها بالأعواد مثله في ذلك مثل ضواحي أكثر المدن الهندية حاشا الأماكن الفاخرة من مدينة (دلهي) العاصمة، بل إن في شوارع مدينة بومبي آلاف المساكن من مثل هذه وارداً منها، وقد ذكرت ذلك في كتاب (في غرب الهند) من هذه السلسلة من الرحلات في الهند.

ولا يعدم المرء أن يرى فيه عربات الثيران وهي التي يجرها ثوران، وتتوسط الطريق وهما يهزان رأسيهما يميناً وشمالاً في حركات بطيئة متثاقلة وكأنما يتحديان الزمن بذلك، أو كأنما يقلدان أهل الهند في هز الرأس يميناً وشمالاً عند الاستحسان والموافقة.

وهـــي الحركة التي يتميز بها أهل الهند عن غيرهم مما حملني على أن قلت: إن أهل الهند مختلفون في أديانهم وألوانهم واعتقادهم لا يجمع بينهم كلهم إلا شـــيئان: أكـــل الفلفـــل فـــي الطعام بكثرة، وهز الرأس يميناً وشمالاً عند الاستحســـان أو الموافقة، فذلك يجمعهم كلهم من كيرالا في الجنوب إلى حدود كشمير في الشمال.

وكـــنا نسير مع طريق أسفلتي جيد الزفلته، إلا أنه غير واسع وتحيط به الأشجار الخضر النضرة لا يخلو جزء منها.

وتحيط به مزارع نضرة أكثرها للخضرات في الوقت الحاضر.

وهو خط رئيسي يمتد إلى البنغال في شرق الهند على مسافات بعيدة.

ثـــم تـــركنا هذا الطريق الرئيسي الجيد إلى طريق فرعي أزفلتي ولكنه ضيق في مدخله لافتة كتب عليها، بالهندي تحته بالإنكليزية: (سيفا تمبل بهوج بور) أي معبد سيفا في بهوج بور.

وهو المعبد الذي نقصده نحن.

و(بهـــوج بور) معناها: بلدة بهوج، أو هي قرية، وبهوج هذا ملك من ملوك الهـــنادك قدر لاسمه أن يستمر معروفاً وإن كان حرفه المتأخرون، وذلك لأنه الذي سميت مدينة بهوبال باسمه فقيل فيها (بهوج بال) ثم حرفت إلى (بهوبال).

واســـتمر ســـيرنا فـــي ريف يكاد يكون خالياً من العمارة مع أنه لا يبدو قاحلاً، فالأشجار تملأه والأعشاب البرية كثيفة في أرضه مما يجعله مرعى جيداً للماشية.

حتى صرنا نسير في أرض كانت بحيرة قديمة ذكروا أنها عظيمة بالغت الأساطير الهندية في عظمتها حتى ذكروا أنها تمتد أكثر من عشرين كيلومتراً وأن سبب وجودها سد من الحجارة أقيم على مجرى واد اسمه (بتوا) لا يزال يجري، ماؤها قليل، ولكن أحد الملوك من أعداء ملك هذه المنطقة خرب جزءاً مـــن الحـــائط الـــذي يحجـــز مياه هذه البحيرة منذ قرون فانقطع الماء عنها وصارت مراعي للماشية حيث نمت فيها الأشجار كما هي عليه الآن.

في بهوج بور:

بينما كنت أستزيد مرافقي الأخ افتخار أحمد من المعلومات عن هذه المنطقة وعن الذي خرب السد الذي يحجز مياه البحيرة أهو مسلم أم هندوكي وصلنا قرية (بهوج بور) التي فيها المعبد فرأيت الجواب عما أردت معرفته في لوحة كبيرة موضوعة أمام المعبد الهندوكي الذي قصدنا رؤيته.

فقد كتب فيها بالإنكليزية ما نصه:

هذا معبد باراما مار بهوجا رقم واحد بني حوالي ١٠٠٠ إلى ١٠٥٥ بعد الميلاد وقد خربت ضفة نهر بوساطة (هوشانغ شاه) ملك مالوا سنة ١٤٠٥ إلى ١٤١٥م.

وهذه المنطقة التي ذكر أن ملكها (هو شانغ شاه) هو الذي خرب ضفة النهر التي يراد بها الحائط الذي كان يحجز مياه البحيرة، ولا تزال بقاياه موجودة هي مملكة (مالوه) الإسلامية الشهيرة التي قامت في تلك المنطقة، التي تقع إلى الجنوب من بهوبال، ومن المقرر أن نزورها بعد يومين إن شاء الله.

وكانت قامت حروب بينها وبين جيرانها من (مهاراجات) الهنود و راجاتهم و(المهراجا) هو الملك الكبير و(الراجا): الملك الصغير الذي يراد به حاكم المنطقة الصغيرة أو أميرها الكبير إلا أنها انتصرت عليهم جميعاً واستمرت إلى أن سقطت بأيدي ملوك المغول وصارت جزءاً من المملكة الإسلامية المغولية الواسعة في الهند.

وجدنا عند المعبد الذي يقوم على ربوة صخرية مرتفعة عدداً قليلاً جداً من الناس لا يزيد على أسرة واحدة من المتعبدين أي الذين زاروه بغرض الزيارة واثنين من السدنة أو الكهنة الذين يخدمونه، ووجدنا أطفالاً من أطفال القرية وامرأتين من أهلها يظهر عليهم جميعاً نقص التغذية، ووجود بعض الأمراض.

ومن ذلك أن رأينا رجلاً جالساً معه بعض ثمار الفاكهة التي نسميها في بلادنا (القشطة) وهي حلوة مكورة نوعاً وفي داخلها فصوص صغيرة على هيئة

نـــوى التمر محاطة بمادة حلوة طبيعية وذلك الرجل قد ابيضت عيناه من المرض فهو لا يبصر، وأما (القشطة) فإن الأخوة المسلمين هنا يسمونها (شريفة).

قـــال الســـيد عبدالحي الحسني في كتاب (الهند في العهد الإسلامي) في فـــواكه الهند: ومنها (شريفة) وهي التي يسميها أهل اليمن السفرجل الهندي، وهي ألذ الفواكه وأحلاها، تقوي الجنان، وتنفع الخفقان.

قال فيه الشرواني:

تمـــتَّعْ بالشـــريفة، يـــا حبيبي وقابلهـــا بتشـــريف ولاطـــف
ألـــم تـــر مـــا بها من طيباتٍ تـــروق الذائقين جنى اللطائف

سدنة المعبد الهندوكي عاكفين على تماثيلهم

ويصـــعد إلـــى المعبد من درج حجري مبني فيوصل إلى مكان مرتفع مستو في أرض الجبل ثم ينزل إلى داخل المعبد المبني على هيئة غرفة واحدة غير واسعة، ولكن تركبها قبة عالية من الحجارة تحملها أعمدة حجرية ضخمة داخـــل هـــذه الغـــرفة فينـــزل المرء من درجة حجر إلى أرض المعبد فيجده مـــرفوعاً عن الأرض فكأنها من هذا المكان المنخفض في خندق محفور وقد اسندوا سلماً من الخشب يصعد به إلى المعبد نفسه الذي هو كالوعاء الحديدي الضخم (البرميل) المستدير وهو أملس مرتفع فوق قامة الرجل واسع لا نرى داخله لأنه لا منفذ فيه من الداخل وكان الزائر الوحيد الذي رأيناه في المعبد قد

أمرنا بحدة عندما صعدنا الدرج الذي يصعد إلى حيث المعبد بأن نخلع أحذيتنا مع أن المعبد بعيد والأرض كلها ليس فيها فراش.

ووجـــدنا ســـادن المعبد أو الكاهن كما يعبر عنه مرافقي الأخ (افتخار أحمـــد) جالساً على الأرض قرب هذا الشيء المستدير الذي زعموا أنه المعبد وبجانـــبه وعاء معدني فيه صبغ أحمر يصبغ به من يحضر للتعبد فيه فيضع طـــرف اصبعه في الصباغ ثم يضعها بين عيني المتعبد، وإلى جانبه ماء في إناء يصفه بأنه مقدس يسقي منه المتعبدين.

كمـــا رأينا عنده طعاماً ذكر أن الناس أحضروه له وهو خبز قليل وإناء فيه طعام مطبوخ مغطى وهو صغير و٣ من ثمار جوز الهند اليابسة ويستعمل هنا من أجل الحصول على زيته، وقليل من الزهور الصفر.

هنادك عند المعبد في ريف بهوبال

سألنا السادن هذا عما إذا كان يتقاضى راتباً من أية جهة، فأجاب بالنفي، وقال: الناس يحضرون نقوداً إلى هنا تكفينا.

كما سألنا السادن أو الكاهن عن تاريخ هذا المعبد فلم يعرف، إلا أنه ذكر أن الخراب الذي أصاب قبته إنما خربه الملك المغولي (أورنغ زيب) وقال لي الأخ افتخار أحمد): إن الهندوكيين ينسبون إلى (أورنغ زيب) أي خراب في معابدهم، ولو لم يكن من فعله من باب التشنيع عليه، لأنه كان ملكاً مسلماً صالحاً.

وقد تأملت هذا المعبد الهندوكي فوجدته مبنياً بحجارة حمراء خالصة وفق طراز هندوكي لا نظير له في أبنية المسلمين المعروفة في العصر المغولي أو العصر المملوكي قبله في الهند، وقد سقطت قمته التي هي أكثر قبته فبدا كالمكشوف من جهة السقف، وارتفاعه ١٧ قدماً.

ولما لم أر أي شيء فيه غير ذلك الشيء المستدير الضخم الذي يشبه (البرميل) سألنا السادن عما يعنيه هذا فقال: إنه يعني الذَّكر أي عضو التناسل.

ومن المعروف أن الهندوكيين يعبدون ذكر الإنسان من بين معبوداتهم الكثيرة، ويعللون ذلك بأن الذكر هو سبب الحياة، مثلما يعللون عبادتهم للبقرة أو تقديسهم إياها بأنه لكونها تهب اللبن والزبد الذي يحيى به الإنسان، وتحدث الروث الذي يخصب الأرض.

ولا شك أن هذا التفكير منبعث من عقيدتهم الهندوكية المخالفة للعقل، لأن هناك أشياء أخرى تهب الحياة كالبقرة مثل الجاموسة والشاة والمعز فهي تعطي اللبن والزبد، وتخصب الأرض بروثها، بل إن الحمار والإنسان يخصبان الأرض بالرجيع وهو البراز مثلما تفعل البقرة.

ثم إن ذكر الإنسان بمعنى قضيب الرجل لا يهب الحياة وحده، بل لابد له من فرج المرأة وهم يعبدونه أي فرج المرأة أيضاً، ولكن أنواع الحيوان الأخرى أيضاً لها ذكور وفروج تهب الحياة للحيوان فهل يعبدونها؟

لـــم يكـــن المجال مجال بحث أو حتى تأمل في هذا المكان الذي ليس فيه إلا الســـادن وذلك الزائر المتعبد الوحيد مع طفلين له لذلك سألت السادن عن اسم الإله الـــذي أقامـــوا هذا المعبد له، فأجاب أنه الإله (بهوج نات) وفسر الأخ افتخار أحمد ذلك بأن بهوج معناه راجا، أي ملك، ونات: إله وإذاً يكون معناه الملك الإله.

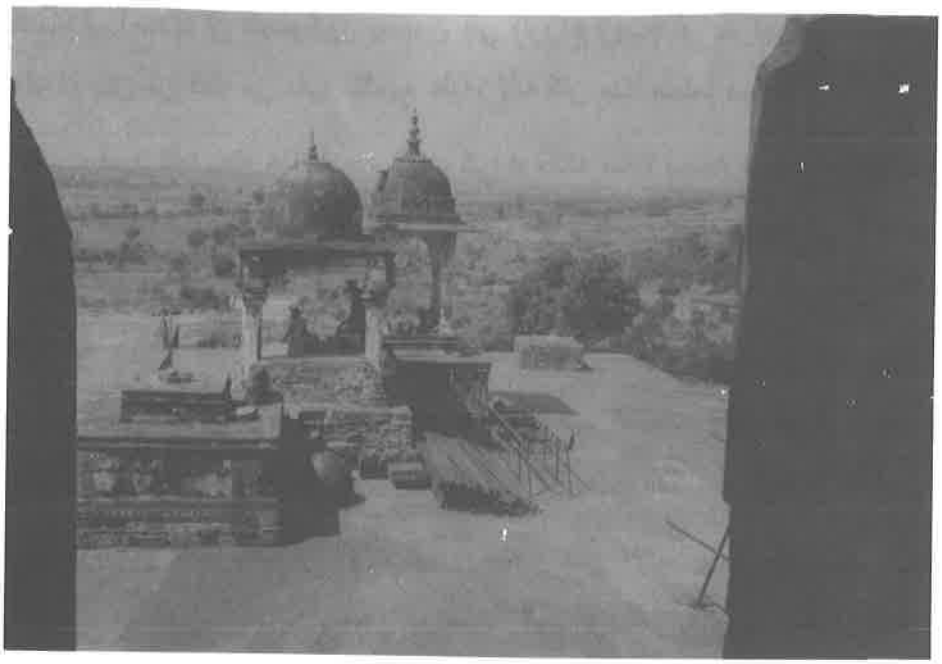

المعبد الهندوكي في ريف بهوبال

كـــان بقرب هذا المعبد مكان مرتفع يصعد إليه بدرج قصير وهو مظلل بســـقف من الحجارة على هيئة قبة غير مرتفعة وعمده من الحجارة دون أن تكـــون فيه حيطان فهو أشبه بالمظلة التي تقي من الشمس، والواقع أن الحاجة تدعـــو إلـــى ذلـــك فقـــد شـــعرنا بحرارة الشمس التي بدت لنا كأنها الشمس الصحراوية مع أننا الآن في فصل الخريف.

وفـــي هذا المكان المرتفع يوجد سادن آخر، وكاهن آخر أعلى رتبة من هـــذا الـــذي رأيناه عند المعبد عليه ثياب أرجوانية وصفراء وهو جالس على الأرض وأمامـــه تماثـــيل، ويـــبدو أقوى شخصية من الأول وأعرف في هذا

المذهب، كما أنه أعلى رتبة منه، وكان معه واحد من أهل القرية.

استأذناه في الصعود إليه فأذن في ذلك، فألفيته بديناً نوعاً شديد سواد البشرة شديد حمرة الفم، لأنه كان قد فرغ من مضغ التنبول وما يتبعه وهو أيضاً شديد صفرة الثياب، إلا أنه كالذي قبله على وجهه وبدنه آثار الإصابة ببعض الأمراض كبعض البثور والحبوب في يديه ورجليه وشيء في عينيه كالأول.

يعبدون ما ينحتون:

كان الكاهن يجلس مرتفقاً عندما رأيناه وهو أن يضع مرفقه على وسادة ويسند رأسه على يده إلا أنه اعتدل وتربع من أجلنا ومع ذلك لم يكن يستغني عن الارتفاق فيكون بين الجالس والمضطجع على جنبه وكان فمه ينضح بالحمرة حتى لا تكاد تميز أسنانه عن بقية فمه ولا تتبين مواضعها منه، ويكاد ريقه الأحمر يقطر من فمه إلا أنه كان يمسح شفتيه بيده في بعض الأحيان، لم يكن موقفه منا معادياً، ولا ودياً، بل كان معتاداً، وهو من طائفة البراهمة.

سألناه عن هذا المعبد فأشار إليه باهتمام وقال: كان فيه ذهب وجواهر، ولكنها ذهبت الآن ولم يقل من الذي أخذها ولا كيف كان وجودها وفقدها رغم سؤالي عنه.

إلا أنه بادر قبل أن نسأله بقوله: وحائط البحيرة كسره الملك المسلم لأنه كانت بينه وبين ملك هذه المنطقة عداوة.

وأشار إلى الحائط الذي حدث فيه الكسر وقال: ها هو إن بقاياه موجودة يمكنكم أن تروها.

كان الرجل يجلس وبين يديه تماثيل من الحجارة والمرمر لعدد من آلهتهم منها تمثال للإلهة باروتي زوجة الإله شنكر، وسألته عن وظيفة هذه الآلهة المؤنثة، فقال: إنها إلهة القوة، وإن الهنادك يقولون: إنها إلهة الحياة والموت والأم التي خرج العالم منها، والتمثال يمثل امرأة هندية معتادة الشكل

لا بأس بشكلها، إلا أنها من المرمر الأصفر المائل للحمرة، فلا يوضح اللون.

وبجانب تمثال (باروتي) تمثال لآدمي له رأس فيل وبقية الجسم جسم إنسان، فظننته تمثال جانيش المعروف عندهم الذي يكثرون من وضعه في الأماكن الهامة ويزعمون أنه إله الرزق، فقال ما معناه: إنه غيره، بعد أن كررت عليه هذا السؤال، وهو من المرمر أيضاً.

وقال: هذا هو ابن (باروتي) وهو أكبر منها في التمثال وليس المراد كبر السن الذي لا يتضح في التمثال، وإنما المراد أنه أكبر في الحجم، ولعل الذي صنع التمثالين ليس مثالاً واحداً، ينظر إلى هذه الفروق.

وعنده أيضاً تمثال ثور رابض من الرخام الأصفر ذكر أنه تمثال لثور خاص مقدس اسمه (مندرون قوسواهي) وأشار إلى تمثال كبير لذلك الثور نفسه رابض أمام المعبد، وهو من الجرانيت الأحمر المائل للسواد، وقال باهتمام: هذا أيضاً هو (بندرون) في تمثال كبير.

وذكرت بهذه المناسبة تسمياتهم لمعبوداتهم من الحيوان مثل تسمية القرد (هانومان) الذي افتك زوجة كبير آلهتهم رام من خصمه (راون) الذي يسمونه في الشمال الشيطان، ويسميه أهل الجنوب الإله ويعبدونه.

وعاد بها إلى زوجها (رام) إلا أنهم لم يذكروا لنا ما كان بين (سيتا) وراون مدة بقائها عنده، وهكذا يتعبد هذا وأمثاله بحجارة نحتوها بأنفسهم، (اتعبدون ما تنحتون، والله خلقكم وما تعملون) صدق الله العظيم.

الأم كوبير:

نقشوا بل حفروا على الصخر الضخم الذي يؤلف واجهة المعبد المبني كله من الحجارة القوية تماثيل من أكثرها ظهوراً تمثال لامرأة تبدو عارية الصدر كبيرة الثديين بشكل لافت.للنظر فسألناه عنها فقال: (كوبير مايا) أي الأم كوبير، ولم يدل بتفصيلات عن حياة هذه الأم، ولكنني تذكرت أن الأمهات

عــند الهنادك كثيرات غير التي تلد الشخص، ومن ذلك أنني عندما كنت في قــارب في نهر (الكنج) الذي تقع عليه مدينة بنارس، ويغتسل الهنادك بمياهه في الصباح رأينا هندوكياً كهلاً وهو يبالغ في رش جسمه وتكرار غسله بماء هذا النهر المقدس عندهم ويقول لمن معنا (قانقا مايا) أي إنه أمي.

المتعبدون ينقصون:

يبدو الكاهن في الخمسين من عمره، وذو خبرة بالشئون الدينية الهندوكية لذا ســألته عــن أهــل قرية (بهوج بور) التي يقع فيها المعبد مع أنه ليس بين البيوت ولكــنه في تلة صخرية مرتفعة منفصلة عن القرية بفراغ فقلت له: هل أهل القرية كلهم من الهندوكيين؟ أم فيهم مسلمون أو غيرهم من أهل الأديان الأخرى. فأجاب: كلهــم هندوس ليس فيهم مسلم واحد ولا سيخي واحد ولا مسيحي واحد، فقلت له: والقرى البعيدة وكان الأخ المرافق افتخار أحمد قد ذكر لي أن المسلمين موجودون فــي هــذه القــرى إلا أن قــرية (بهوج بور) ليس فيها منهم أحد كما قال الكاهن، فســألت الكــاهن عن المسلمين الذين في القرى المجاورة ألا يكون بينهم وبين أهل هــذه القرية الهندوكية خلاف أو خصام؟ فنفى ذلك مطلقاً، وقال: لا شيء بيننا أبداً والمسلمون لا يأتون إلى المعبد ولا يوجد أي احتكاك معهم.

وممــا يجدر ذكره أن القرى القريبة من قرية (بهوج بور) فيها مسلمون ولا تكــاد تخلــو قرية منها من وجود المسلمين إلا أنهم لا يمثلون كل سكان القرية فليست القرى خالصة لهم.

ســألته سؤالاً تقليدياً وهو من الذي يدفع راتبه؟ فقال: ليس لي راتب من أحد، وإنما يتبرع بعض الناس عندما يأتون إلى المعبد ونحن نعيش من ذلك.

مــع العلم بأن مظهره لا يدل على اليسار بل ربما دل على العوز سواء في اللباس أو في حالة الجسم.

فقلــت له: لديَّ سؤال مهم أرجو أن تجيبني عليه بدقة وهو أنك رجل دين عارف

بـــه، والـــذي لا تعـــرفه بنفسك لكونه قبل مولدك تعرفه ممن هو قبلك من رجال الدين أخبرني عن عدد المتعبدين الآن أهو أكثر مما كان عليه قبل خمسين سنة مثلاً أم أقل؟

فقال باهتمام ودون تردد: إنه الآن أقل، إن الناس كانوا في السابق أكثر تديناً، وأكثر حضوراً إلى المعبد، ثم قال وكرر قوله: إن عدد المتعبدين الذين يحضرون إلى المعبد يقل باستمرار، وقال: إن عدد الذين يأتون إلى المعبد في اليوم يتراوح بين ١٠ إلى ١٥ وهذا قليل.

فقلت له: وهذا الخراب الواقع في قبة المعبد هل هناك ما يمنع من إصلاحه؟

فأجـــاب: لـــيس هناك مانع من إصلاحه إلا عدم القدرة المالية، فنحن لا نستطيع ذلك لأنه ليس لدينا المال اللازم له، ولا تستطيع إصلاحه إلا الحكومة وهي لم تفعل.

ومـــما يذكـــر أن حكـــومة الهند تعلن نفسها حكومة لا دينية لأن دولة الهند الحاضـــرة علمانـــية، لـــذلك لا تستطيع مباشرة أن تقوم بالإنفاق على المعابد، لأن دستورها يمنعها من ذلك ولكون أهل الأديان المتعددة سيطالبون بذلك لمعابدهم.

وقفة عند بهوج بور:

المؤلف في الطريق إلى بهوبال عند العودة من الريف

(بْهـــوج بـــور) بإسكان الباء في أوله: قرية ليست كبيرة ولكنها ممتدة متفرقة تتألف من مزارع وبيوت ريفية ومن بيوت سكنية.

عــندما انصرفنا منها رأينا سد البحيرة الذي قالوا: إن ملك (مالوه) المسلم خربه لعــداوة كانــت بيــنه وبين ملك بهوج الهندوكي وهو من الحجارة السوداء التي تبدو كحجارة الحرار- جمع حرة- وهي الحجارة البركانية السوداء فالتقطنا له صورة.

وأوقف الأخ افتخار أحمد سيارته على جانب الطريق تحت ظل وارف لشــجرة من أشجار الطريق المتشابكة وأخرج من سيارته ما كان أحضره من بيــته لهذه الجولة وهو شاي وماء بارد في الزمزميات التي هي الأوعية التي تحفــظ البارد بارداً والحار حاراً، ومع ذلك برتقال ناضج مما قطعه اليوم من مزرعته، وشطائر وهي (الساندويتش) فشربت من الشاي دون غيره وهو ثقيل شديد السواد كالشاي كله في الهند الذي يكافحونه بوضع الحليب عليه، ولكنني لا أفضل ذلك للشك في نظافة الحليب حتى ولو كان من البيوت.

ومــرت بنا عربة يجرها ثوران ضعيفان ليس عليها إلا رجل وزوجته وطفله فبرك أحد الثورين في الطريق فجعل صاحبه يضربه وينتهره حتى قام: مــع أنــه لا يجرؤ على أن يفعل مثل ذلك مع البقرة أم هذا الثور أو بنته لأن البقرة مقدسة عندهم والثور ليس كذلك.

وعدنا إلى بهوبال في الواحدة والنصف ظهراً.

وهذا المساء؟

كتــبت فترة من الوقت بعد عصر اليوم في فناء الفندق الذي تحيط به غرفه وهو مفروش بعشب أخضر ريان جميل الترتيب والتنسيق وهو واحد من أكثر من فــناء تطيف به الغرف لان الفندق مؤلف من طابقين اثنين فقط، وقد وسعه صاحبه في الأرض لاتساع الأرض حوله، ويملكه – كما قدمت- أحد الإخوة المسلمين.

وفــي المساء حضر إليَّ طائفة من الإخوة المثقفين من أهل البلاد منهم رفيقــي في جولة اليوم الأخ افتخار أحمد والشيخ حبيب ريحان والشيخ محمد لقمان الندوي الأزهري وامتدت معهم سهرة ممتعة إلى ما بعد الحادية عشرة.

وكانت جلسات ندوة رابطة الأدب الإسلامي العالمية قد اختتمت ظهر هذا اليوم.

يوم الأربعاء ٩/٤م١٤١٢٣هـ- ١٦/١٠/١٩٩١م:

البرنامج المبكر:

كانـــت أولى فقرات البرنامج قد بدأت مع بزوغ الشمس بعد السادسة إذ جـــاء إليَّ في الغرفة الشيخ عبدالرزاق خان ومعه سبعة من مرافقيه، وبحث معـــي موضوع زيارة مدرسة له كبيرة في بهوبال، وطلبت منه أن يكتب ما يـــريده فانصرفوا ثم جاء الأستاذ حبيب ريحان مدير دار العلوم تاج المساجد مقدماً هدية منه.

ثم حضر (افتخار أحمد) وقد أفطرت مبكراً.

ثم كان الخروج إلى مطار بهوبال في السابعة والنصف، فاخترقنا وسط المدينة الذي بدأ زحامه ودخانه المنبعث من الدراجات النارية ومن الحافلات.

وفتحوا لنا قاعة كبار الزوار وما لبث الشيخ السيد أبوالحسن الندوي أن حضر ومرافقوه فدخلوا القاعة المذكورة وقد غصت بالمودعين الذين حضروا لتوديع الشيخ حتى الذين حضروا لتوديعي يعتبرون مودعين للشيخ أيضاً.

وقـــد خـــتموا علـــى بطاقة الصعود إلى الطائرة ختماً يبيح لحامله أن يتناول طعام الفطور على نفقة شركة الطيران، لأن المسافة قصيرة بين بهوبال و(أندور)، ولكننـــي أفطـــرت قبل ذلك في الفندق، فعرضوا الشاي وأحضروا الشراب الغازي فلـــم أرغب فيه، وقد تجلى احترامهم للمشايخ وأهل العلم والدين في هذه البلاد حتى غير المسلمين كانوا يبجلون السيد أبا الحسن الندوي، ويحترموننا، وربما كان ذلك ناجماً عن رؤيتهم إخواننا المسلمين يفعلون ذلك.

وقـــد علقت في قاعة كبار الزوار لوحة لمدينة بهوبال كان أبرز ما فيها مسجد جميل المظهر، عالي المنائر تبين أنه (تاج المساجد).

وهـــذه الآثـــار الإسلامية هي الوحيدة التي يفتخرون بها كما يفعل أهل (اقـــرا) التـــي فيها تاج محل وكذلك فتح بور سكري، بل حتى في دلهي ليس لديهم ما يفاخرون به من الأبنية والآثار القديمة التي تستحق أن يراها السياح والزائـــرون إلا الآثـــار الإســـلامية القديمة، وقد ذكرت بعض ذلك في كتاب (نظرات في شمال الهند) من هذه الكتب التي تتحدث عن البلاد الهندية.

وقد أبديت للحاضرين ذلك وبخاصة للسيد أبي الحسن الندوي الذي اعتز بحصافة رأيه، ودقة حسه، وحسن تقديره للأمور السياسية والدينية.

وبحثـــنا بهذه المناسبة موضوع الجامع البابري في (ايو دهيا) الذي هو الآن موضـــع احـــتكاك بين المسلمين والهنادك فهو جامع كبير يسمى الجامع البابري نسبة إلى (بابر) أول ملوك المغول الذين حكموا الهند.

وهو من أهل وادي فرغانة في جمهورية أوزبكستان، زرت قريته هناك وأروني بيته، وذكرت ذلك في كتاب (يوميات آسيا الوسطى).

ويقـــول الهـــنادك: إن هذا الجامع مبني على أنقاض معبد هندوكي قديم كان الموضـــع الـــذي ولـــد فيه (رام) كبير آلهتهم، وأعجب لإله يولد، وإنه تجب إزالة المســـجد وإعادة بناء المعبد الهندوكي على أنقاضه، وقد مانعت الحكومات الهندية المتعاقـــبة مـــن ذلك خشية لما سوف يسببه من احتكاك بل من اضطرابات خطيرة بـــين المسلمين والهندوك، وما قد يجره ذلك من سخط الدول الإسلامية التي تتعامل تجارياً مع الهند، ولا تستغنى الهند عن المتاجرة معها.

حتى الحكومة الهندية الحاضرة التي يسيطر عليها الهنادك ونجحت في الانتخاب على أساس هدم المسجد البابري لم تستطع أن تفعل ذلك.

وقـــد أتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فسلط عليهم السيخ يقتلون فيهم في ولايـــة البنجاب وهاريانا يريدون بذلك أن يحملوهم على أن يقروا لهم بولاية خاصة لهم يقيمون لهم فيها حكماً خاصاً بهم يسمونها (خالص ستان).

وذلك حمل الهنادك على مراعاة شعور المسلمين لئلا يجتمع عليهم السخط من الجميع، كما أن الإخوة المسلمين من أهل كشمير قد ثاروا أيضاً فأرسلت الحكومة الهندية المركزية قسماً كبيراً من الجيش لمكافحتهم وذلك شغلهم أيضاً عن موضوع هذا الجامع البابري، أو هو شغلهم عن ابتغاء عداوة المسلمين في الهند وخارجها، إلاّ أن المتعصبين في الجمعيات الهندوكية أعلنوا تصميمهم على هدم المسجد.

وداعاً يا بهوبال:

رغم ما في بهوبال من أشياء محزنة أكثرها إيلاماً للنفس ما آلت إليه حال المسلمين من انحطاط بعد ارتفاع بل من ولاية الكفار عليهم بعد أن كانوا الولاة على الكفار وما في وسطها من سيئات المدن الهندية من الازدحام وتلوث الهواء، وما في ضواحيها من ضيق في الشوارع، وعدم ابتغاء للجمال في تخطيطها فإنها مدينة جميلة بالنسبة إلى مدن الهند يألفها الزائر المسلم وتألفه.

ولا يزال يذكر (النَّوَّاب) بل النَّوابين- إن صح الجمع- الذين حكموها من المسلمين، بل النوابات من المسلمات إذْ حكمها أربع من المسلمات حكماً مستقراً.

ويذكر هنا أن كلمة (نَوَّاب) هي بفتح النون وتشديد الواو كأنها مبالغة من نائب بمعنى قائم مقام الملك الأعظم أو نائباً عنه في الأصل، ثم استعملت لأمير المنطقة المستقل عن غيره، وقد كثر النوابون قبيل الاستقلال في الهند، إذْ استقلوا ببعض المناطق وهذه كلمة تطلق على الحاكم المسلم أو الأمير المسلم للمنطقة من تلك المناطق، وأما الكافر الهندوكي الذي يحكم مثل تلك المنطقة فإنه يسمى (مهراجا) إذا كانت كبيرة وراجا إذا كانت صغيرة.

ولكن المرأة المسلمة إذا حكمت مثل تلك المنطقة أو الإمارة قيل لها (نَوَّاب) مثلما يقال للرجل فكأن هذه الكلمة مما يستوي فيها- عندهم- المذكر والمؤنث.

ورغم ما يرونه من مظاهر التكريم من المودعين فإنهم حرصوا بل شددوا في التفتيش عند الخروج إلى الطائرة ففتحوا حقيبتي اليدوية وفتشوا

المصـــوّرة- أي آلـــة التصـــوير- وصادروا حاشدة صغيرة (بطارية) كنت أعـــددتها فـــي حقيبتي من باب الاحتياط فيما إذا نفدت الكهرباء من التي في المصورة ثم صعدنا إلى طائرة الشركة الهندية الداخلية المعهودة وهي شركة (انـــديان إير لاين) وهي من طراز بوينغ ٧٣٧ المألوف في الخطوط الداخلية عـــندهم فوجدناها قد ملئت بهم حتى لم نكد نجد فيها مكاناً، وذلك بأنها كانت قادمة من دلهي ومتوجهة إلى بومبي.

من بهوبال إلى أندور:

قامت الطائرة في التاسعة والنصف متأخرة ٣٥ دقيقة عن موعد قيامها المحدد في الأصل وهو التاسعة إلا خمس دقائق.

وكان داخل الطائرة يفوح برائحة غير محببة نتيجة لكثرة الركاب الذين شـــغلوا كـــل مقاعد الطائرة رغم تقاربها، وكثير منهم يسعل وبعضهم يعطس ويمخـــط مما جعلني أشفق من الزكام الذي كنت أصاب به غالباً عندما أكون في الهند، ولكن الله سلم.

مطار أندور:

هـــبطت الطائرة في مطار أندور بعد طيران استمر ٣٣ دقيقة وكان هبوطها صـــعباً تكاد تتحرك له فقرات الظهر وذلك لكونها تضرب الأرض بشدة مزعجة، ثـــم يـــزعج القائـــد ركابـــه بأصـــوات محركيها اللذين يحاول أن يوقفها بهما لأن الكوابح- الفرامل- لا تستطيع أن توقفها بسرعة بعد سرعتها البالغة في الطيران.

وهـــذا الأمـــر يقـــوم به الطيارون في أنحاء العالم كله إذا كان المطار صغيراً قصير المدرج.

وقفت الطائرة عند بناء مطلي بطلاء أصفر إلا أنه باهت متسخ المنظر من الخارج.

الاستقبال الحافل:

نحن- كما قلت- في صحبة الشيخ السيد أبي الحسن الندوي، ولذلك كان المستقبلون في المطار كثيراً منهم إن لم يكونوا كلهم المشايخ وطلبة العلم يظهر ذلك واضحاً من ملابسهم الخاصة بطلبة العلم، ومن قلانسهم (طواقيهم) جمع طاقية- وإن كان بعضهم قد جاملني قائلاً إن الشيخ أبا البركات الفاروقي تلميذك في الجامعة الإسلامية وهو صاحب مدرسة ومقام هنا قد دعا المدرسين والطلاب إلى استقبالك.

فقد تلقانا عندما دخلنا مبنى المطار جمهوراً ضخماً من هؤلاء يصافحون ويعانقون بكثافة حتى سدوا منافذ الهواء من كثرتهم حولنا.

وقد فرشوا الأرض بزهور أرجوانية وصفراء، وكانوا مزدحمين متراصين، مما حمل أحد المشايخ المستقبلين على إخراج زجاجة صغيرة من العطر وتعطيرنا من أجل تطييب رائحة الهواء، وذلك بعد أن أجلسونا قليلاً في قاعة الوصول حتى خف الجمع.

في مدينة أندور:

قدم إليَّ الشيخ أبوالبركات الفاروقي سيارة من صنع هندي تشبه الفيات الإيطالية وهو يقول: هذه لك إلى حين سفرك ثم ركب معي فيها، وركب الشيخ السيد أبوالحسن الندوي في غيرها، وتركنا مطار (أندور) إلى المدينة مع منطقة ريفية ولكننا وصلنا بسرعة إلى المناطق المأهولة بالسكان.

وشارع المطار ضيق تسير فيه السيارات متقابلة على ضيقه وعندما وصلنا المناطق المسكونة كثرت عربات الركشا التي تسير بالمحرك ويسمونها (موتور ركشا) وهي تزعج بأصوات محركاتها، وبما تنفثه من دخان ولو كانت قليلة لهانت المصيبة بها ولكنها كثيرة العدد فتكون مزعجة لذلك.

ومررنا بقلب المدينة التجاري الذي يصح وصفه بأنه هندي أصيل، بل بأنه هندوكي أصيل، فالمارة هم من النوع الهندي الأسمر اللون النحيف القوام إلاّ مـــن كـــان مـــنهم غنياً أو ثرياً فإنه يكون ضخم الجسم أكثر من المعتاد، والنســـاء عليهن الساري، واللباس الهندي التقليدي الذي نعرف منه في بلادنا الســـاري الفاخر المصنوع من الحرير مع أن أكثره في الهند من أقمشة رديئة لأن الفقـــراء لا يســـتطيعون شراء الحريري منه، وترى الواحدة منهن وتكاد وهي تسير تتعثر بأذيال ذلك الساري الذي يشغلها أيضاً جزء عالٍ منه تضعه على كتفها فينزلق عنه، فتعيده إليه لا هم لها إلا ذلك إلا إذا تركته يتدلى على غير ما ينبغي أن يكون.

ولـــم تخل هذه المدينة من الصفة المميزة لأغلب المدن الهندية الأصلية ألا وهي كون النظافة في شوارعها ليست بذاك.

ووصلنا إلى ميدان صغير في المدينة في وسطه تمثال (غاندي) الزعيم الروحـــي لأهل الهند قبيل عهد الاستقلال ويسمونه المهاتما (غاندي) ويتابعهم بعـــض كتابنا على هذه التسمية فيسمونه المهاتما غاندي مع أن معنى المهاتما (القـــديس) وما هو بقديس، بل هو بعيد عندنا من القداسة ما دام يعبد الأوثان من دون الرحمن، ولا يؤمن برسالة الإسلام.

وبعده شارع مهم اسمه (طاغور) على اسم شاعر الهند إن لم نقل شاعر الهندوك الكبير الذي صار أديباً عالمياً يسلك في سلك الأدباء العالميين.

ثـــم مـــيدان صغير قد نصبوا فيه تمثالاً لجواهر لال نهرو أول رئيس لـــوزراء الهند بعد الاستقلال وأحد رواد حركة عدم الانحياز، وهو أشهر من أن يعـــرف عـــند السياسيين، إلا أن الذي ربما لا يعرفه بعضهم هو أن معنى اســـمه (الجواهر) الحمر أو (الجوهر الأحمر) لأن جواهر هي الكلمة العربية التي تعني الجوهر جمع جوهرة و(لال) بالأوردية تعني أحمر.

ويـــنطلق من ذلك الميدان شارع طويل اسمه (جواهر رود) أي شارع جواهـــر وهو هذا، وهذا كله يعطي فكرة عن طابع المدينة الهندي، فليس فيها شارع مهم أو ميدان مهم على اسم أحد زعماء المسلمين مثلما عليه الحال في المـــدن الهـــندية الكبيرة مثل كلكتا التي فيها شوارع وميادين وحدائق مسماة بأسماء زعماء المسلمين وكبارهم.

وإنمـــا في هذه المدينة مدينة (أندور) حيٌّ مسمى على اسم أحد زعماء الاســـتقلال من المسلمين وهو الزعيم الهندي المسلم المشهور (أبوالكلام آزاد) أحـــد مؤسســـي حزب المؤتمر وأحد المعارضين لقيام باكستان، و اسم الحي (آزاد نقـــر) ونقـــر ســـبق أن عـــرفناها قريباً بأنها تعني بلداً أو محل سكنى بالهندي، وهي اللغة الهندية الشائعة الآن في شمال الهند التي استعملوها هناك بديلة من اللغة الأوردية لغة المسلمين في الهند.

ومـــن القليل الحديث عندهم أن يسموا شارعاً أو ميداناً باسم رجل من رجال الـــدين الهندوكـــي عـــندهم لأنـــه ليس لرجال الدين عندهم من الدخول في الأمور السياســـية والثقافية العامة ما لعلماء الدين عندنا، وقد رأيناهم هنا سموا ميداناً باسم أحد هؤلاء وأقاموا له تمثالاً يمثله وهو راكب فرساً واسمه (سبواجي).

منزل وجيه مسلم:

قالـــوا لـــنا: إن أحد وجهاء المسلمين في هذه المدينة دعاكم إلى تناول الشاي وأنتم في طريقكم من المطار إلى مقر الإقامة، فقلت لهم: نعم وشكراً.

وقـــف الموكب المؤلف من عدة سيارات تتقدمها سيارتي لأن السيد أبا الحسن الندوي لأدبه وتهذيبه يأبى إلا أن تكون سيارته خلف سيارتي من باب إكرام الضيف في الهند.

وكـــان الوقـــوف عند بيت سري المنظر نظيف المظهر تحيط به حديقة مرتبة غير واسعة إلا أنها ذات أشجار باسقة.

واستقبلنا صاحب المنزل هاشاً باشاً وهو يرحب وينحني بالتحية، إكراماً وإعزازاً لضيوفه الذين على رأسهم صاحب العلم والفضيلة السيد أبو الحسن الندوي.

وأخبرونا أنه تاجر من تجار هذه المدينة ووجيه من وجهائها اسمه (ملك شاه نواز) ومَلِك- بكسر اللام- وشاه هو الملك جاءوا باللفظ للتأكيد، وإن كان أحدهم قال لي: إن المراد بذلك الملك الكبير على الملوك وما أدري صحته ولم أجرؤ على أن أسأل صاحب الاسم عنه، وإنما المهم أن معنى كلمة (نوّاز) بفتح النون وتشديد الواو: الذي يكرمه الملك أو الذي يحبه الملك ويقدمه، فهو إذاً المقدم المحترم عند الملك، ولكن الملوك ذهبوا من الهند، وذهب معهم الذين يكرمونهم، وبقي لهذا الأخ الكريم شعب الهند بمسلميه الذين هم أقلية عددية في هذه المدينة وأكثريته الهندوكية وكلها تكرم هذا الرجل وتعترف بوجاهته ومنزلته.

وقد سلم علينا عنده أخوه (مِلِك شاه باز) ولاحظ السجعة في اسم الأخوين: ملك شاه نوّاز، وملك شاه باز، وكل منهما تاجر ثري ذو مقام في هذه المدينة.

وجدنا الأخ الكريم (ملك شاه نواز) قد أعد عدة من الكراسي في شرفة من بيته أمامها موائد نظيفة حديثة عليها صحون وأوانٍ فيها الفاكهة من تفاح قد قطعوه قطعاً صغيرة ورمان قد فتحوه ونثروا حبه، وأبعدوا عنه قشره ولبه، وحلوى وموز، وقليل من البسكويت والكعك.

فجاءوا بصحون صار أحدهم يقبض بيده فيأخذ من هذه الفاكهة المقشرة الجاهزة، للأكل ويضع في كل صحن شيئاً من كل نوع من أنواعها، ويقدمه له.

وقد جاءوا بالشاي المخلوط بالحليب وزجاجات الشراب الغازي، فلبثنا فترة على ذلك نتحدث وسألتهم والمسلمون هنا أقلية عددية عن الهنادك وهل يستنكفون عن الشراء من التجار المسلمين فأجابوا كلهم أنه إذا كان التاجر المسلم أميناً صدوقاً فإنهم لا يفعلون ذلك بل إنهم يقبلون على معاملته أكثر مما يقبلون على معاملة الهندوكي إذا لم يكن كذلك.

بل قالوا وكادوا يجمعون على ذلك القول: إن التاجر المسلم إذا كان أميناً لا يواجه مشكلة في تجارته في الهند.

ويقع بيت الأخ (ملك شاه نواز) في حي فاخر ولكنه قديم بيوته من دارات (فيلات) كبيرة عالية السقوف لأنها قديمة البناء، وترفرف عليها أشجار باسقة معمرة، وأشد ما يشوه جماله ويكدر منظره هو عدم النظافة في شوارعه مثل بقية الأماكن في هذه المدينة وإن كان هو أنظف من الأحياء السكنية الأخرى، واسم الحي (وايت تشرتش) أي الكنيسة البيضاء، لأنه كانت فيه كنيسة بنيت بسبب سكنى بعض الإفرنج فيه وإلا فإن المسيحيين في أندور قلة لا تصل إلى ٠.١/٠٠

المسلمون في أندور:

لمناسبة الحديث عن كون المسلمين أقلية في هذه المدينة وكونها لذلك تعتبر مدينة هندوكية أصيلة نقول من واقع ما سمعناه من إخواننا المسلمين هنا الذين هم صفوة من المثقفين والعلماء المهتمين بأحوال المسلمين المتابعين لما يطرأ عليها، بأن عدد المسلمين في مدينة أندور نفسها يبلغ (١٥٠) ألف نسمة من مجموع سكانها الذي هو مليون ونصف المليون نسمة، فنسبتهم فيها إذاً هي ١٠./. وأما خارج المدينة في المدن والأرياف فإن نسبتهم أقل من ذلك قال بعضهم: إنها ٥./. وقال آخرون إنها أقل من ذلك.

فهذه المناطق من وسط الهند اشتهرت بكثرة الإمارات والممالك الهندوكية فيها قبل الاستقلال مما جعل عدد المسلمين فيها يكون محدوداً.

ويبلغ عدد المساجد في مدينة (أندور) وحدها مائة وخمسة من المساجد كلها مبنية على هيئة المسجد وذات منارات وبعضها كبير.

إلا أن المسلمين فيها رغم قلتهم العددية التي هي عامل من عوامل الضعف فإنهم أيضاً من الذين يسيطر عليهم علماء السوء من الخرافيين الذين

يعظمـــون القـــبور، ويقيمون الأبنية عليها، ويقصدونها للصلاة، والدعاء بل بالخوف والرجاء.

وقـــد اشربوا بالدعاية الكاذبة التي جعلتهم يسمون أهل بلادنا ومن كان مثلهم متمسكاً بالعقيدة السلفية الوهابيين، من باب التشنيع والتشويه وتقليداً لمن ســـبقوهم مـــن المعادين للدعوة السلفية وإلا فإن أكثرهم إن لم يكونوا كلهم لم يقـــرؤوا مؤلفات أهل السنة ولم يدرسوا المذهب الذي أسموه المذهب الوهابي قبل الحكم عليه بالتشويه والتشنيع.

ومـــن ذلـــك أن الشيخ أبا البركات الفاروقي عندما عاد متخرجاً من الجامعة الإســـلامية فـــي المدينة المنورة وفتح مدرسته وبنى مسجداً يصلي فيه شنعوا عليه بأنه وهابي يريد أن يضل الناس ويفتنهم عن دينهم الصحيح كما يزعمون.

حتـــى تعرض لمحاولة القتل منهم مرتين، ولبث حبيس بيته لمدة ثلاث سنين لا يخرج إلا بصحبة من يستطيع الدفاع عنه حذراً من فتكهم به.

وزادوا علـــى ذلك بأن شكوه إلى الشرطة الهندوكية يزعمون بانه جاء من السعودية لينشر المذهب الوهابي الذي يضر بالمسلمين في هذه البلاد.

وقد استضعفوا أنصار الشيخ لقلتهم، وغرتهم كثرتهم العددية، ولكن الله نصـــر الشـــيخ وأظهـــر لعامة الناس الذين غرروا بهم أن الشيخ ليس فيه ما يقولون عليه، فهدأت الفتنة وكفاه الله شرهم، حتى صار يواصل عمله دون أن يخشى إلا الله.

مع هنود حمر:

هـــذا الوصـــف لهنود كل ما فيهم أحمر حتى وجوههم السمر قد طلوها بالحمـــرة الصـــارخة فصاروا بذلك يشبهون الهنود الحمر الذين رأيتهم غرب البرازيل وقد طلوا وجوههم خاصة بطلاء أحمر هو بالضبط مثلما فعله هؤلاء

الهـنود الـذين رأيتهم اليوم يمشون في الشارع ونحن ذاهبون من بيت الأخ (ملك شاه نواز) إلى الفندق.

مـع أنه ليس بينهم شبه وبين هنود البرازيل الذين يراد بهم سكان البلاد الأمـريكية الأصـلاء قـبل وصول الرجل الأوروبي الأبيض إلى تلك القارة فتقاطيعهم بعيدة جداً عن تقاطيع هؤلاء وتقاسيم الوجوه غيرها.

من نافذة الفندق في أندور ترى مساكن عمال

وهـؤلاء الهنود الحمر إلا بشراتهم السمر الداكنة الذين أخفوها بالطلاء الأحمـر ذي الخطوط البيض هم نحاف طوال القامات طوال الوجوه، والهنود الأمريكيون الجنوبيون الذين يسكنون جبال الإنديز هم متوسطون تميل قاماتهم إلـى القصر وأجسامهم غليظة ولا يوجد بينهم نحيل، ووجوههم مستديرة ذات وجنات غليظة مرتفعة.

أوقفـت السيارة وعجلت إليهم لأستأذنهم في التقاط صورة لابد من استئذانهم فـيها لأنهـم كانـوا يسيرون في شارع فيه مارة كثر وسيارات ولابد من أن يقفوا للصورة، ولكنهم أجفلوا مني، ولم يقفوا بل دهشوا وبان الخوف بل الفزع من على وجـوههم، وقـال الشـيخ أبو البركات وهو من أهل المدينة ويعرف لغتهم: إنهم

يقولـــون: إنه يريد أن يضربنا وعلق الدكتور عبدالله عباس الندوي الذي كان معي فـــي الســـيارة مـــع الشيخ أبي البركات: إن الفقراء وغير ذوي الوجاهة من الناس يخشـــون من راكبي السيارات لأنهم يكونون في الغالب من ذوي النفوذ والسلطان، ولا يملك مثل هؤلاء الفقراء أن يمنعوهم عما يريدونه بهم.

وقـــد طمأنهم الشيخ أبو البركات قائلاً هذا عربي يريد أن يلتقط صورة لهـــم فأبوا إلى أن أعطاهم نقوداً وأجزل لهم العطاء بأن أعطاهم ستين روبية وهم أربعة وذلك مبلغ كبير بالنسبة إلى فقراء مثلهم في هذه البلاد.

وهنا كان الفضوليون قد تجمعوا ينظرون ويحملقون فأنا أرتدي ملابسي العـــربية وعلـــى رأســـي (الشماغ) الأحمر فالتقطت لهم صورة على عجل، ولاحظت أن لهم شعوراً مرسلة كشعور النساء.

ولـــم يعرف الإخوة المرافقون عملهم وما إذا كانوا من رجال الدين الهندوكي أم لا ولكنهم يؤكدون ما عرفته عنهم من أنهم من أرباب الديانة الهندوكية.

نزلنا في فندق اسمه (بلواز) يملكه أحد المسلمين وقال الأخ أبوالبركات: إنـــه الفـــندق الوحـــيد في هذه المدينة التي فيها فنادق كثيرة الذي يملكه مسلم وفـــنادق غير المسلمين تقدم فيها الخمور ولا تكون نظيفة كالفندق الذي يملكه مسلم، ولو كان أكثر نزلائه من غير المسلمين.

أما الطعام فإنه الحلال الذي لا يشك فيه، سواء أكان في فنادق المسلمين أم فـــي غيـــرها، لأن ذبح المواشي لا يقوم به إلا المسلمون، ولكون الهنادكة الذين لهم الأغلبية الساحقة في البلاد لا يقتلون الحيوان، ولا يأكلون اللحم، وإن كـــان المتحررون منهم غير المتمسكين بدينهم يأكلون اللحم فإنهم لا يذبحون الحيوان مطلقا، وإنما يكلون الذبح حتى في فنادقهم إلى المسلمين أو يشترونه من الجزارين الذين كلهم من المسلمين.

والفـــندق نظيف مثل نظيره في بهوبال الذي يملكه أحد المسلمين إلا أنه

لـــيس الفـــندق الوحيد الذي يملكه مسلم في بهوبال لكثرة المسلمين في بهوبال كثرة نسبية وقلتهم هنا قلة حقيقية.

كانـــت غرفتـــي فـــي الطابق الثاني من هذا الفندق النظيف الذي كسوا جدرانه المحيطة بمصعده بالرخام الجرانيتي الغالي وكذلك بلطوا أرضه برخام محلي شامل وعندما أزحت ستارة النافذة وقعت عيني على منظر مختلف هو منظر بيوت من بيوت الخرق ملاصقة له وهي مؤلفة من عيدان ملفوفة بخرق متنوعة ممزقة ومن قطع من الخيش البالي الذي لا يصلح للاستعمال.

كما رأيت من جهة ثانية حانوتاً يظهر أنه لإصلاح الدراجات على غاية من عدم العناية به وبما فيه.

وقد وضعوا في هذا الفندق كما يضعون في غيره من الفنادق زمزميات فيها ماء بارد للشرب يزعمون أنه ماء مغلي، ولكن من الذي يثق بكونهم غلوه حتـــى قتل الغلي ما قد يكون فيه من جراثيم، ثم من الذي يثق بأنهم لم يتركوه مكشوفاً ولم يعطسوا عليه أو يسعلوا فوقه، والسعال والعطاس فاش فيهم بكثرة لافتة للنظر.

وقـــد أرجـــع أحد الإخوة من أهل الهند ذلك إلى الإكثار من الفلفل في الطعام وقال: إنه يضر بالصدر، ويورث السعال، والذي أفهمه أنه لا علاقة له بالصـــدر إذا أكل مع الطعام وإنما علاقته بالصدر إذا قرب الإنسان منه وشم رائحته وأغلبهم لا يفعل ذلك.

وإنما الذي أعتقده أن الإكثار من الفلفل في الطعام يسبب إحداث خدوش فـــي المـــريء الـــذي هو مجرى الماء والطعام إلى المعدة، وهو واقع بجوار القصبة الهوائية باصطلاح الأطباء وموقعه الصدر.

وقـــد نفعنـــي الله بوجود الماء المعدني في الهند في هذه السفرة إذْ كنت أبحث عنه في السابق فلا أجده وقد كتبوا على الماء المعدني الذي أشربه الآن

أنه معدني طبيعي من نبع في جبال الهملايا.

ومن الطريف في سعره أنني عندما نزلت في فندق (سنتور) قرب مطار دلهي حسبوا قيمة الزجاجة الواحدة بأربعين روبية أي دولار وثلث وفي فندق (جـيهان نـوما بلاس) في بهوبال كانوا يأخذون ثمنها ٢٥ روبية، وفي هذا الفندق طلبت واحدة اليوم فطلبوا ثمنها ١٥ روبية، وهي زجاجة مماثلة لغيرها لا تتغيـر، وإنما مستوى الفندق عندهم، مع أن مستوى غرفة فندق أندور هذا من الداخل أرقى من مستوى الغرف في التي ذكرت قبله.

إلى فريد نقر:

قضـينا قـرابة السـاعة فـي راحة طيبة أعدها أخونا وتلميذنا الشيخ أبوالبركات الفاروقي، وقد سكن في غرفة في الفندق بجانب غرفتي ليكون في خدمتـي طـيلة بقائي في أندور كما قال جزاه الله خيراً، رغم كونه من أهل أندور وبيته فيها.

ثـم انطلقنا من الفندق في الساعة الواحدة قاصدين حياً اسمه (فريد نقر) وهو حي من أحياء المسلمين جديد يقع في أقصى شرق المدينة على بعد ١٠ كـيلات من قلب المدينة وكان عندما نزل فيه المسلمون قفراً تكثر فيه الحيات حتى ذكر لي بعضهم أنه قتل فيه ثلاثاً منها.

وهو منسوب إلى (فريد الفاروقي) ولا أعرف من أمره شيئاً إلا أنه من المسلمين.

اختـرقنا قلـب المدينة التجاري الذي ذكرته قبل ذلك حتى وصلنا قرب أطـراف المدينة الشرقية إلى حي شعبي من أحياء الهنادكة الفقيرة فيها وهو ضـيق الشوارع بل الأزقة لأنه لا تكاد تلتقي فيها سيارتان لضيقها، وأكثرها متعرج مع أنه حي جديد كان يمكن بسهولة رسم شوارعه باستقامة ونظام.

حتـى وصلنا حي (فريد نقر) فكان أول ما لفت نظري فيه بحيرة في غربه قـد تجمعت فيها المياه المستعملة لأنه ليس فيه مجار للمياه، مثله في ذلك مثل أكثر

أحـــياء المديـــنة التي رأينا قنوات المجاري فيها خارجة من البيوت تصب في قناة تمـــتد بجانبـــي الشـــارع بعضها مسقوف وبعضها مكشوف، حيث تسير فيها المياه المستعملة إلى مجاري وادٍ منخفض يسميه بعضهم بالنهر، وما هو بنهر.

جامع مدرسة رياض العلوم في إندور للشيخ أبي البركات الفاروقي

قصـــدنا المســـجد الـــذي أسسه وقام على عمارته بالصلاة والعبادة مع زملائه وطلابه الشيخ أبو البركات الفاروقي حزاه الله خيراً، فكان هذا المسجد المبنـــي بناء قوياً من الأسمنت المسلح القوي الغالي، ولكن النفقة قصرت عن طلائـــه، بـــل حتى عن إكماله فليس فيه نوافذ ولا أبواب ولا منارة وليس له سور ولا دورات للمياه رغم اتساعه وأهميته.

وتقابله مدرسة مكتملة البناء، بيضاء الطلاء، تابعة للشيخ أبي البركات، يســـمونها مدرســـة الحفـــاظ الذين يراد بهم حفاظ القرآن الكريم، وهي غير المدرسة العامة الكبيرة.

دخلـــنا المسجد فوجدناه غاصاً بالطلاب والأساتذة وعدد كبير من المسلمين، وبخاصة من المشجعين للمدرسة وغيرهم وقد نصبوا مكبرات الصوت.

وقد صف الطلاب بنظام وكلهم نظيف الثوب والبدن، بل حسن الهيئة والغذاء فيما يبدو من مظاهرهم وليسوا كالهنادكة الذين لا إشراق في وجوههم، ولا نظافة في ملابسهم، والمراد بالهنادكة هنا الفقراء الذين معيشتهم في مستوى معيشة المسلمين في الوقت الحاضر، وإلا فإن الطبقة المتعلمة والغنية من الهنادكة تظهر عليهم النظافة في الثياب، والأخذ بأسباب المدنية وإن كان الإشراق قليلاً في وجوههم.

افتتح أحد الخطباء الاحتفال بتلاوة كريمة من آخر سورة النمل أداها أداء جيداً يحسد عليه، ثم تقدم بعده ثلاثة من طلاب المدرسة فألقوا نشيداً بالعربية أدوه أداء جيداً متقناً.

وكان عريف الحفل قد نوه بوجودي في أول الحفل، ولم يكن الشيخ السيد أبو الحسن الندوي قد حضر وإن كان مرافقوه قد حضروا كلهم، وقد تخلف بحجة أنه متعب وهو كذلك، ولكن الرجل يتمتع بذوق راقٍ وقد يكون أراد بتخلفه أن يكون الحفل للترحيب بي.

والواقع إن الخطباء قد فعلوا ذلك فلم يذكروا السيد أبا الحسن في الترحيب سواء قبل حضوره أو بعده، لأنهم لا يعتبرونه ضيفاً على المسلمين في هذه البلاد لكونه شيخهم وغير غريب عنهم، وهذا نص النشيد الذي ربما كان مستلاً من أحد الكتب.

ضَيْفُنَا بالقلبِ حَلاَّ ... مَرْحَبَا أهْلاً وسَهْلاَ
ولَنَا اليوم سُرُورُ ... مِنْ مُحِيّاهُ تَجَلَّى
إنَّنَا نُكْرِمُ ضَيْفاً ... ونَعُدُّ الضَّيْفَ أهْلاَ
ونَفِيْهِ كُلَّ حَقّ ... مِنْ حُقُوقٍ إن أطَلاَّ
إنَّ حُبَّ الضَّيْفِ يرْضى ... ربَّنَا عَزَّ وَجَلاَّ

ثـــم تقدم أبو الريحان الفاروقي نجل الشيخ أبي البركات الفاروقي فألقى كلمـــة نـــيابة عـــن والده تضمنت ترحيباً حاراً، وثناء عاطراً على شخصي الضعيف لأنني أستاذه في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

ولقد تأثرت مما جاء في الكلمة لأن ابنه الآن هو في مظهره أي مظهر الأب الذي هو الشيخ أبوالبركات عندما حضر للدراسة في الجامعة الإسلامية قـــبل ٢٨ سنة، وكنت آنذاك أشغل وظيفة الأمين العام للجامعة، ولم يكن ابنه هذا قد ولد فيما أعرف، ومع ذلك ها أنا أشاهد الآن الشيخ أبا البركات قد شاخ وابـــيض شعره ولكن ذلك لم يذهب سدى، بل كان في عمل صالح للدعوة إلى الله وتربية أولاد المسلمين تربية إسلامية صافية.

وقلت في نفسي هنا وأنا أشاهد عمل الشيخ أبي البركات عياناً مثلما كنت قلـــته قبل ذلك عندما شاهدت آثار زملاء له من أنحاء العالم كانوا قد التحقوا بالدراســـة فـــي الجامعـــة الإسلامية في المدينة المنورة وأتموا دراستهم، وأنا موظـــف فيها، لقد نفع الله بهم فأسسوا المدارس الإسلامية وأرشدوا الجماعات المسلمة وبنوا المساجد، ونشروا الكتب مما جعلني وأنا أحد الذين شاركوا بقوة وتأثيـــر في تعليمهم أحمد الله تعالى وأشكره وأقول: لو لم يكن لإنشاء الجامعة الإسلامية من التأثير إلا وجود هؤلاء الإخوة الكرام لكفى.

وقـــد سعدت بالعمل في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة مدة أربع عشـــرة ســـنة ابـــتدأت منذ أول افتتاحها حتى نقلت منها إلى وظيفة أرفع من وظيفتي فيها وهي وظيفة الأمين العام للدعوة الإسلامية.

لـــم أكن أريد أن أشرك القارئ الكريم فيما جاء من ثناء أو ترحيب في كلمـــة الشيخ أبي البركات لأنه يتعلق بموضوع شخصي بين أستاذ وتلميذه إلا أننـــي رأيـــت بعـــد ذلك أن أذكرها لكونها تتصل بما ذكرته من عمل الدعوة الإسلامية وهذا نصها:

الحمـــد لله وحـــده لا شـــريك له، له الحمد والشكر والمن والفضل أولاً وآخراً، وصلى الله على نبيه الأمين، وخاتم النبيين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد:

تحـــية الأستاذ الجليل العالم المصلح الكبير الشيخ محمد ناصر العبودي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي في مناسبة قدومه مدينة (أندور) وزيارته لمدرسة رياض العلوم.

أيها الأستاذ الجليل!

مـــرحباً بقـــدومك المـــبارك فـــي بلدة أندور، مرحباً بك في المجتمع العلمي الإســـلامي الـــذي أنت من رواده، مرحباً بك في دار للعلم والطلبة، مرحباً بك في مكـــان تعلـــو فـــيها أصـــوات كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، نحن المســـئولين لهـــذه المدرسة، وأساتذتها وطلبتها نحييك بتحية الإسلام، ونرحب بك ترحيباً نابعاً من قلوبنا، ونعتبر زيارتك مفخرة لنا تسجل في تاريخ هذه المدرسة.

أيهـــا الأستاذ الكريم! إنه يشرفني شخصياً أن أكون أحد تلامذتك الذين خرجتهم على يدك الكريمة، وسلكتهم على طريق خدمة الدين والعلم، وإني لا أزال علـــى عهدك ووعدك، قائم على عمل نصحتنا به والسبيل الذي رسمته لأبناءك طلبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أيام إشرافك على تربية الجيل الحاضر في مدرجات الجامعة.

أيها الزائر الكريم!

إن هذه المدرسة التي تتشرف اليوم بزيارتك مدرسة دينية أسس بنيانها على التقوى، طلباً لمرضاة الله، في جو مكفهر مظلم يحيطها مجتمعات عدائية المجتمع العام لسكان هذه البلاد المعروفين ممن يكونون أغلبية ساحقة ومجتمع ينتمـــي إلـــى الإســـلام والإســـلام منه براء، من المبتدعين والخرافيين الذين ناصـــبونا العـــداء مـــن كل جانب، وكانوا لا يزالون أشد عدواناً علينا بعض الأحـــيان مـــن أبناء الأغلبية لهذه البلاد، ولكن الله سهل الأمر بعد تضحيات كبيـــرة ونضـــال مريـــر، يعرفها أبناء هذه البلدة، وكانت إقامة مدرسة لأهل العقيدة الصحيحة اشدّ وأصعب من شق الطرق في الجبال الشاهقة.

مدرسة تحفيظ القرآن بجانب الجامع للشيخ أبي البركات الفاروقي في إندور

أيها الزائر الفاضل الكبير:

نحـــن نشـــكرك شكر الأبناء للآباء شكر التلاميذ للأستاذ الكبير، شكر المقدرين لصاحب حقه و أهله، ونعلم ما تجشمت من صعوبة السفر للوصول إلـــى هذا المكان البعيد، فجزاك الله عنا خيراً ولك من الله عمر مديد وتوفيق مستمر وقرة عين لا تنقطع.

أيهـــا الزائـــر الكـــريمّ أذكـــر لكم نبذة من هذه الحركة العلمية الدعوية للرجوع إلى السنة النبوية والدعوة إلى التوحيد الخالص.

وفي بداية هذا الأمر تحملت فوق طاقة ما تحملت، ووصفه يحتاج إلى صفحات.

ولهذه الحركة وجهان وجه ظاهر وهو في هذا الشكل أمامكم (المدرسة) مـــع أقسام مشروعاتها، والوجه الثاني هو وجه خفي عن الأنظار يعرفه أهل البلدة وهو إشاعة السنة ومحو البدعة وآلاف من الناس رجعوا- بحول الله إلى العقائد الصحيحة الثابتة من الكتاب والسنة- وهذه الحركة أنفع وأوسع وأقوى من وجه الظاهر لكن تحتاج إلى توسيعها إلى مساعدات مستمرة لائقة.

والمدرســـة تشتمل على أربعة أقسام، قسم للعلوم الدينية الإسلامية، وفي الابتدائـــية مقرون بالعلوم العصرية على قدر الحاجة ترقت المدرسة إلى الآن إلى الدراسة الثانوية، وفيها جناح لتحفيظ القرآن الكريم.

والقسم الثاني مدرسة صناعية وهي الآن على القرطاس في الخرائط.

والقســـم الـــثالث مدرسة البنات لم تشرع بعد، والقسم الرابع المستشفى، ولـــتلك المشـــروعات قطع أراض خاصة، لكل قسم قطعة مباينة بعضها عن بعـــض ومســـاحتها جميعها سبعة عشر فدّاناً اشتريناها بثمن بخس جداً، الآن ثمنها خمسة ملايين.

داخل مدرسة رياض العلوم في إندور

ولاســـتكمال جميع المشروع تخمين مؤنتها خمسين مليون الآن صُرفت عليها ثلاثة ملايين.

نـــرجو من الله تعالى أن يكتمل هذا المشروع بمساعدتكم ثم من أمثالكم أصحاب التوفيق والقبول، جمعنا عملة قليلة قليلة من عامة الناس وحفنة حفنة

مـــن الغـــلات والحـــبوب من الفلاحين، ما وجدنا أي مساعدات كبيرة لا من الخارج ولا من الداخل.

يـــا سيدي أغرزت نواة قبل عشرين سنة في أرض قفر سبخة بعد مدة مديـــدة نجمت هذه النجمة التي ترونها سوف تكون دوحة عظيمة يستظل في ظلهـــا عدد كبيرٌ إلى قرون متطاولة إن شاء الله تصل إلى عرفها إلى أرجاء المملكـــة الهـــندية جميعها، أختم هذا على جملة ذات قيمة أخذتها عن الأستاذ الشـــيخ أبـــي الحسن الندوي كتب عند أول زيارة هذه المدرسة (ستكون هذه المدرســـة مـــناراً ثابتاً في هذه الولاية إن شاء الله) هذا ختام المسك من قول الشيخ على هذا الموجز، والله يتولاكم ويرعاكم ودمتم مع الخير والعافية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تلميذكم/ أبوالبركات الفاروقي الندوي

ومـــن لطـــيف الملاحظـــة أن اســـم الشيخ أبي البركات الفاروقي هو (أبوالبـــركات) ولـــيس كنـــية له وقد سمى أبناءه الثلاثة بأسماء كلها كنى في الأصل وأعلام لهم وهم على التوالي في العمر: أبوالعرفان وأبوالريحان، هذا الذي قرأ الكلمة نيابة عن والده والأصغر هو أبوسليمان.

ثـــم تكلم عريف الحفل فعقب على الكلمة بقوله: إنه يرجو منى أن ألقي كلمـــة فـــي الطلاب والحاضرين لأنهم ينتظرونها مني وسوف يترجمها إلى الأورديـــة الدكـــتور عبدالله عباس الندوي فتكلم الشيخ عبدالله بكلمة مبسوطة بالأوردية فيها التعريف والثناء وذكر أنه سوف يتابع كلمتي بالترجمة بالكتابة ثم يلقي ترجمتها بعد أن أفرغ من كلمتي العربية.

فالقـــيت فيهم كلمة مرتجلة تضمنت الحمدلله والشكر له على تيسير هذا اللقاء المبارك في هذا البيت من بيوت الله الذي قام على بنائه وعمارته بالعلم والعمـــل صاحب الفضيلة والعلم الشيخ أبوالبركات الفاروقي الذي نوه بكوني أستاذاً له في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

المؤلف يتكلم في جامع رياض العلوم في إندور

وقلـــت مخاطباً الطلاب: إنني أذكر بوضوح مجيء الشيخ أبي البركات وزمـــلاء لـــه من الإخوة طلبة العلم من أهل الهند إلى الجامعة الإسلامية في المديـــنة المنورة ثم ها نحن نرى الآن آثاره وجهوده وهي جهود مباركة تضم إلى جهود له أخرى نعرفها وربما لا تعرفونها وذلك ما قام به إبان ابتعاثه بعد تخـــرجه داعـــية إلـــى الله مبتعثاً من دار الإفتاء والدعوة في المملكة العربية السعودية إلى أوغندا وكينيا في إفريقية.

ولـــذلك أســـأل الله تعالى أن يجعل فيكم وأنتم تلامذته وطلابه من يعمل مثله وخيراً من عمله، ولا شك أنه يسره ذلك لأن المثل القديم يقرر أنه لا أحد يحب في أن يكون أحد خيراً منه إلا الوالد فإنه يأمل أن يكون ابنه خيراً منه.

والشـــيخ أبوالبـــركات هو والد روحي لكم وهو يحب لكم أن تكونوا في العلم والعمل مثله أو أكثر منه.

فأرجو أن تتذكروا ما قلته حتى لا يستبطئ أحد منكم ساعة تخرجه في هذه المدرسة المباركة وقيامه بعمل الدعوة (كل آت قريب).

وإنما الواجب على طالب العلم أن يجد ويجتهد في التحصيل ما دام في سن الطلب وأن يحفظ أوقاته فلا ينفقها إلا فيما يساعد على ذلك.

وقلـــت لهـــم: إن عمـــلاً عظيماً ينتظركم أنتم الدعاة إلى الله تعالى لأن المـــبادئ الوضعية قد أفلست، وأخفقت في جلب السعادة للإنسان وعلى رأسها الشـــيوعية التـــي شهد عليها أهلها بالإفلاس والسقوط وكانوا أول من طلقوها وتخلوا عنها في عقر دارها.

وأنـــتم أهل الهند كما عرفناكم من أكثر المسلمين عملاً لدينكم الإسلامي الحنيف، سواء أكان ذلك في داخل الهند أو في المهاجر خارجها وقد عرفتكم أنا نفسي بذلك، وشاهدته من إخوانكم رأي العين.

ويجب علينا جميعاً أن نحقق الإسلام بالقول والعمل، فلا نقول بألسنتنا: إننا مسلمون من دون أن نلتزم بتطبيق الإسلام على أنفسنا وأفعالنا، ويجب أن نعمـــل علـــى أن يشعر المسلمون كلهم بذلك حتى يأخذوا بالإسلام كله، قولاً وفعلاً واعتقاداً ومعاملة مع الناس فإنهم إذا فعلوا ذلك كانوا قدوة حسنة لغيرهم فـــدخل الناس في دين الله أفواجاً كما كان عليه الحال في الصدر الأول عندما كان سلفنا الصالح يعملون بالإسلام في كل شيء من أمور حياتهم.

ثم قلت لهم: إنه ينبغي لكم أن تقتدوا بشيخكم الجليل الشيخ أبي البركات الفاروقـــي الندوي وبشيخه السيد أبي الحسن الندوي الذي صار بعلمه وعمله علمـــاً مـــن أعلام هذه الأمة ونرجو أن يكون فيكم من يكون مثله أيضاً، فلا تقولـــوا إنكـــم الآن صغار فرب صغار قوم كبار آخرين، هذا ولم يكن الشيخ السيد أبوالحسن الندوي حاضراً في الاجتماع، وإنما حضر بعد ذلك.

ودعـــوت لهم في آخر كلمتي بأن ييسر الله لهم الحج والعمرة والزيارة حتى نراهم في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وهـــنا نهض الدكتور عبدالله عباس الندوي فترجم كلمتي إلى الأوردية بنصها الكامل كما نقلها مني وأنا أتكلم لأنها مرتجلة كالعادة.

وكنت أتأمل المناظر أمامي وهو يتكلم فأرى المسجد لا أسوار له وإنما رفعـــوه عن الأرض رفعاً أفاد في أبعاده عن القمائم والنفايات التي قد تجلبها

الـــريح كمـــا أنه يمنع بعض البهائم من دخوله، إلا أنني أسفت لعجز القائمين علـــيه وعلى رأسهم الشيخ أبوالبركات عن إكماله، وعجزهم أيضاً عن إبلاغ حاجـــتهم إلـــى ذلك للجهات المسئولة في بلادنا ومنها رابطة العالم الإسلامي التي من عملها تقديم المساعدات الممكنة لمثل هذا المشروع النافع المهم.

وأرى من المسجد الذي ليس له باب أنه يفتح على الخلاء الذي ليس فيه بيوت لأنه في آخر مدينة (أندور) من هذه الجهة، إذْ هو حي جديد خرج إليه المســـلمون واشتروا فيه الأراضي لأنها كانت رخيصة والآن صارت بعد أن ســـكن الحي ولحقت به عمارة الأحياء المجاورة له مما يلي المدينة قد زادت أقيامها أضعافاً مضاعفة.

وقد قدرت الإخوة الحاضرين في اجتماع المسجد هذا بما لا يقل عن (٧٥٠) شخصاً ما بين طلاب ومعلمين ومشايخ وجمهور من المسلمين.

وقـــد تكلـــم أحد المشايخ باللغة الأوردية وحضر أثناء كلامه السيد أبوالحسن الندوي فألقى بعده كلمة مطولة بالأوردية كانت مسك الختام لهذا الاحتفال.

ونهـــض الجمـــيع لصـــلاة الظهر التي كانوا قد استعدوا لها وقد بلغت الساعة الثانية والنصف وعادتهم تأخيرها قليلاً إلى وسط الوقت.

المأدبة الحافلة:

كـــان الشيخ أبوالبركات قد أخبرني أنه صنع مائدة كبيرة بهذه المناسبة فـــي بيته إلا أنه أراد أن يريني بعد الصلاة أقساماً من أقسام عمله الذي يصح أن يســـمى بالمركز الإسلامي العام، فهو يتألف من هذا المسجد العامر بالعلم والعمـــل ومدرســـة كبيرة لحفاظ القرآن الكريم ومدرسة ذات شعب دون ذلك للطـــلاب المبتدئـــين، ودار الإقامـــة للطلاب المقيمين في هذا المشروع حيث يأكلون ويشربون ويعيشون فيه.

ومـــن ذلـــك قاعـــة للطعام كبيرة لم يستطيعوا تركيب أبوابها ونوافذها

لقصـــور النفقة ومطبخ للطلبة ومشروعات عديدة داخل هذه المنطقة الواسعة التـــي ســـورها الشيخ بسور من الأسلاك فبدت واسعة تكفي لهذا المركز إلى سنوات كثيرة قادمة.

ثـــم انتقلنا إلى بيت الشيخ أبي البركات حيث وجدناه غاصاً بالمدعوين الـــذين اصطفوا حول موائد طويلة فوقها ما لذ مذاقه وغلا ثمنه من الأطعمة الهـــندية الشـــهيرة وأشهرها وهو الصحن الرئيسي هنا الرز البرياني بالدجاج الذي يفضله القوم أكثر من أي نوع من أنواع الطعام.

وقـــد ملأت الموائد المبثوثة على الأرض جميع غرف بيته التي رأيناها لأنـــه غيـــر واسع وقدرت الآكلين على الموائد بثلثمائة شخص ومنهم السيد أبوالحســـن الندوي ومرافقوه، وقد سألت الشيخ أبا البركات بعد ذلك عن عدد الـــذين دعاهم فذكر أنهم مائتان وعشرون ولكنهم يحضرون أولادهم ويحضر أناس لم يدعوا، وكان الطعام سخياً لا شك أن النفقة عليه كانت كثيرة.

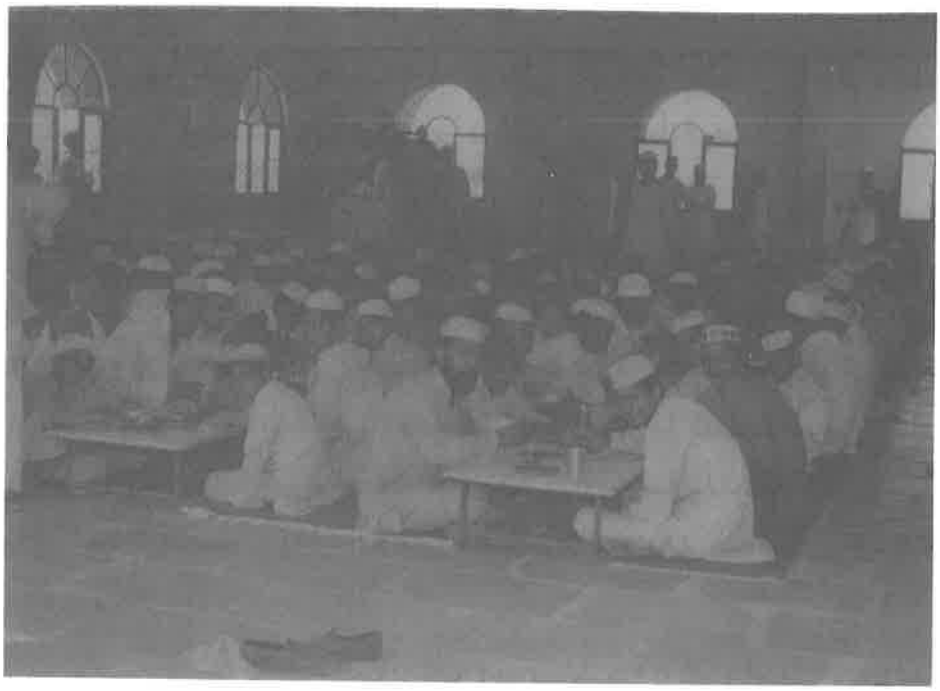

الطلبة في مدرسة الشيخ أبي البركات الفاروقي يتناولون الطعام

وقــد وضعوا الأرز البرياني في صحون مستطيلة من المعدن في كل واحد مغــرفة كبيرة يغرف بها الأكل فيضع في صحنه ما يحتاج إلى أكله وخصوني أنا والشيخ أبا الحسن بشواء من اللحم لذيذ وهو لحم الغنم الذي إذا أطلق لفظ اللحم في الهــند انصــرف إليه، لأن لحم البقر لا يباع إلا في بعض الولايات التي تبيح ذبح البقــر مــثل كيــرالا في الجنوب وغرب البنغال في الشرق وهناك لحم الجاموس ويأكله الفقراء ومن لا يستطيعون شراء لحم الغنم لغلائه.

وقد وضعوا على الخوان المفروش على الأرض أواني فيها مرق شديد الدسم، وبعض الخضرة لمن يرغب في ذلك، كما أحضروا الخبز الذي يسمى (بابــر) عــندهم أصــفر اللون وهو من القمح وقد يكون من الذرة المخلوطة بالقمح يطبخونه أولاً، ثم يجعلونه أقراصاً رقيقة تجفف في حرارة الشمس وهو خفيف يحبون أكله، ولم أستطع أن أحمل نفسي على أكله لخوفي من أن يكون قد وقع عليه ذباب أثناء تجفيفه في الشمس.

والفلفل قليل جداً قال الشيخ أبوالبركات: لقد أوصيتهم بعدم وضع الفلفل في الطعام من أجلك، ولكن كان الطعام حاراً بالنسبة لي، لأن أكلة الفلفل من أهــل الهند والسند وما ألحق بهما إذا قالوا لك: إن الطعام ليس فيه فلفل فإنه يكــون فيه ما لا تطيقه منه أما إذا قالوا: إن فيه فلفلاً فإنه يكون ناراً تأجج لا تستطيع إذا بدأت فيه أن تعيد الأكل منه.

وقد أمعنت في الأكل منه ورأيت الناس مثلي يصنعون لأن موعد الغداء قد تأخر إلى الساعة الثالثة، إضافة إلى كونه شهياً جداً رغم أنه دسم جداً.

وجــاءوا بعــده بصحون صغيرة من الزجاج فيها الحلوى وبأكواب الشراب الملون الحلو أيضاً فمنعني الوسواس من أكل الحلوى أو الشرب من الشراب.

والحقيقة أنها مأدبة لا تسمح بها إلا نفس كريم.

ثــم عدنا إلى الفندق ولم يرض الشيخ أبوالبركات جزاه الله خيراً بتركي وحدي رغم انشغاله بذلك الجمع الهائل من الضيوف في بيته.

وفي الغرفة تكرر ما حدث في بهوبال من كون الفراشين والعاملين في

خدمـــة الغـــرف يقتحمون عليك الغرفة مباشرة دون استئذان ودون أن يمسوا الباب فضلاً عن أن يقرعوه بأيديهم.

وقد دخل أحدهم عليَّ هكذا فأريته كيف يقرع الباب بأصبعه قبل الدخول فأشـــار بالموافقة غير أن طبيعته غلبت عليه بعد ذلك فصار مثل غيره يدخل دون اســـتئذان وحتـــى دون تـــأنٍ، ولم أستطع مكافحة ذلك منهم إلا بإغلاق المزلاج في كل مرة.

جولة في أندور:

ضـــاق الوقت عن جولة واسعة في المدينة وإن كنت قد شاهدت أجزاء منها خلال المرور فيها.

شارع في إندور

وقـــد بـــدأت الجولة في الخامسة وكان الرفيقان فيها الشيخ أبوالبركات والدكـــتور عـــبدالله عـــباس الندوي فكان أول ما استرعى الانتباه في شوارع المديـــنة فيضان الدراجات فيها ما كان منها نارياً وما كان هوائياً، وهي أكثر وســـائط النقل في المدينة شيوعاً وبعدها تأتي في الكثرة الحافلات والشاحنات التـــي رأيـــتها حتى في وسط المدينة، وليس كما تكون عليه الحال في بعض المدن التي تمنع دخولها إلى الأماكنَ المزدحمة من وسطها.

أما سيارات الركوب الخاصة المعتادة فإنها أقل ما في المدينة من وسائل النقل.

وقد كثر وجود النساء في هذه الساعة من النهار في شوارع المدينة مع أنهـــن موجودات في كل وقت وفي الأحياء الشعبية يرى المرء بعض النساء يعملن في الزقاق أمام بيوتهن ربما لضيق البيت، أو لغرض آخر.

والغالـــب عليهن عدم الجمال والوجاهة، فهن دون النساء في بهوبال في هذا الأمر مع أن نساء بهوبال لسن مبرزات في الجمال، بل هن من (المستورات).

ومـــن المناظر التي شدت انتباهي منظر باعة للزهور من رجال ونساء لـــيس فيهم من صفات الزهور شيء لا من الجمال ولا من النضارة ولا من الرائحة الطيبة، ومع ذلك لاحظت وجود باعة عديدين للزهور.

وذكـــر الإخوة أن الهنادكة يشترون الزهور في هذه الأيام خاصة لكونها أيام أعياد للفرح الذي سببه قرب موعد ذكر زواج كبير آلهتهم (رام) بزوجته سيتا.

ومـــن ذلـــك أيضاً كثرة باعة الفاكهة على عربات تدفع باليد وأكثر ما رأيتهم وهم واقفون بها والفاكهة التي يبيعونها هي محلية منها الموز والجوافا والقشطة التي قدمت وصفها.

وشيء آخر قبيح رأيته الآن وهو رجل يبول واقفاً في جانب ترابي من شارع واسع.

سوق لبيع الخضرات في إندور

صراع الآلهة:

قال تعالى **﴿قل لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾** وقال تعالى في الآية الأخرى: **﴿إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض﴾**.

وهـــا نحن الآن نشهد مظاهر صراع تلك الآلهة آلهة الهنود المزعومة والمقصود من كونها مزعومة ليس مجرد نفي وجودها فقد تكون غير موجودة أصـــلاً إلا في أذهان مخترعيها ولكن المقصود بذلك نفي أحقيتها للعبادة كما تـــدل عليه كلمة **(لا إله إلا الله)** التي معناها (لا إله معبوداً بحق إلا الله) وإلا فإن للناس أنواعاً من المعبودات على مر العصور.

ذكرت هذا بما رأيناه من تماثيل ضخمة عالية من الأخشاب التي تجللها الخرق الكبيرة والخيش لإله أهل الجنوب (راون) الذي ناصب إله أهل الشمال هؤلاء بل كبير آلهتهم (رام) العداء حتى إنه خطف (سيتا) زوجة رام وأودعها جزيـــرة ســـيلان التي يسمونها (لنكا) وهو اسم لها قديم عاد أهلها أخيراً إلى استعماله فأسموها (سري لنكا).

ولـــم يخلصـــها مـــنه إلا القرد الشهم (هنومان) الذي أوقد بطرف ذنبه ناراً وذهـــب بســـرعة البـــرق أو أسرع إلى جنوب الهند حيث عبر مضيق البحر الذي يفصـــل بـــين (سري لنكا) وأرض الهند، وأوقد النار في (سري لنكا) من تلك التي فـــي ذنبه وأعاد (سيتا) إلى زوجها الولهان (رام) فرأوا أن القرد (هنومان) يستحق أن يعـــبد لهـــذه الشـــهامة العجيـــبة، والقدرة الغريبة، فعبدوه بل أقاموا له المعابد والمشاهد، وصارت صورته الجميلة تزين معابده، بل يستجليها عبدته ومريدوه.

وقـــد صادف أن كنت في مدينة لكنهو عاصمة ولاية (اترابرديش) التي هي الولاية الشمالية فصادف ثاني يوم لوصولي عيد القرد (هنومان) ويسمونه بالإنكليـــزية (هـــنومان دي) فعطلت المدارس والمعاهد والمصالح الحكومية والشركات ابتهاجاً بذلك اليوم، وتقرباً للقرد المحبوب.

ورأيت الناس يزدحمون على معابده التي تزينها صوره الكبيرة المجسمة، ويتقربون إليه بأنواع القرب ومن أغربها بل من أفظعها ما شاهدته بعيني وهو أن بعض الناس المحبين له يزحفون على صدورهم إلى قبره يمسحون بها رصيف الشارع بما يعنيه رصيف الشارع الهندي من حفر ونقر ومن غبار، ومن بصاق من مضغ التنبول وإخوانه ويقولون: إنه كلما كانت المسافة التي قطعها هذا الزاحف على صدره إلى معبد القرد أطول كان أجره عند القرد أكثر، وتقربه إليه أعظم.

ينتظرون حرق تمثال كبير لراون في إندور

وقد رأيتهم اليوم في هذه المدينة نصبوا تماثيل (راون) هذه بغية إحراقها في اليوم الثامن عشر من أكتوبر الذي هو يوم زواج رام بسيتا الشهيرة.

وقد أقاموا التمثال عالياً يرتفع إلى ١٥ متراً وله يدان وبدن عريض كل ذلك من القماش والخيش الذي كسوا به الأخشاب، وذكر لنا سائق سيارتنا وهو هندوكي أن هناك تمثالاً لراون في ناجية من هذه المدينة ارتفاعه ١١١ قدماً.

ولو أنهم جمعوا ما يحرقونه من القماش الذي يلفون به تماثيل (راون)

فأعطـوه أولـئك الطوائـف من الفقراء والمعوزين الذين يسكنون في منازل الخرق والخيش البالي لكان أفضل.

و(راون) هـذا الذي ينصبون له التماثيل ويحرقونها رمزاً لكراهيتهم له ويقولـون: إنه يمثل الشر وعداوة للإله (رام) وينعتونه بأنه شيطان مريد هو رب معـبود فـي جـنوب الهـند الذي يعظمونه ويحطون من قدر (رام) آله الشـماليين وزوج سـيتا حتـى قال لي أحد الإخوة المرافقين: إن الجنوبيين يحرقون تماثيل (رام) كما يحرق الشماليون تماثيل (راون).

والعجـب أنهـم يقولون: إنهم هنادك من أتباع المذهب الهندوكي، فأي مذهب يكفر بعض أتباعه بعضاً، بل يقدحون في آلهتهم ورموز عبادتهم؟

تمثال آخر لراون مُعدٌّ للإحراق

وبهـذه المناسبة ذكرني إخواني بما سبق بحثه مع بعضهم منذ أيام قلائل من كـون الهـنادكة هـؤلاء أو لـنقل أتباع الدين الهندوكي كانوا في الأصل طوائف مخـتلفة بعضـهم يكفر بعضاً، ولا يشعر برابطة تربطه به، إلا أن الإنكليز أطلقوا علـيهم هـذه التسـمية العامة (هندوس) ثم جاء غاندي وأنصاره فغرسوا فيهم هذه الـروح الوحدوية المذهبية، وإلا فإن الهندوكية ليست ديناً واحداً، بل قال بعضهم: إنهـا ليسـت ديـناً لـه تعليماته الخاصة، وإنما هي تقاليد ووصايا وأساطير وهذا يصدقه واقع الحال الذي عليه أهل الشمال والجنوب من متبعي الديانة الهندوكية.

ولا يقال: إنه حتى الإسلام فيه اختلاف بين اتباعه من الشيعة و السنة، فإن أركان الإسلام الخمسة المهمة يشترك في الإيمان بها الجميع وهي الشهادتان والصلاة والزكاة والصوم والحج، كما أن الجميع متفقون على الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وبالتصديق بالقرآن الكريم، وإن كان نسب إلى بعض الشيعة القول بأن مصحفهم الذي يعتبرونه كاملاً هو الذي يسمونه مصحف فاطمة، وفيه أشياء غير التي في المصحف الشريف المعروف، فذلك ليس بقول الأكثرية من علمائهم، فضلاً عن عامتهم.

حديقة مجدود:

التقطنا صورة لأحد تماثيل (راون) التي أقيمت لاحراقها في مساء الغد وواصلنا السير في ضواحي مدينة (أندور) فدخلنا حديقة كبيرة يقولون إنها أكبر حديقة في هذه المدينة ويسمونها (مجدود ديون قاردن) وهي واسعة منسقة، إلا أنها غير مجملة التجميل المطلوب والزهور فيها قليلة، والموجود منها اصفر اللون أو برتقالي، ورأينا الناس فيها أفواجاً من رجال ونساء وأطفال، وذلك أمر ظاهر السبب عدا السبب الطبيعي في محبة الناس للتنزه في الحدائق والأماكن الخضراء وهو ضيق البيوت في الغالب، وحاجة أهلها إلى التماس الراحة خارجها.

متنزهون في حديقة إندور

وقـد لاحظـت قلـة الحدائق والساحات الخضر في المدينة بخلاف بهوبال، وذلك أن مدينة (أندور) ليست على نهر، رغم عدد سكانها الضخم الذي يبلغ مليوناً ونصفاً من النفوس، وتشرب من نهر (نربدا) الذي يمر على بعد ٨٠ كم منها.

ورأيـت كثـرة الكـلاب في هذه الحديقة وخارجها وهي في مظهر جيد من حـيث التغذية فتذكرت أن أهل الصين يأكلون كل شيء حي حتى الدود والحشرات والفئـران، والمـراد بهـم كفار الصينيين، أما كفار الهند هؤلاء فإنهم عكسهم لا يأكلـون أي شيء حي، وإنما يقتصرون على أكل الحبوب والفاكهة وثمار الأشجار والزيوت والبقول، والمراد بذلك المتمسكون بدينهم الهندوكي بقوة.

لـذلك كثر الحيوان الذي لا يأكله المسلمون والمسيحيون في الهند مثل الكـلاب ومـثل القرود التي يقدسها الهنادكة، ويأكلها الصينيون ويحرصون عليها، بل إن أغلى وجبة عندهم هي دماغ قرد أخذ منه وهو حي لم يذبح أي فلق رأسه وهو حي وأخذ دماغه.

أمـا الإخـوة المسلمون في الصين فإنهم كالإخوة المسلمين في الهند وسط بين هؤلاء الضالين، فهم يأكلون بهيمة الأنعام من الأبقار والأغنام والجواميس والطيور.

ولـذلك يقصـد الأجانـب مطاعم المسلمين في الهند والصين لأنها في الصـين لها ذوق الطعام الصيني المميز وليس فيها من الحيوان المكروه الذي لا يأكله الأوروبيون شيء، كما أنها في الهند تشتمل على لحوم الأنعام وعلى الطيور من البط والدجاج وغيرها.

وعـدنا إلى الجولة بعد الخروج من هذه الحديقة الجيدة فدخلنا شوارع قد اختلط فـيها غـبار جوانب الطريق الخالية من الأرصفة الذي تثيره السيارات المتقابلة بدخان السـيارات، وما يخرج من المنازل من دخان الطبخ وقد كادت الشمس تغرب، فاختلط به أيضاً شيء من الظلام المقبل- فصار المنظر كدراً مؤذياً للنظر.

بين الدكتور عبدالله عباس الندوي (يسارالصورة) والشيخ أبوالبركات الفاروقي في أيمنها في إندور: حديقة البلدية

ولـذلك لـم أكد أبصر خنزيراً رمادي اللون قبيح المنظر كان يأكل في قمـائم مجتمعة في أحد جوانب الشارع وهو الخنزير الثاني الذي أراه في هذه المدينة وإلا فإن الخنازير الأهلية أي غير الوحشية قليلة في مدن الهند الشمالية والوسطى، لأن المسيحيين الذين يأكلون الخنزير هنا قليل، والهنادكة الذين هم لهـم الأغلبية لا يأكلونه مثل غيره من الحيوان، والمسلمون الذين يلونهم في الكثرة لا يأكلونه.

البقرة والدخان:

قبـيل الوصـول إلـى فندقنا فندق (بلواز) رأيت عجباً في كومة كبيرة من القمـائم فـي مفرق شارعين مهمين مزدحمين بالمشاة والراكبين، وقد أشعلوا النار فـي القمامـة ولا أدري لِمَ لَمْ يبعدوها مع أن أجرة العمال رخيصة وهم متوفرون بعشرات الألوف، بل إن هناك طوائف منهم تشكو من التعطل وعدم وجود العمل.

والذي استرعى انتباهي أن إحدى البقر قد غمست رأسها في هذه القمامة التـــي ينـــبعث مـــنها الدخان تأكل من طرفها وقد بدت كأنها تشرب الدخان، فأســـرعت أوقـــف السيارة وأحاول التقاط صورة لهذا المنظر الطريف منظر المعبود الذي يأكل من القمائم بين غلائل الدخان النتن.

ولكننـــي تبينت أن في طرف القمامة بنيات صغيرات يقضين حاجتهن وإن شئت الصراحة قلت: إنهن يتبولن أو يتغوطن فيها فأوقفت مصورتي لئلا تلتقط منظرهن فيشوه ذلك الصورة فلا أستطيع نشرها في الكتاب.

وعـــندما فطنت البنيات وهن ما بين السن السادسة والتاسعة فيما يظهر مـــن أمـــرهن إلى محاولتي تصوير المكان أسرعن بالقيام عنه، ولكن البقرة كانت قد التفتت فأفسدت بعض هذا المنظر المعبر.

أما كلكتا المدينة الكبيرة فإن الأطفال يذهبون إلى أكوام القمائم الموجودة فـــي مفـــارق الطرق والأماكن المتسعة فيها ويقضون حاجتهم عليها والمارة يرونهم، وهم يتخيرون هذه الأماكن مثلما تفعل هذه البنيات اليوم لئلا ينجسوا الأماكن الأخرى.

من نافذة فندقي في إندور البقرة المعبودة تأكل القمائم وسط الدخان

وربمـــا كـــان أولئك الأطفال من أبناء المنبوذين الذين كان من وظائفهم جمـــع الغـــائط والقاذورات يومياً من بيوت البراهمة وعلية القوم من الطبقات الممـــتازة قـــبل وجود المجاري الحديثة وأبعاده عنها لا يأنفون من ذلك، بل يـــرون أنهـــم بذلك إنما يطبقون جزءاً مما ورد في ديانتهم عن أصول الناس وأنهـــم أي المنـــبوذين خلقـــوا هكذا منحطين لممارسة الأعمال الدنية وخدمة الطبقات العليا من الناس.

إلى مدرسة الفلاح:

تقع مدرسة الفلاح الإسلامية في حي (آزاد نقر) المنسوب إلى أبي الكلام آزاد أحد زعماء الاستقلال من المسلمين كما سبق، وهو حي أكثره سكان من المســـلمين والمســـلمون فيه هم الذين أسموه على اسم الزعيم المسلم آزاد ولم يمانـــع الهنادكة في ذلك لكونه كان من زعماء حزب المؤتمر الذي حكم الهند بعـــد الاســـتقلال، وكـــان ضـــد تقسيم الهند إلى دولتين مسلمة هي باكستان، وعلمانـــية أكثـــر أهلها هنادكة هي الهند، وحجته وأمثاله من السياسيين الذين عارضـــوا قيام دولة باكستان هو أن وجود المسلمين كلهم في دولة واحدة هي الهـــند الكبـــرى يقويهم ويجعل الضغط عليهم من الهنادكة غير ممكن، رغم كونهم لن يمثلوا فيها إلا ٣٠./. لأن التاريخ أثبت أنه يمكن احتساب المسلمين مســـاوين للهنادكة في الأهمية إذا كانوا كذلك في العدد لأن نوعية العامة من المسلمين أكثر تأثيراً من الطبقات المنحطة الكثيرة العدد من الهندوكيين.

وعلى أية حال فإن هذا ليس موضع الحديث عن هذا الأمر ولا تصويب رأيـــه وأمثاله أو تخطئته، وإنما نقول: إننا انطلقنا من فندقنا في غرب المدينة إلى حي (آزاد نقر) حيث تقع المدرسة فاخترقنا بعد وسط المدينة حياً هندوكياً يقع بينه وبين حي (آزاد نقر) وهو ذو أرصفة ترابية وشوارع متعرجة.

مدخل مدرسة الفلاح في إندور

والمراد بكونه حياً هندوكياً أن يكون خالصاً للهندوكيين بمعنى أن جميع سكانه منهم.

أصول مسلمي الهند:

كان الشيخ أبوالبركات يحدثني عن تاريخ مدرسة الفلاح التي نحن ذاهبون إليها فيقول: إن الذي أسسها هو الشيخ محمد معين الندوي الذي عرفتموه أمس وقبل أمس وهو صديقي يتصل نسبه بأبي بكر الصديق رضي الله عنه، أما نحن فإننا فاروقيون يتصل نسبنا بالفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولم يقل الشيخ أبوالبركات إنه عمري لأن هذه النسبة صارت الآن منتشرة بين مسلمي الهند يتسمى بها من يتخرج من مدرسة أسسها شخص اسمه عمر، ومن أشهرها جامعة دار السلام في عمر آباد بولاية تأمل نادو التي ذكرت أمرها في كتاب (جنوب الهند).

وذكر الشيخ أبوالبركات أن لديهم شجرة نسب تبين ذلك وأنهم كانوا في كابل في أفغانستان انتقلوا منها إلى السند ثم البنجاب ثم دلهي وأخيراً إلى (أندور).

وقد كنت منذ وقت طويل أسأل من لقيته من المسلمين النابهين عن نسبة المسلمين الذين أصولهم الهندية خالصة بمعنى أن أسلافهم كانوا من الهنادكة الذين دخلوا في الإسلام فلا أجد جواباً شافياً على ذلك.

وهذا أمر مهم يترتب عليه تكذيب أعداء الإسلام من الهنادكة الذين يزعمون أن المسلمين إنما هم أجانب وفدوا إلى الهند من خارجها ويجب إخراجهم منها وإرجاعهم من حيث جاءوا.

مع أن الصحيح الذي توصلت إليه وهو الأمر الطبيعي المفهوم أن عامة المسلمين هم من أهل الهند الأصلاء الذين أسلموا وإن كان هناك أسر معروفة بأنها ذات أصول عربية أو أفغانية أو فارسية جاءت إلى الهند منذ زمن طويل واستقرت فيه، فإن عددها قليل جداً بالنسبة إلى سائر المسلمين في الوقت الحاضر.

ومن أولئك أسرة السيد أبي الحسن الندوي التي هي أسرة عربية بل هاشمية تنتمي إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما ولذلك يكتب بعضهم في نسبته الحسني وإن كان يلحق بها الندوي التي تدل على تخرجه من (دار العلوم ندوة العلماء) في لكنهو.

وقد حدثني بعض زعماء الإسلام وعلمائهم إنهم من أصول هندية أسلمت ومنهم جماعة من الأسرة العمرية المنسوبة إلى جامعة دار السلام في عمر آباد في جنوب الهند كالشيخ محمد عمران الأعظمي الذي يعمل في دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد الدكن وهي الدائرة التي طبعت وما تزال تطبع أمهات من أمهات الكتب التراثية العربية.

على أن بعض الناس أوردوا اشكالات حول كثرة المنتسبين إلى السادة من أهل الهند، وفيهم من لا توثق نسبته تلك وقالوا: إن بعض زعماء الهنادك وإشرافهم مثل الباندیت يشترطون على من يسلمون على يده وغالباً ما يكون

زعـيماً أو شـيخاً كبيراً مطاع الأمر بين المسلمين بأن يحملوا لقب سيد بعد إسـلامهم تكـريماً لهم لئلا يتساووا في نظر الناس إذا أسلموا بمن يسلم من المنـبوذين من بني قومهم فيوافق المسلم الكبير الذي أدخلهم في الإسلام على ذلك فيسلمون ويحمل أحفادهم لقب (سيد).

كمـا أن لقب (خان) يدل على أن حامله كان من أسرة حاكمة أو شريفة قبل إسلامها واستمر يحمل أبناءه ذلك اللقب وإن كان (خان) يطلق أيضاً على جماعة من قبيلة أو فصيل من الناس في شمال باكستان في الوقت الحاضر.

وعلـى أية حال فإن عناية المسلمين من أهل الهند بأنسابهم قليلة إلاّ من كانوا من أسر عريقة فيها علماء، و أدباء اهتموا بذلك وسجلوه.

لاسـيما أن طلـبة العلم منهم ينتسبون إلى المدارس التي تخرجوا منها ويهملون نسبتهم الأسرية كما سبق، وكثير منهم يسمون أبناءهم بأسماء مركبة نكفيهم عن ذكر أسماء آبائهم أو أسرهم فتكون النتيجة عدم ذكر أسماء أسرهم واهمال ذلك كما شرحته من قبل.

ونعود إلى حي (آزاد نقر) الذي أسسه المسلمون ولا يزالون فيه أكثرية فـنقول: إن فيه أربعة مساجد وإنه سيئ الوضع من ناحية التخطيط فشوارعه ليسـت شـوارع بالمعنـى المعروف وإنما هي أزقة متعرجة مهملة والقمائم متروكة فيه مثل غيره وبعضها يحرقه الأهالي في مكانه.

ولكـن أزقته مليئة بالأطفال مما يدل على أن المنازل فيه ضيقة وغير مريحة، وإلا لبقى أهلها فيها.

علـى أن المشهور أن المسلمين أكثر من الهنادكة أولاداً لأن المسلمين يحتسـبون الأجر من الله تعالى في الإنفاق على العيال، وبعضهم يرى حرمة تحديد النسل، بخلاف الهنادكة الذين ليس عندهم مثل ذلك، بل كثيراً ما تكون اسر المتعلمين المثقفين منهم صغيرة لا تزيد على طفلين أو ثلاثة على الأكثر.

مدرسة الفلاح:

وصـــلنا إليها فوجدناها في أحسن مكان في هذا الحي بل إنها بدت كأنما هـــي لا تنتمي إليه فلها بوابة خارجية كبوابات القصور يدخل منها إلى شارع قصـــير يفضـــي إلى فناء مكشوف واسع في يمينه المسجد الذي هو في غاية الـــنظافة وجمـــال البناء وتقع المدرسة في الأمام وإلى اليسار في صفوف من الغرف شملت جهات ثلاث.

وجـــدنا الاحتفال قد بدأ والمكبر يصدح ولكن بأوردية فصيحة لهم معجمة لي وكـــان الســـيد أبوالحســـن الـــندوي يتصدر قاعة الاجتماع في المدرسة فأجلسوني بجانـــبه، وكان طالب يخطب عن ظهر قلب بعربية فصيحة سألت عنها أحد الذين كانـــوا بجانبـــي مـــن المشايخ وكيف يستطيع مثل هذا الطالب أن يخطب ارتجالاً بالعربية؟ فذكر أنهم يحفظون مثل هذا الكلمات حفظاً قبل إلقائها.

وقـــد أعقـــبه طالب صغير اسمه (محمد ريحان) فألقى نشيداً بالأوردية يترنم به ترنماً وهو في مديح النبي صلى الله عليه وسلم.

ثـــم تقدم الشاعر المسلم المشهور بالأوردية الدكتور (طفيل أحمد) فألقى من شعره توشيحاً أو كالتوشيح من الشعر الأوردي الموزون المقفى في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، كان يكرر لازمة فيه لفظها (محمد مصطفى).

والشاعر أستاذ في الجامعة في حدود الخامسة والخمسين من عمره، وقد أصغوا إلى إلقائه باهتمام.

وبيـــنما كان الحفل الخطابي مستمراً كنا نسمع صوت الآذان يصدح في هذه المدينة الهندوكية منبعثاً من منارة مسجد بعيد أما قومنا فقد أخروا الآذان لصلاة العشاء إلى ما بعد الاحتفال، لأن معظم جماعة المسجد منهم.

وينبغـــي أن نذكـــر هنا أن حاكم مدينة (أندور) هذه قبل الاستقلال كان مهـــراجا هندوكياً فنزل عن (عرشه) للحكومة الوطنية العلمانية الشاملة للهند كلها وهي التي كان يرأسها (جواهر لال نهرو).

كلمتي في الاحتفال:

في داخل مسجد مدرسة الفلاح في إندور قبل الذهاب إلى مندو

تقـــدم صـــديقي الأستاذ الجليل الأخ محمد الرابع الندوي رئيس تحرير مجلة الرائد، وهو ابن أخت السيد أبي الحسن الندوي وبمثابة الابن المساعد له لأن السيد أبا الحسن لم يرزق أولاداً فقدمني الأخ محمد الرابع إلى الحاضرين ورفـــع مـــن قدري عندهم جزاه الله خيراً فارتجلت فيهم كلمة مطولة منها أن الإســـلام هو دين العصر وأن الدعاة إليه ينتظرهم عمل عظيم، وإننا نتعاون معهم في ذلك، وذكرتهم بفضل الدعوة إلى الله تعالى، وأن الرسول صلى الله علـــيه وسلم قال لعلي يوم خيبر **(والله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم)** وهي الإبل الحمر الألوان والتي هي أنفس الأموال عند العرب فـــي ذلـــك الـــوقت، وذلك يقابل بالتعبير الحديث القول بأنه (خير لك من بئر بترول) و أخبرتهم بما عرفته من تقدم الإسلام في العالم وضربت لهم مثلاً في ذلك بحي من أحياء مدينة بروكسل عاصمة بلجيكا وإن الأخ مصطفى النوحي أخبرنا ونحن في مسجده في ذلك الحي أنه أول مسجد أسس فيه وأنهم جمعوا

أول جمعة فيه وكانوا اثني عشر مصلياً في عام ١٩٧٤م، وقد صلى معهم الجمعة الأخيرة ألف وثلاثمائة مصلٍ في المسجد نفسه بعد أن وسعوه وقد أصبح في الحي المذكور (١٧) مسجداً ذكرها لي بأسمائها وقيدتها كلها وآخرها في الإنشاء كان مسجداً للإخوة المسلمين من البانيا وأكثر المساجد فيه هي للعرب من أهل المغرب العربي يليهم الأتراك.

ومعنى كون المسجد للعرب أو الأتراك أنهم الذين قاموا على بنائه، وأن الوعظ والتعليم فيه يكون بلغتهم حتى يفهمه عوامهم، وليس معناه أنه لا يصلي فيه غيرهم، لأن المسلمين كلهم يصلون في أي مسجد يشاؤون، وهذه المساجد السبعة عشر هي من مساجد كثيرة جديدة في أنحاء مدينة بروكسل.

ثم ذكرت لهم عدد المسلمين ومساجدهم في فرنسا، وأن هذا يرد على من قال: إن الإسلام قد انتشر بالسيف، لأنه لا سيف للإسلام مسلولاً الآن إلاَّ سيف الحجة والبرهان.

كما إنه يرد على من يقول إن الإسلام هو دين البدائيين وغير المثقفين، وإن الإفريقيين يعتنقونه لهذا السبب فقلت لهم: إنه كما أن الإسلام دين الفقراء والضعفاء فهو دين الأغنياء والأقوياء، ونحن الآن نرى المثقفين، بل وبعض الفلاسفة من الفرنسيين وغيرهم يعتنقون الإسلام.

وقارنت لهم بين انتشار الإسلام وانحسار المذاهب الأخرى بل حتى الأديان الأخرى، وأمرتهم بإفهام عامة المسلمين أنه يجب عليهم تحقيق الإسلام، والعمل به قولاً وعملاً، وإن الإسلام دين الخير الذي جاء بالخير للجميع حتى في الألفاظ قد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا يحقرن أحدكم من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق).

وقال: (الكلمة الطيبة صدقة).

وأمر بالرفق والإحسان بالحيوان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دخلت النار امرأة في هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض).

بـــل أمر بالإحسان حتى عند الذبح فقال: (إذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة، وإذا ذبحتم فاحسنوا الذِّبحة، وليحدَّ أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته).

هذا وقد ترجم كلامي إلى الأوردية الدكتور عبدالله عباس الندوي.

وعلق السيد أبوالحسن الندوي بكلام مبسوط بالأوردية على ما جاء في الكلمة وقال لي الأستاذ محمد الرابع إن كلمة السيد أبي الحسن تتضمن الإشادة بكم وتقرير ما قلتموه، لأن أكثر المشايخ لا يفطنون له ولا ينبهون الناس إليه في هذا العصر.

هـــذا وقـــد انتهى الاحتفال فابتدأ السلام الكثيف من الإخوان المدرسين والمشـــايخ ومـــن الطلبة والحاضرين فطلبوا مني أن أتعشى معهم على طعام جاهز فاعتذرت بأنني تغديت متأخراً، ولا أستطيع أن أتعشى في هذه الليلة.

يوم الخميس ١٠/٤/١٤١٢هـ- ١٧/١٠/١٩٩١م:

عادات لا تناسبنا:

لأهل الهند عادات لا تناسبنا، بل لا نستطيع الإغضاء عليها إذا استطعنا مثل عادة تنظيف الأنف ونقش الأذى منه بالأصابع، وأحياناً يكون ذلك بأصابع اليد الواحدة كلها أو بأصابع اليدين كليهما وقد أصبح ذلك عادة مفضلة عند بعض الناس دون أن يقصدوها، فقد كان جاري في الطائرة من دلهي إلى بهوبال مثقفاً يقرأ جريدة وهو يعبث طول الوقت بأنفه يسلكه بأصابعه ويدخل بعضها فيه لا يترك ذلك ولا يفتر عنه.

وقد أرجعت ذلك إلى الإكثار من أكل الفلفل في الطعام، لأنه يورث سيلان الأنف عند الأكل ثم ما يلبث ذلك السائل أن يتجمد بعد الأكل فيحتاج إلى تنظيفه.

هذا في الأصل ولكنه أصبح عادة متبعة، مع أنه إذا كان الأمر كذلك فإنه يمكن تنظيف الأنف بمنديل أو نحوه والاقتصار من ذلك على الضروري ودون أن يراه الناس.

ومن عادتهم إطلاق السعال أو العطاس كيفما اتفق، دون ستر الفم أو الأنف بمنديل أو نحوه، وبعضهم يمسح ما ينتج عن ذلك بكفه أو أصابعه، ومن عاداتهم إدخال الأصابع في الفم أثناء الطعام لنقش ما يعلق بالأسنان من الطعام بطرف الأصبع بدلاً من نقشها بالخلال وستر الفم عند ذلك.

وكل ذلك مما تتقزز منه النفس، ولكنهم ألفوه حتى صاروا لا يبالون به، غير أننا نحن الذين ننكره عليهم نشغل أنفسنا بما يقدم إلينا من طعام أو شراب مكشوف، ونخشى أن يكون قد تعرض لعطسة من عطسات العاملين أو سعلة من سعلاتهم، وربما أكثر من سعلة، وقد يكون تعرض للمس بالأيدي التي خرجت أصابعها من الأنوف.

لذلك فكرت اليوم في أن أطلب طعام إفطار غير مكشوف لأنني بحاجة

إلـــيه إذْ لم أتعش البارحة وأمامنا اليوم سفر وحركة مستمرة، نحتاج معها إلى غـــذاء فطلـــبت بيضاً مسلوقاً وخبزاً من الخبز الأفرنجي الذي يكون معرضاً للنار في العادة وهو (التويست) وشاياً وطلبت إحضاره إلى غرفتي.

وقـــد جـــاء بـــه الخادم على غير ما أردته، إذْ وجدتهم قشروا البيض المســـلوق وهـــو بيضتان بايديهم طبعاً، وذلك بقصد خدمتي، وكفايتي مؤونة تقشـــيره بنفسي ووضعوه في ماء بارد من مائهم الذي ربما كان من الصنبور وهم يعلنون أن ماء الصنبور عندهم ملوث لا يوثق بشربه، ولذلك لا يشربونه إلا مغلياً، إلا ما كان من أمر العامة والفقراء الذي لا يستطيعون غليه فأولئك لا يقاس عليهم.

أما الخبز فإنهم لم يعرضوه للنار وإنما وضعوا عليه زبداً لم أطلبه، وقد مسحوه به بأيديهم أو على مرمى من عطاسهم وسعالهم!

إلى بلدة مندو:

بلـــدة مـــندو عاصمة منطقة تسمى (مالوه) أو (مالوا) كانت فيها مملكة إســـلامية قوية سيطرت على ما حولها لفترة طويلة من الوقت، وتحفل بآثار إســـلامية عظـــيمة تذكر بمجد للمسلمين ضاع وعز لهم ذهب ودولة دالت مع الأيام و**﴿تلك الأيام نداولها بين الناس﴾** صدق الله العظيم.

وكانـــت زيارة هذه المنطقة مما حملني على زيارة أندور وتأجيل السفر إلى دلهـــي مـــع ما قد يسببه لي ذلك من تأثير على زياراتي للهند، وسفري إلى مملكة (بهوتان) ولكنني لم أهتم بذلك مقابل رؤية آثار أولئك المسلمين الأشاوس.

بدأنا التحرك من فندقنا فندق (بلواز) الذي يملكه أخ مسلم وانطلقنا إلى حي (آزاد نقر) حيث سنمر بالسيد أبي الحسن الندوي الذي يقيم في بيت نائبه فـــي نـــدوة العلماء الشيخ محمد معين الندوي وهو ملحق بمدرسة الفلاح التي سبق ذكرها، وأصل الشيخ محمد معين الندوي من أهل مدينة أندور هذه، وإن

كان يقيم أكثر وقته في لكنهو حيث (ندوة العلماء).

وجـــدنا السيد أبا الحسن وصحبه وبعض زائريه مجتمعين في بيت الأخ محمد معين الندوي الذي أسرع يحضر النعناع لنا فسألتهم جميعاً وفيهم السيد أبوالحســـن والشيخ محمد معين الندوي وأنا أوجه كلامي إلى الإخوة المسلمين من أهل مدينة (أندور) هذه التي يؤلف المسلمون فيها الآن أقلية عددية عما إذا كان المسلمون يزيدون أم أن عددهم واقف بدون زيادة أو نقص؟

فقالـــوا كلهم: إن المسلمين يزيدون في هذه المدينة بسبب محبتهم لتربية الأولاد واحتسابهم الأجر والثواب من الله في ذلك.

فســـألتهم عمـــا إذا كـــان لإســـلام بعض الهنادك تأثير في زيادة أعداد المسلمين فنفوا ذلك، وذكروا أن إسلام الهنادك لا يؤثر في العدد، لأن الداخلين منهم في الإسلام أعدادهم قليلة بل لا تستحق الذكر.

فسألتهم بهذه المناسبة عن الزواج بأكثر من زوجة واحدة وعما إذا كان القانـــون الحكومي يمنع من ذلك أم يبيحه؟ فذكروا أن القانون لا يمنع المسلم من الزواج بأكثر من زوجة واحدة غير أن المسلمين أنفسهم لا يقدمون عرفاً على هذا العمل، وليس ذلك من أجل الحكومة بل ولا من أجل النفقة أو نحوها فحتـــى الأغنياء لا يزيدون في العادة على الزواج من زوجة واحدة، وإنما هو العرف الاجتماعي الذي يمنعهم من ذلك.

مـــع أنهـــم لو تزوجوا بأكثر من واحدة لكان معنى ذلك زيادة كبيرة في أعـــداد المســـلمين، مع أن المسلمين في الوقت الحاضر يحتاجون إلى تحسين نوعهم أي تحسين عملهم أكثر من حاجتهم إلى تكثير العدد الذي هو مطلوب، ولكـــن لـــيس كـــل شيء فالمسلمون اليوم كثر في الهند وهم الفئة الثانية بعد الهـــنادكة في العدد، ويبلغ عددهم في أنحاء الهند على أصح الأقوال (١٢٠) مليوناً من مجموع سكان البلاد الذي يقدر بـــ (٩٠٥) ملايين.

بدء السفر:

بـــدأنا السفر إلى مندو قبيل التاسعة من الصباح فاخترقنا حي المسلمين (آزاد نقر) الذي بدأ لنا في هذا الصباح وكأنما البلدية قد نسيته، أو أنه لا بلدية فـــيه أصـــلاً لأن أزقـــته خالية من الزفت وليس فيه شوارع مستقيمة متسعة، وبيوته من الطين وبعضها من لبن الأسمنت.

وكنا نقصد بيتاً لأحد الإخوة من التجار المسلمين في هذه المدينة ويدعى عبدالمجيد بن محمد رمضان وهو محسن يساعد المدرسة الإسلامية التي يقوم علـــيها الشيخ أبوالبركات وقد أعطانا سيارته لنذهب عليها إلى (مندو) وكان معنا قادماً من زيارة الشيخ أبي الحسن فمررنا ببيته لننزله فيه.

فتكـــرر منظر الأبقار المدللة الرابضة في شوارع المدينة والتي تتبختر فـــيها كأنما تتحدى العصر الحديث بسياراته ودراجاته وزحام المشاة فيه، كما تحدت أفكاره ومبادئه بما تركته في نفوس أهل هذه البلاد الهندية من تقديس و تعظيم لها يصل به بعضهم إلى حد العبادة.

وكثيراً ما يقترن منظر الأبقار المدللة بمنظر الثيران المتبذلة التي تحمل مـــن الأثقـــال ما تطيق وما لا تطيق فتجدها عليها عربات الحمل الثقيل وهي تمشي رويداً وتتمايل رؤوسها عند مشيها ذات اليمين وذات الشمال كأنها تقلد الساعات الهندية القديمة التي تتدلى بنادلها التي هي القلوب المدلاة فيها.

والحوانـــيت المرفوعة عن أرض الشارع لكون الشارع تسير في جانبه قـــناة المـــياه المســـتعلمة الخارجة من البيوت، وتمثال آخر (لراون) الشيطان الملعون في الشمال، والإله المعبود في الجنوب، وقد جعلوه شامخاً حتى تكون ناره عند إشعالها فيه أكبر.

منظر من السوق العامة في إندور

ومـــع هـــذه المناظر التي تشد الإنسان إلى الماضي وربما إلى الماضي السحيق فإن هناك أشياء يشده منظرها إلى العصر الحديث ومنها نساء راكبات على الدراجات وإن كان بعضهن قدر ارتدين الملابس التقليدية الهندية الموغلة فـــي القدم وهن يجاهدن في أن يرفعن ما يتدلى منها من الدراجة وعلى ذكر اللـــباس نقول: إنني شاهدت في هذه المدينة الهندوكية نساءً من نساء الهنادكة يلبســـن لباس المسلمات الذي هو القميص الذي يصل إلى الركبة تحته سروال مـــن القماش نفسه يصل إلى الكعب وقد علقن تحت حلوقهن المنديل الخفيف الـــذي يتدلـــى طـــرفاه من فوق الكتفين من الخلف، ولو عكس وضعه فصار المتدلـــي منه إلى الأمام لكان ذلك أجمل في المنظر، وأسهل في اللباس ومن الاحتفاظ بتوازنه على العنق.

ودعنا الأخ عبدالمجيد وأخاً مسلماً كريماً آخر من التجار الذين يساعدون علـــى المشـــروعات الإســـلامية وهـــو حاجي محمد ظهور جزاه الله خيراً، وأخبـــرونا أن لديه مصنعاً للحديد وأنه دائب على مساعدة المدرسة التي يقوم عليها الشيخ أبو البركات.

وقد أبطأنا في الخروج من المدينة لأنه ليس فيها شوارع واسعة رئيسية لمن يريد اختراقها دون أن يقف فيها، فالسير فيها كله وسط الزحام وفي شوارع ليست واسعة.

ولاحظت كثرة عقود الزهور المعروضة للبيع، وهي صفراء اللون يشتريها الناس هنا لمناسبة أعياد الفرح عندهم التي هي عيد زواج (رام وسيتا) وذكر الإخوان المرافقون أنهم يضعون هذه العقود من الزهور تحت أقدام آلهتهم والمراد بذلك تماثيل آلهتهم.

حي الخشب:

وقبيل الخروج من مدينة (أندور) مررنا بحي من أحيائها يسمى (كاندل نقر) وكاندل: نوع من الخشب كان مشهوراً عندنا عندما كنا نبني البيوت من الطين، ومن لبن الأسمنت، ونسقفها بهذا الخشب نستورده من الهند ونسميه (كندل).

وفي هذا الحي مسلمون كثير وعدة مساجد رأينا منارة أحدها بيضاء الطلاء عالية واضحة على البعد.

وبعده اتسع الشارع العام الذي خرجنا منه وهو الرئيس في تلك الجهة من جهات المدينة ويقع عنها جنوباً غربياً، ولكن جوانبه ترابية لا أرصفة فيها مثل أكثر شوارع هذه المدينة، وهي إلى ذلك غير نظيفة إذ تكثر النفايات فيها.

ومن المناظر الطريفة منظر راهب هندوكي بلباس أصفر طويل، وأشخاص قاعدين على جانب الشارع القعدة الهندية، التي يلصق فيها الرجل مقعدته بالأرض ويرفع ركبتيه فيبدو كأنما هو قاعد على باطن قدميه.

وخرجنا من المدينة فكانت السيارات في الطريق حافلات وناقلات كبيرة أكثرها تنفث الدخان المؤذي.

واعترض الطريق قطيع من الجاموس الضخم الأجسام، الأغبر الألوان، وجواميسهم في العادة تبدو سمينة مثل أكثر البقر عندهم.

قرية تلة الحمار:

وقعنا في الريف الخالي من المنازل فتنفسنا الصعداء للخلوص من ذلك الـــزحام الخانق والجو الملوث داخل المدينة إلا أننا وصلنا بسرعة إلى قرية اسمها (قدها تقري) بمعنى تلة الحمار، فقدها حمار، و تقري: تلة ولا أدري لم اختاروا تسميتها بالإضافة إلى الحمار، مع أن الحمير كثيرة الوجود في الهند مثل الحيوانات الأخرى، فضلاً عن أن تكون معبودة كالبقرة والقرد.

هذا وقد غير أهل القرية منذ وقت قريب تسمية قريتهم إلى (قدها نهرو) أي تلـــة نهـــرو الذي يراد به جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند سابقاً، بل زعيم الهند السياسي في عهد الحصول على الاستقلال وما بعده.

ولا أدري أقصدوا من استبدالهم اسم نهرو باسم الحمار أم إن ذلك من باب المصادفة، لأنه لا يشرف نهرو أن يخلف الحمار في تسمية هذه القرية.

ومع أننا خرجنا- كما قلت- من المدينة فإن سائق سيارتنا لا يزال يطلق بـــوق سيارته باستمرار، لأن كل من يستعمل الطريق من إنسان أو حيوان أو عربة أو دراجة يحتاج لكي يخلي الطريق للسيارة إلى من يطلق له البوق.

قرية كالاريا:

اختـــرقها الطـــريق وهـــي صغيرة أهم ما فيها معبد هندوكي صغير قد جللوه بشرائط ملونة ابتهاجاً بأعياد الفرح عندهم.

وقد كثرت الأشجار الصحراوية النضرة بعدها التي هي أشجارنا الكبيرة إلا أنهـــا هنا خضرة نضرة قد كثر ورقها وقل شوكها، ولا غرو في ذلك لأن موسم الأمطار في هذه المنطقة يستمر أربعة أشهر من يونيو إلى سبتمبر وقد انتهي موسم الأمطار قبل أيام.

هذا ورفقاء السيارة هم الشيخ أبوالبركات والدكتور عبدالله عباس الندوي وأمـــا السائق فإنه هندوكي يعمل لدى أحد المسلمين اسمه (راميش قوتي لال)

وخلفنا سيارة أخرى فيها السيد أبوالحسن الندوي وطائفة من مرافقيه وكان يأبى أن يتقدم سيارتنا إكراماً لي لأنني ضيف عندهم في الهند جزاه الله خيراً.

وعندما خرجنا إلى الريف الخالي من البيوت استرحنا من أبواق السيارات ومن تلويث الهواء أما أشجار الريف فهي العمبه (المانجو) ونخيل الغابات وهي نوع من الأشجار تشبه نخيل التمر من بعض الوجوه إلا أنها أنحف قواماً وأقل خوصاً، وذكروا أنها تثمر ثمراً صغيراً وغير لذيذ الطعم.

إمشي يا أمي، إجلسي يا أمي:

مررنا بقرية اسمها (ماجل) بمعنى أمشي يا أمي، فما هي تعني (الأم) وجل معناها: أمشي: أمْرٌ بالمشي.

وهذه قرية هندوكية خالصة فيها جواميس وعلى أهلها ملابس قديمة مهلهلة يتخللها مجرى ماء سارب من أحد الصنابير التي يرفع إليها الماء بمضخة يدوية من باطن الأرض وقد اسود ذلك المجرى المائي، ولوث زقاقاً متعرجاً ضيقاً فيها.

ورأيت فيها اللباس الهندوكي العريق الذي هو قميص كالقميص الإفرنجي إلا أنه واسع تحته فوطة قصيرة مشدودة عند أعلى الفخذين حيث يلتقيان بحيث يبدو منها أسفل لابسها كأنه مصرور صراً.

وبعدها برية ذات مراع جيدة، لان أعشابها صفر ملتفة لو كانت في بلاد مثل بلادنا قليلة المراعي لما أبقى عليها الناس، وإنما قطعوها وخزنوها للعلف وأساموا ماشيتهم في بقيتها.

والبيوت الريفية من الطين المسقف بالصفيح على هيئة سنام، ورأيت حانوتاً وهو الدكان مفرداً وهو مكون من عشة صغيرة أي من الخشب والقش.

ولعلك نسيت ما ذكرته قبل هنيهة عن قرية (أمشي يا أمي) وقد مشينا

منها، وإن لم نكن أمًّا لمن سماها بهذا الاسم ووصلنا قرية أخرى اسمها (بنت مـــا) بمعنى إجلسي يا أمي وما: هي هي أماه أي أمي، و(بنت) تعنى أجلسي باللغة الهندية المسماة بالهندي وهي كذلك في اللغة الأوردية.

ولم نجلس فيها، لأننا جادون في السفر ولأننا لو لم نكن كذلك لا نرغب الجلـــوس في مثل هذه القرية ذات الشارع الذي يتطاير من حواشيه التراب، والطريق الأزفلتي العام عندها ضيق.

ومـــن المناظـــر المميزة عند هذه القرية قرية (إجلسي يا أمي) صنبور تتســـرب فضـــلاته وإن كان أقل من التي قبلها، وماؤه يخرج مثل الذي قبله بمضـــخة يدويـــة مـــن الأرض وعربة يد لنقل مواد البناء لبيت يبنى، ومنها الحصباء وسيارتا نقل متعطلتان واقفتان في الطريق الأسفلتي لا خارجه، لأن أكتاف الطريق غير المسفلت لا تتسع لوقوف السيارة الكبيرة.

وقـــد رأيت سائق السيارة المتعطلة في الطريق يحيطها بحصى صغار إشارة إلـــى أنهـــا واقفـــة، ولم أرهم يستعملون المثلث أو يجعلون شيئاً ينبه السائقين على وجـــودها قـــبل وصولها بمسافة بعيدة، وذلك أن السيارة عندهم لا تسرع في العادة بسبب شيء في صناعتها، وبسبب حالة الطريق من ضيق وخشونة.

ومعـــبد هندوكي صغير ولا مسجد لعدم وجود المسلمين في هذه القرى وقد بنوا هذا المعبد على هيئة القمع، وهو المحقن المقلوب، ويظهر أنه قد بني حديثاً لأنه لم يطل ولم يكمل، وفي داخله تمثال لأحد آلهتهم جالساً قد وضعوا عليه عقوداً من الزهور، ويجلس عنده سادن أسمر نحيل.

بلدة بهاتا بلوز:

وهي بلدة كبيرة تكاد تبلغ أن تكون مدينة، يخترقها نهر (جن بل) نزر المياه، ولكن عليه أعداد كبيرة من الناس من رجال ونساء يغسلون ثيابهم فيه.

وقفة في الطريق إلى مندو

وقفـنا عـند محطة للمحروقات عند الجزء الذي فيه النهر فلم نجد فيها شيئاً فتجاوزنا النهر من فوق جسر عليه وأخذنا ما احتاجته السيارة من وقود من محطة فيه.

وقـد ملأ السائق خزان سيارته وهي صغيرة من طراز (ايني) الهندي الـذي يشـبه الفـيات الإيطالية أو هي في الأصل ودفع لذلك (٣٧٠) روبية ويسـاوي ذلـك ربع مرتب السائق الشهري فكأنه يساوي نظرياً ثلثمائة ريال سعودي التي هي تعادل ربع راتب السائق السعودي الجديد.

وعلى الطريق العام الذي هو الشارع الرئيسي في هذه البلدة (عمارات) أسمنتية حسنة المظهر بيض الطلاء.

ووجدنا فيها فلاحة تبيع فاكهة قطفتها لتوها من شجرها وهي المعروفة عـندنا بالقشـطة، وهـي شديدة الحلاوة فاشترى الرفقة منها وأطعمونا كلنا، فاضـطررنا أن نقـف حتى نفرغ من أكلها لأنها حلوة تلزق في اليد وغسلنا

أيدينا بعد ذلك من صنبور للمياه يرفع ماؤه بالمضخة اليدوية.

ومررنا بقرية أخرى سقوف البيوت فيها من الصفيح الذي ثقلوه بوضع حجـــارة ثقيلة فوقه حتى لا تطيره الريح، وفيها جواميس ترعى في بقايا حقل من القمح الحصيد.

ثم افترق الطريق فأخذنا ذات اليسار وتركنا الطريق الذي يعتبر رئيسياً وهو ينطلق من هنا حتى يصل مدينة (جي بور) عاصمة ولاية راجستان، وقد ذكـــرت أمـــر زيارتي إلى راجستان في كتاب (راجستان: بلاد الملوك) وهو كتاب مطبوع.

قرية قناد:

وصلنا قرية اسمها (قناد) سوقها الرئيسي على الطريق العام، وقد حسن هذا الطريق الفرعي فصارت الأشجار الخضر الشبيهة بالصحراوية لولا أنها لا جفاف فيها تحيط به وتسايره، وقلت السيارات فيه فانطلقت سيارتنا بحرية نســبية، لا تقــيدها إلا حالة الطريق نفسه أو نفسها إذا أنث الطريق وهو في الفصحى يذكر ويؤنث، وإن كانت العامة قد دأبت على تذكيره.

واللافتات التي كتبت على الطريق تبين الاتجاهات والمدن التي عليه أو التي يــذهب إليها منه كلها باللغة الهندية ذات الحروف السنسكريتية المعقدة، ولا يكتبون معها شيئاً بأية لغة أخرى لا بالأوردية ذات الحروف العربية، ولا بالإنكليزية.

والحــديث عــن اللغة الهندية التي يسمونها هنا (الهندي) مثلما يسمون معتــنق الديانة الهندوكية (هندو) يحتاج إلى فصل أطول لا سيما أنهم الآن قد قطعــوا شــوطاً طويلاً في إحلالها محل اللغة الأوردية لغة المسلمين في هذه البلاد التي توجد فيها نسبة كبيرة من الكلمات العربية.

ويمكن تلخيص ذلك بأن هذه اللغة الهندية أصلها من اللغة العامية التي كانت تتكلم بها العامة في شمال الهند عندما كانت اللغة الأوردية هي السائدة، وترجع في

أصـــولها إلـــى اللغـــة السنســـكريتية القديمة، إلا أنها غيرها لأنها دخلتها على مر العصـــور ألفاظ وجمل وتعبيرات من لغات غيرها كالفارسية والعربية التي دخلت الهـــند على أكتاف اللغة الفارسية، وبين حنايا اللغة الأوردية، والمراد بذلك الألفاظ والجمـــل العـــربية لا اللغـــة العـــربية نفسها لأنها لم توجد أصلاً في الهند إلا في المدارس الإسلامية العربية وفي مؤلفات علماء المسلمين.

وعـــندما استقلت البلاد الهندية وتحركت الروح الوطنية في نفوس أهلها بعـــده أخـــذوا يـــنقحون لغتهم الهندية المذكورة بزعمهم فيبعدون منها الألفاظ الدخـــيلة مـــن عـــربية وفارســـية، وحتـــى من أوردية ويكتبونها بالحروف السنســـكريتية حتى صارت لغة أخرى غير الأوردية وإن كانت لا تزال فيها ألفاظ وجمل أوردية كثيرة، بل حتى جرس الكلام ومخارج الحروف فيها هي أشـــبه باللغـــة الأورديـــة بحـــيث إنها إذا سمعها من لا يفهم كلماتها ظن أنها الأورديـــة وحتى أهلها الهنود المتعصبون لا يزالون يتكلمون الأوردية بسبب القـــرب الشـــديد بـــين اللغتين إلى جانب كونهم كانوا يسمعون الأوردية من المسلمين وتعلموها في أول أمرهم.

قرية أوتاور:

وقرية (أوتاور) هذه صغيرة أهم ما ميزها في المنظر عندنا أن حوانيتها الـــواقعة في شارعها العام الذي هو الطريق الرئيسية للسيارات مطلية بطلاء فاقـــع، وحتى ملابس النساء التي رأيناهن فيها أكثرها أصفر اللون، فكأن أهل هـــذه القـــرية يعتبرون اللون الأصفر هو اللون الجميل مع أنه أصفر صفرة حقيقـــية ولـــيس برتقالياً، واللون الأصفر الحقيقي يعتبره كثير من الناس لوناً حزيناً لأنه لون المرضى، بل والموتى.

مدينة دهار:

ونطـــق اســـمها بـــدال في أوله وتخفيف الهاء أي بدون تشديدها وقد كتبناها بالـــدال (دهار) لأن أكثر علماء الهند يكتبونها بالدال دهار، وهي بلدة كانت مسلمة،

بـــل كانـــت أول عاصـــمة لمملكة مسلمة هي مملكة (مالوه) التي نقصد عاصمتها الشـــهيرة (مندو) التي صارت عاصمة لها بعد (دهار) هذه لأنها أكثر مناعة وأبعد عن وصول الأعداء إليها، بل لأن موقع (مندو) لا نظير له كما سيأتي.

أول ما يدل على أن مدينة دهار كانت مدينة مسلمة قوية قلعتها الحمراء التـــي بنيت فوق تلة تشرف على المدينة بناء محكماً لم ينل منه الدهر حسبما رأيناه منها ونحن في الطريق العام للبلدة الذي هو الطريق الأزفلتية الرئيسية، وإلا فإننا لم نقف عندها بسبب ضيق الوقت.

وهذه المدينة هي أحسن بلدة وصلنا إليها بعد خروجنا من (أندور) فكثير مـــن مبانـــيها هي أسمنتية مسلحة ومن ذلك مدرسة لها كبيرة وأبنية حكومية بهيجة المنظر، لا سيما بعد مناظر القرى التي مررنا بها التي تكون مهملة.

وفي (دهار) هذه مبانٍ قديمة جميلة وآثار عمارة راقية شادها المسلمون الـــذين كانوا في أوج مدنيتهم بخلاف ما عليه عامة أهل البلاد من الهندوكيين الذين لم يكونوا في ذلك الوقت على شيء من العلم أو المعرفة.

ولكننا ننقل هنا كلام ابن بطوطة عندما مر بها قبل حوالي سبعة قرون، قال رحمه الله وسماها (ظهار) بالظاء:

ثم سرنا من جَنْد يري إلى مدينة (ظهار) وهي مدينة المالوه، أكبر عمالة تلـــك الـــبلاد، وزرعها كثير خصوصاً القمح، ومن هذه المدينة تحمل أوراق التنبول إلى دلهي، وبينهما أربعة وعشرون يوماً، وعلى الطريق بينهما أعمدة مـــنقوش عليها عدد الأميال فيما بين كل عمودين، فإذا أراد المسافر أن يعلم عـــدد ما سار في يومه، وما بقي له إلى المنزل أو إلى المدينة التي يقصدها، قـــرأ النقش الذي في الأعمدة فعرفه، ومدينة ظهار إقطاع للشيخ إبراهيم الذي من أهل ذيبة المهل، كان الشيخ إبراهيم قدم على هذه المدينة ونزل بخارجها، فأحـــيا أرضاً مواتاً هنالك وصار يزرعها بطيخاً، فتأتي في الغاية من الحلاوة لـــيس بتلك الأرض مثلها، ويزرع الناس بطيخاً فيما يجاوره فلا يكون مثله،

وكان يطعم الفقراء والمساكين، فلما قصد السلطان إلى بلاد المعبر أهدى إليه هذا الشيخ بطيخاً، فقبله واستطابه وأقطعه مدينة ظهار، وأمره أن يعمر زاوية بربوة يشرف عليها، فعمرها أحسن عمارة، وكان يطعم بها الوارد والصادر، وأقام على ذلك أعواماً، ثم قدم على السلطان، وحمل إليه ثلاث عشر لكاً، فقال: هذا فضل مما كنت أطعمه الناس، وبيت المال أحق به، فقبضه منه، ولم يُعجب السلطان فعله، لكونه جمع المال ولم ينفق جميعه في إطعام الطعام.

وبهذه المدينة أراد ابن أخت الوزير خواجة جهان أن يفتك بخاله ويستولي على أمواله، ويسير إلى القائم ببلاد المعبر، فنمى خبره إلى خاله، فقبض عليه وعلى جماعة من الأمراء وبعثهم إلى السلطان، فقتل الأمراء ورد ابن أخته إليه، فقتله الوزير، ولما رد ابن أخت الوزير إليه، أمر به أن يقتل كما قُتِل أصحابه.

وكانت له جارية يحبها فاستحضرها، وأطعمها التنبول وأطعمته، وعانقها مودعاً، ثم طُرح للفيلة، وسلخ جلده ومليء تبناً، فلما كان من الليل خرجت الجارية من الدار، فرمت بنفسها في بئر هنالك تقرب من الموضع الذي قُتل فيه، فوُجدت ميّتة من الغد، فأخرجت ودفن لحمه معها في قبر واحد، وسمي ذلك (قبر عاشقان) وتفسير ذلك بلسانهم (قبر العاشقين).

وقال عبدالحي الحسني من علماء الهند وهو والد السيد أبي الحسن الندوي المعروف: دَهَار بفتح الدال المهملة والهاء المختفية، بعدها ألف وراء مهملة: كانت بلدة كبيرة من بلاد (مالوه) على أربعة وعشرين يوماً من دلهي، وكانت من أقدم بلاد الهند، يسكن بها (راجة بهوج) عظيم المشركين،

أقول: مع هذا البعد عن (دلهي) الذي يحتاج إلى أربعة وعشرين يوماً من السفر فإن ذلك السفر كان مع طريق مجهز بما يحتاج إليه المسافر بحيث لا يشعر أنه في خلاء من مياه وأماكن للاستراحة، وغير ذلك، وقد رأيت أن أنقل هنا ما ذكره السيد عبدالحي الحسني عن هذا الطريق وطرق ثلاثة معه

وسماها شوارع وهي من مفاخر الحكم الإسلامي في الهند، لأنها صارت هكذا في زمن كانت فيه مثل هذه الطرق غير معروفة في أكثر بلدان الدنيا، بل لا يصل التفكير فيها إلى أذهان الناس، قال:

الشوارع العامة والبريد:

الشوارع التي كانت من مستعمرات[1] الملوك الإسلامية في الهند كثيرة، لا تكاد تحصر، وها نحن نذكر ما كان منها أشهر وأذكر منها الشارع الذي كان بين وادي السند وحضرة دهلي، وكانت مدينة سيوستان من السند بينها وبين ملتان مسيرة عشرة أيام، وبين بلاد السند ومدينة دهلي مسيرة خمسين يوماً.

ومنها الشارع الذي كان بين مدينة دهلي ومدينة دولة آباد على مسيرة أربعين يوماً، والطريق بينهما تكتنفه الأشجار من الصفصاف وسواه، فكأن الماشي عليه في بستان، وفي كل ميل منه ثلاث داوات وهي البريد، وفي كل داوة ما يحتاج المسافر، فكأنه يمشي في سوق مسيرة أربعين يوماً.

ومنها الطريق إلى بلاد (تلنك) والمعبر، وفي كل منزلة قصر للملوك، وزاوية للوارد و الصادر، فلا يفتقر الفقير إلى حمل زاد في ذلك الطريق.

ومنها الشارع الذي كان بين مدينة دهلي وبين (دهار) مدينة (مالوه)، وبينهما أربعة وعشرون يوماً، وعلى الطريق بينهما أعمدة منقوش عليها عدد الأميال، فما بين كل عمودين فإذا أراد المسافر أن يعلم عدد ما سار في يومه وما بقي له إلى المنزل، أو إلى المدينة، فقصدها وقرا النقش الذي في الأعمدة فعرفه.

وهذه الشوارع الأربعة كانت معمورة إلى مدة الدهور، ينتفع بها العامة، وقد رأها محمد بن بطوطة المغربي في رحلته إلى الهند، ومر بها ووصفها كما ذكرناه.

ثم لما ولى المملكة شير شاه السوري أسس شوارع أخرى، منها الشارع الكبير الذي يمتد من قلعة (رهتاس كده) التي بناها شير شاه المذكور في (بال

---

(١) يريد بالمستعمرات: الآثار العمرانية.

نانـــه جوكـــي) على عشرين ومائة ميل من لاهور إلى بلدة (سنار كاؤن) من أرض بنكاله على مسيرة أربعة أشهر.

ومنها الشارع الذي يمتد من آكره إلى (جوده بور) و إلى قلعة (جتور)، ومنها الشارع الذي يمتد من آكره إلى (برهان بور) من بلاد (خانديش)، ومنها الشارع الذي يمتد من لاهور إلى ملتان.

وهـــذه الأربعـــة تكتـــنفها الأشجار المثمرة، وبنى عليها سبعمائة وألف رباط، وبنى في كل رباط دوراً ومساكن للهنادك، ولأهل الإسلام على حدة، و على أبواب الرباطات السقاية المملوءة بالماء يشرب منها، وفي كل منها رجل مـــوكل مـــن البـــراهمة يسقي الهنادك الماء البارد، وإذا احتاجوا إلى الغسل يعطيهم الماء الساخن، ويسوي لهم الطعام، ويفرش لهم البسط، ويأتي بالعلف للدواب، وكل من ينزل في تلك الرباطات يعطى له المآكل والمشارب، وغير ذلـــك مما يحتاج إليه المسافر على حسب منزلته بلا قيمة، فلا يفتقر أحد من المسافرين إلى حمل زاد في تلك الشوارع.

المنطقة الإسلامية المفقودة:

تـــركنا (دهـــار) أو ظهـــار كما سماها ابن بطوطة وسرنا مع الطريق الأزفلتـــية في منطقة كلها كانت للمسلمين ترتفع فيها مآذن المساجد، ويقصدها العلمـــاء، والأدباء والشعراء فضلاً عن طلبة العلم الذين يسعون لتحصيله فيها وقد خلت منهم الآن أو كادت، بل إنها كانت قد خلت من المسلمين بالفعل بعد سقوط المملكة المسلمة فيها.

وذلـــك أنه تلا سقوط الحكم الإسلامي عهد من الإرهاب الديني والثقافي نـــاتج عن الاحتكاك والحروب بين تلك المملكة وجيرانها من الهندوك، ثم بين الحكـــم الإسلامي الذي مقره في دلهي وبين أطرافه في الهند، فكان من نتيجة ذلك أن صار المسلمون وهم أقلية عددية أقلية في البلاد قد فقدت سلطة الحكم، وقـــوة الـــنفوذ فهجـــروا البلاد وهاجروا منها إلى مناطق مسلمة أخرى وإلى مناطق لا يخاف المسلمون فيها شيئاً، و ذلك ما قبل نحو ٢٠٠ سنة.

قال التاريخ:

كانت مملكة بلاد مالوه لملوك دهلي عهداً بعد عهد، إلى زمن محمد شاه بن فيروز شاه الدهلوي، فولاها الحسين الغوري ولقبه دلاور خان، وكان من نسل السلطان شهاب الدين محمد بن سام الغوري، فضبط البلاد، وساس الأمور، ولما تزلزل شأن السلطة بدهلي، استقل بالملك.

دلاور شاه الغوري:

استقل بالملك أربع سنين، وكانت مدة ولايته في تلك البلاد عشرين سنة، وكان شجاعاً مقداماً، كريم النفس، فتح الفتوحات العظيمة، وملك القلاع والبلاد، و أحسن إلى الناس، مات سنة ثمان وثمانمائة.

هوشنك شاه الغوري:

لما مات دلاور شاه، ولى بعده ولده البخان، ولقب نفسه هوشنك شاه، وسار بعساكره إلى قلعة (كهيرله) فقاتل صاحبها (هرسنكه راي) وقتله وملك القلعة، وأغار عليه مظفر شاه الكجراتي وقبض عليه، وحبسه سنة، ثم أطلقه وولاه على تلك البلاد، وهو الذي أسس القلعة الحصينة بمندو، وانتقل من (دهار) إلى تلك القلعة، وجعلها دار ملكه واستقل بالملك ثلاثين سنة، مات سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة.

غياث الدين شاه الخلجي:

ولي الملك بعد أبيه محمود شاه، واستقل به ثلاثاً وثلاثين سنة، ولم يعزل احداً من عمال أبيه، ولا غير شيئاً كان في أيامه، فكان أباه به لم يمت، ثم استدعى بأولي الحل والعقد من وزرائه وأمرائه إلى مجلس مخصوص لهم، وقال: طالما تقلدت صارماً، وأدمت القراع: وأذقت السم النقاع، حتى فتحت

القلاع، وأخليت البقاع، وساعدني عليه جنون الشباب، وسايرني عقل ينتهز ما عليه المرء يثاب، وأما الآن وقد نزل بي المشيب، ولا يصلح معه إلا الدعة، فسآخذ منها بنصيب، وسبيل كل ذي عمل الآن أن يكون عليه كما كان، ولا يراجعني فيه إلا عند طوارئه، ووضع الحل و العقد بيد والده ناصر الدين، وجلس على سرير الملك وعزل والده، ويقال إنه سم والده، وقيل إنه كان عليلاً، فمات في أوائل جلوسه سنة خمس وتسعمائة.

ناصر الدين شاه الخلجي:

ولي الملك مكان أبيه، وشدد على أمراء أبيه، وألزمهم بكفران نعمته، وخروجهم عن التعصب له، وهو حي، حتى كان منه ما كان في حقه، وقلد ولده محمود خان نيابة عنه في أعمال عمه أعظم همايون فاستقر بأجمير، وصفا الملك لناصر الدين، فاستقل إحدى عشرة سنة.

مات سنة ست عشرة وتسعمائة على فراشه، وولى مكانه ولده محمود.

محمود شاه الخلجي:

لما مات ناصر الدين، ولى مكانه ولده محمود شاه، واستوزر (مدني راي) الوثني، فخرج الأمر عن اختياره في سائر أموره، فكان (مدني راي) في بداية حاله يتظاهر بما يرضى به محمود شاه، وكلما وجد مجالاً سعى في إخراج الأمراء، وكان كلما باعد مسلماً، قرب كافراً، حتى تمكن من المملكة، واستقل فيها أبناء جنسه، فحينئذ عمل ما شاء، وشيد الكنائس والأوثان، وشاع الكفر في البلاد كما كان، وضيق على محمود شاه فخرج من منزله ذات يوم، وسار على كجرات، واستنصر السلطان مظفر شاه الكجراتي، فنهض السلطان إلى مالوه، واستخلص تلك البلاد من الهنادك، ووهبه محمود شاه، وترك عنده ولده تاج خان.

فلما مات مظفر شاه الكجراتي، وتولى المملكة بهادر شاه، استدعى صنوه تاج خان، فأبى ذلك محمود شاه، فركب بهادر شاه إليه وقاتله، وملك

الـــبلاد وعزله، وأمر بحبسه في قلعة من بلاده، فقتل في أثناء الطريق خدعة في سنة سبع وثلاثين وتسعمائة، وبقيت بلاد (مالوه) تحت أمر ملوك كجرات إلـــى سنة إحدى وأربعين وتسعمائة، ثم خرجت من أيديهم، حتى صارت من توابع دهلي سنة ثمان وستين وتسعمائة، وانقلت إلى أكبر شاه التيموري.

هكـــذا ذكـــر الســـيد عبدالحي الحسني وهو من علماء الهند ومؤرخيها المشهورين، وصاحب كتاب (نزهة الخواطر) في تراجم أعيان أهل الهند.

والآن فـــإن المســـلمين فيها أقلية لا يصل عددهم إلى ٥٪. من مجموع سكانها، وهذا العدد الضئيل قد جاء بعد تلك العصور التي حدثت فيها الحروب والصـــدامات الهائلة بين الحكام المسلمين والهندوس فيها، وإلا فإنها قد خلت إبـــان ذلك من المسلمين إلا من عدد قليل لا يخرق القاعدة العامة، ويعتبر من النادر الذي لا حكم له.

والعجب إن الحكومة المحلية هنا لا تبيح للمسلمين أن يعودوا لسكنى هذه المـــنطقة مـــن جديد زعما منها أنها لا تريد سكاناً من خارج المنطقة، سواء أكانوا من المسلمين أم من الهنادك لذلك لا يستوطن المسلمون فيها من جديد و لو أرادوا ذلك.

والمقصـــود بـــذلك مدينة (مندو) الأثرية وما حولها، وأما (دهار) فإنهم غيـــر ممنوعين منها، ولا يزال فيها عدد قليل من المسلمين ولكن فيهم تجار ومحامون وأناس نابهون.

وأخبـــرنا الإخـــوة المـــرافقون بعد ذلك وفيهم عدد من المطلعين على تاريخ المـــنطقة، أن الهـــنادكة عندما استولوا على منطقة (مالوا) وما حولها حرموا فتح المـــدارس، بـــل حـــرموا طلب العلم الديني الإسلامي علانية وألزموا مشايخ العلم البقاء في بيوتهم وعدم الخروج منها مما اضطرهم إلى ترك البلاد مثل غيرهم.

ولم يرفع هذا الأمر إلا بعد الاستقلال حيث أبيح ذلك كما هو كان مباحاً في الأماكن الأخرى من الهند فبدءوا بفتح المدارس وتدريس العلوم الإسلامية فيها ولكن كان عدد المسلمين قليلاً في المنطقة كما تقدم.

هـذا وقـد بدأ الطريق في الارتفاع قليلاً، و إن لم يكن ذلك على هيئة جـبال ظاهـرة فحسـن منظر الريف، وظهر ذلك على المزروعات، ولطف الهـواء، وكثر منظر الأشجار الصحراوية أو الشبيهة بالصحراء التي تحيط بالطريق وقد أزهرت بزهور برتقالية اللون صغيرة ولكنها جميلة.

وتكاثـف وجـود الأشـجار البرية والقصيرة القريبة من الأرض تحت الأشجار الكبيرة مما يدل على خصب المنطقة.

قرية تلوار:

ولكـن قرية واقعة على مفرق طرق وصلها الطريق فراياها لم تساير هذا الجمال أو لم تستطع ذلك فبيوتها من الطين المسقف بالقش، وشارعها غير نظـيف، والذين رأيناهم من أهلها من أطفال ورجال ونساء لا يتعدى مستوى النظافة عندهم مستوى مبانيها.

وحتـى الطـريق صـار خشناً تكثر فيه الحفر والنقر مما جعل السائق يـتماوج بسـيارته يميـناً وشمالاً وكأنه يروغ كما يروغ الثعلب ليتفادى تلك الأشياء غير المريحة فيه.

الاستقبال في نال جا:

وصـلنا إلى قرية تدعى (نال جا) تسبق بلدة (مندو) بسبعة كيلومترات فـوجدنا عدداً منن الإخوة المسلمين المستقبلين قد جاءوا بسياراتهم من (مندو) إلى هذه القرية ليكونوا في استقبال الضيوف القادمين الذين معنا وعلى رأسهم السيد أبوالحسن الندوي حفظه الله.

وقد سلموا فأكثروا السلام وأحفوا السؤال عن الأحوال جزاهم الله خيراً وعرضـوا الشاي أو الشراب ولكن الكل رأى أن الأفضل هو مواصلة السير إلى (مندو).

وفـــي قـــرية (مندو) كادت سيارتنا تقتل رجل شاباً لم يبعد عن الطريق رغم المنبه، فقد اعترض طريقنا وهو غافل ولو لا أن سائقنا كان ماهراً وهو ماهر في جميع حالاته لصدمه.

وهـــذه هي المرة الثالثة التي كادت سيارتنا تصدم فيها آدمياً رغم إلحاح سائقها في إطلاق بوقها لتنبيه الناس لها، فالناس هكذا في الهند لا يبعدون عن طـــريق الســـيارات إلا إذا أبعدهم بوق قوي، ولذلك تجد سائقي الشاحنات قد كتـــبوا على مؤخرة سياراتهم عبارة (هورن بليز) أي من فضلك أطلق البوق ومعناه نرجو أن تنبهنا بأنك موجود خلف سيارتنا.

وهذا بخلاف ما هو موجود عندنا وعند أكثر الأقطار من غضب السائق الذي تطلق السيارة التي تكون خلفه بوقها باستمرار لأن ذلك يزعجه.

هذه مندو:

أول مـــا رأيـــناه مـــن منطقة (مندو) خندقان طبيعيان متظاهران أي أحدهما خلـــف الآخـــر لا يمكن اجتيازهما بالعربات ولا بالأقدام لأنهما في منطقة صغيرة وهمـــا منخفضان، وذلك جزء من التحصين الطبيعي لهذه المدينة وما حولها حتى إنهم دفنوا الطريق التي تسير منه السيارات إلى المدينة فصار كأنه جسر على وادٍ عميق وبين هذين الخندقين بنوا سوراً قوياً من حجارة سوداء فكأنهم لم يكتفوا بهذا الحاجـــز الطبيعي الذي هو أكثر حصانة من الخندق المحفور وأداروا السور على المدينة وما حولها بطول ٤٢ ميلاً، وذلك هو الاستدارة الطبيعية لها حيث تمتد تلك الخنادق الطبيعية طيلة هذه المسافة.

بوابة الكنّاسين:

دخلنا مع أول بوابة حجرية في هذا السور الحجري الذي يدور بالمدينة واســـمها (بانـــدي دروازه) أي بوابة الكناسين وهي الأولى من بوابات ثلاث يحـــتاج مـــن يريد دخول منطقة المدينة وما حولها أن يمر بها وهي بوابات

حصـــينة فـــوجدنا حاجـــزاً خشبياً عنده موظف ذكر أنه لابد من دفع خمس روبـــيات لكـــل داخل وهذا المبلغ يساوي خمس سدس دولار أمريكي أي أن الأشخاص الستة يكفيهم دولار واحد رسماً لدخولهم.

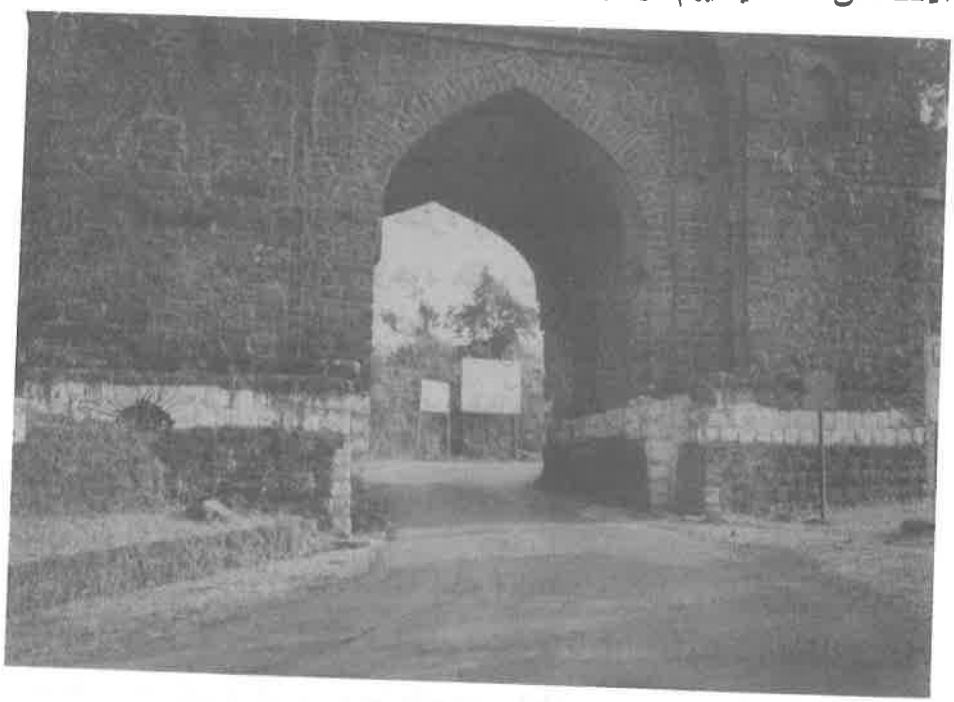

أحد مداخل مندو

وعـــند هـــذه البوابة وجدنا مستقبلين آخرين من أهل المدينة ومن أهل (دهـــار) التـــي قـــبلها حضروا لاستقبال ضيوفهم الذين فيهم السيد أبوالحسن الندوي كما تقدم.

واصـــلنا السير داخل السور فإذا بنا ببوابة أخرى من الحجارة القوية اسمها (ســـماتي دروازه) أي بـــوابة الـــرماة، والمراد بهم الرماة بالقوس، وبعد قليل من الســـير المتعرج في طريق جبلي بدأ منذ أن وصلنا الخندق الطبيعي قبل الوصول إلى البوابة الأولى وصلنا البوابة الثالثة واسمها (قاري دروازه) أي بوابة العربات.

ولـــم نقف عند هاتين البوابتين وإنما واصلنا السير حيث وصلنا بسرعة إلى منطقة عامرة بالآثار الضخمة من مساجد وقصور وقلاع عظيمة تدل على مبلغ ما كان عليه المسلمون من مدنية وقوة إبان حكمهم على هذه المنطقة.

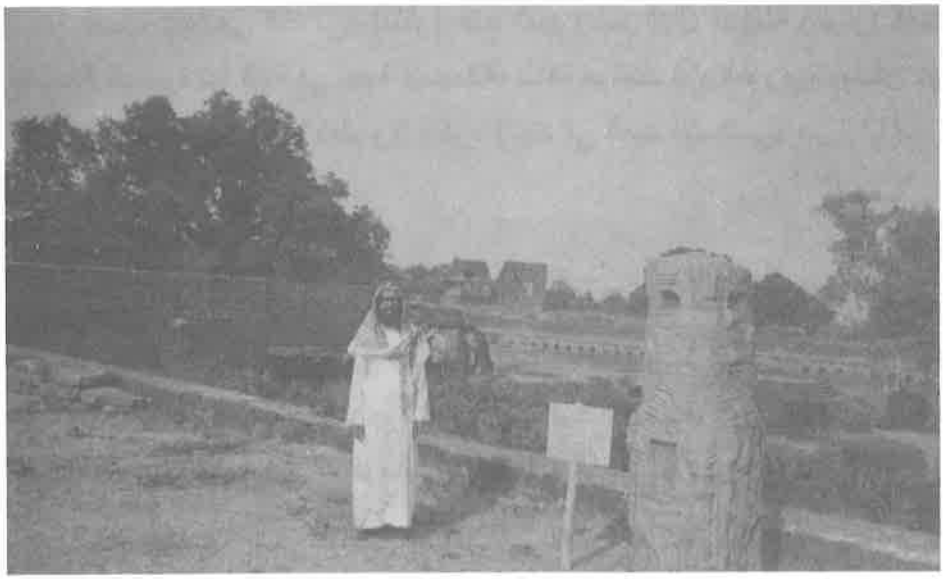

قرب الخندق في قلعة مندو

ثم وصلنا:

مدينة الفرح:

وهـذا تـرجمة للاسم الإسلامي لهذه المدينة (مندو) فقد كان المسلمون يسمونها (شادي آباد) أي مدينة الفرح أو (بلاد الأفراح) وهي كذلك كانت بلاد أفـراح للمسـلمين ولكن الدهر انقلب بهم، أو هم انقلبوا بأنفسهم، فإنقلب بهم الدهر، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

ولكـن الدهـر كما انقلب بأهل المدينة المسلمين من قبل انقلب بالمدينة نفسـها فانحط مستواها من مستوى القصور الضخمة الفخمة المبنية بالحجارة وفـق ذوق فني رفيع إلى ما رأيناه في سوقها ونحن نسير معه إذْ هو الطريق الرئيسـية فصار حوانيت من الطين المسقفة بالصفيح وبعض البيوت مسقف بالقش، وبعضها مبني بلبن الأسمنت.

وليس فيها أنابيب عامة للمياه، ولذلك رأيت في الشارع العام الذي هو شارع السـوق امرأة عند صنبور ماء تغسل ثوبها بضربه بخشبة معها وقد وضعته فوق حصاة هناك، وهذه طريقة شائعة في غسل الملابس في هذه المنطقة الهندية.

قـــال عبدالحي الحسني: (مَنْدُو) بفتح الميم وضم الدال المهملة والواو: كانت مديـــنة كبيـــرة لها قلعة في غاية الحصانة، بناها هوشنك شاه الغوري، ويسكن بها ملوك مالوه، وهي اليوم لا تعلم ولا تذكر، (الهند في العهد الإسلامي، ص١١٦).

دار الاستراحة الحكومية:

لـــيس فـــي هذه البلدة فنادق، ولذلك بنت الحكومة فيها بيتاً وأثثته أثاثاً مبسطاً جعلته استراحة لرجال الحكومة الذين يأتون إليها في مهمات حكومية، أو نحـــو ذلـــك، كما أنها تؤجره لمن يريد استئجاره كما فعل إخوتنا في هذه المنطقة حيث أخذوه من الحكومة لنستريح فيه ما بقي من بياض هذا النهار.

لـــم يدخلـــونا إلـــى قاعـــة الجلوس في الاستراحة الحكومية، وإنما أدخلونا أنا وصـــديقي الأســـتاذ الدكتور عبدالله عباس الندوي غرفة فيها سريران، فوق كل سرير (نامســـية) وهـــي الكلـــة أي القماش الأبيض الخفيف الذي يتقي به البعوض، وأداروا مروحة في سقفها فصارت تبعث بهواء بارد خفيف مع أن الجو معتدل لطيف.

وذكرتنـــي هـــذه الاســـتراحة بمثيلات لها في الهند منها واحدة في بلدة (درمـــنقها) مـــن ولاية بيهار الهندية، إذ كنا في دعوة من الدكتور عبدالحفيظ الســـلفي مدير الجامعة الأحمدية السلفية في تلك البلدة لحضور مهرجان أقامه عام ١٣٩٠هـــ، ولم يكن في البلدة فندق وإنما كانت فيها هذه مثل الاستراحة فنـــزلنا فـــيها وكان الجو حاراً فكانت المروحة ضرورية فيها لمكافحة الحر ومكافحـــة البعوض والحشرات الطائرة التي كانت كثيرة في تلك المنطقة، من بـــيهار حتى في ضوء النهار، بخلاف هذه التي نحن فيها اليوم فلم نحس فيها بأي حشرات في هذا الوقت.

تاريخ مندو:

لـــم أطـــق صبراً على الاستراحة فطلبت أن يحضروا لي رجلاً عارفاً بـــتاريخ المـــنطقة حتـــى يخبرني من أمرها بما خفي عليَّ قبل الجولة فيها، فأحضـــروا رجلاً كانوا قد جاءوا به لهذا الأمر خاصة أي لكي يشرح لنا أمر

هــذه المــنطقة لأنه كان قد عمل في مصلحة المساحة والهندسة وهو مهندس مسلم عمل فترة في هذه المدينة وما حولها وكتب عنها بحثاً بالأوردية لا يزال مخطــوطاً أرانا منه خريطة بالأوردية للمدينة وما حولها واسمه عبدالقدوس، وقــد أحضــر معــه مسجلاً كان قد سجل عليه تاريخ البلدة وما حولها ولكنه بالأوردية وهو طويل تصعب متابعته وترجمته كله مع أن فيه أشياء كثيرة لا تهمني فطلبت أن يتركه وأن يحدثني مشافهة وباختصار عما يعرفه من أمرها، فكــان من ذلك قوله الذي راجعته على غيره ولخصته بما يقتضيه المقام لهذه الرحلة من الرحلات الهندية:

عندما هزم تيمورلنك ملك دلهي وما يتبعها من الهند و هو (بيروسن بن تغلــق) ابــن محمد بن تغلق فهو إذاً حفيد السلطان محمد بن تغلق الذي كان سلطان الهند في زمن ابن بطوطة ونصب ابن بطوطة قاضياً في دلهي وذكره ابن بطوطة في رحلته ذكراً فيه بعض السوء الذي قال بعض المؤرخين إنه لا يســتحقه وإن ابن بطوطة لم ينصفه، لأنه كان قد ضن عليه أول بالمال الذي كان ابن بطوطة ينتظره منه.

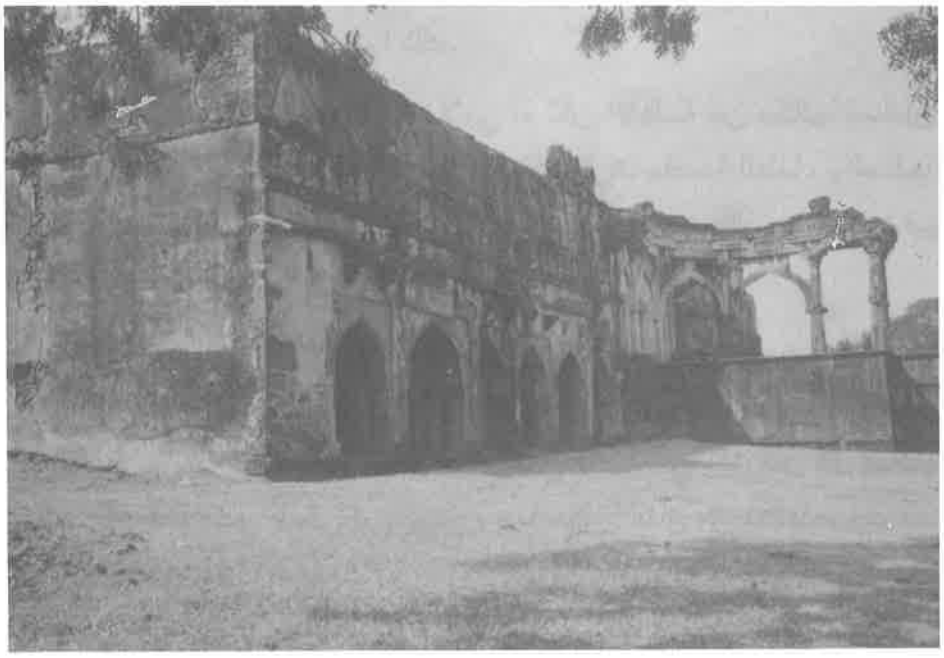

جانب من قلعة مندو

انهـــزم بيروســـن تغلـــق فـــذهب رجال من رجاله الأفغانيين الأشداء ويســـمونهم هنا (الباتان) فجاءوا إلى هذه المنطقة وأسسوا فيها دولة إسلامية قوية مزدهرة استمرت من عام ١٤٠١م إلى عام ١٥٦٢م.

ثـــم اســـتولى على المنطقة حكم إسلامي آخر حيث انتزعها منهم حكام المغـــول فـــي دلهي واستمرت تحت حكمهم الذي يعتبر حكماً إسلامياً وفيهم ملوك صلحاء مثل عالمقير وهوارنزيب.

وبقـــيت تحـــت الحكم المغولي الذي مقره دلهي حتى عام ١٧٣٤م حين اســـتولى عليها ملوك هنادكة أخذوها من الحكم المغولي الذي كان قد بدأ بفقد نفوذه في أطراف المملكة لاسيما مع كون هذه المنطقة منطقة محصنة يصعب انتزاعها ممن يستولى عليها إلا بمطاولة ومصاولة.

واستمرت تحت حكم راجات وملوك من الهنادكة حتى جاء الإنكليز إلى الهند ومن ثم جاء العهد الاستقلالي الذي هو في اسمه ومظهره القانوني حكم علماني لا يلقي بالاً للدين أي دين، ولكنه في حقيقته حكماً هندوكياً بحكم كون الأغلبية من سكان البلاد هم من الهنادكة الذي لا يستطيعون أن يتخلصوا من نزعة التعصب لدينهم لو أرادوا ذلك.

وحتـــى في زمن الحكم الإسلامي لم تكن الأغلبية من سكانها مسلمين، وإنمـــا ازدهـــرت فيها الثقافة الإسلامية، وصارت مقصداً للعلماء والصلحاء والأدبـــاء فحضـــروا إلـــيها مـــن أنحاء الهند وحتى من خارجها فشغلوا فيها المناصب، وحملوا منها الألقاب العلمية والوظيفية الرفيعة.

وذكـــروا من بين من جاءوا إليها من مكة المكرمة عالمين كبيرين هما الشيخ أبوالفتح بن رضى المكي الذي عاش فيها مدة زادت على ثلاث عشرة ســـنة هو وزميل له محدث اسمه عبدالرحمن الخواصي وإن كان قال بعضهم هـــنا: إن الخواصي المكي لم يحضر وإنما حضر اثنان من تلاميذه، وقد مات الخواصي في عام ٨٨٦هـــ.

هذا وسوف يأتي الحديث عن بقية أخبارها متفرقاً عند ذكر مشاهداتنا فيها.

من عجائب الدنيا:

قـــال لـــي السيد أبوالحسن الندوي: إن هذه المدينة ومنطقتها تعتبر من عجائـــب الدنيا التي ذكر الأقدمون منها سبعاً قال: وقد رأيت أنا نفسي أربعاً مـــنها هي (تاج محل) في أقرا، وأهرام الجيزة في مصر وشلالات نياجرا في كـــندا، و(مندو) هذه فهي بالنسبة لي الرابعة من عجائب الدنيا، و ذلك لكونها محصنة تحصيناً طبيعياً يحيط بها إحاطة السوار بالمعصم، بحيث لا يستطاع الوصـــول إلـــى مـــن فيها إلاّ من جهة السماء، وذلك غير ممكن قبل اختراع الطائرات الحربية كما هو معروف.

الطعام المبارك:

حـــان وقت الغداء إذْ بلغت الساعة الثانية عشرة والنصف فمدوا سماطاً مـــن القمـــاش على الأرض وأحضر الطعام في أوانٍ معدنية وهو حار حساً ومعنـــى وجعلوا أمام كل واحد صحناً معدنياً يأخذ فيه شيئاً من لحم أحضروه مـــن لحـــم الغـــنم ويضع عليه ما أراده من المرق الغليظ الدسم الذي يسمونه الكـــاري، ثم يأخذ خبزاً من خبزهم المسمى (روتي) والروتي: اسم عام للخبز بخلاف (نان) فإنه اسم لخبز خاص كثيراً ما يصنعونه مستطيلاً، كلوي الشكل.

وكـــان الجالســـون علـــى الخوان الذي هو السماط يبلغ عددهم أربعين شخصـــاً علـــى رأسه السيد أبوالحسن الندوي وقد أجلسوني بجانبه، وخصونا دون غيرنا بأن جعلوا تحتنا حشية لينة.

أكـــل الجميع من هذا الطعام واكتفوا، ولو كان في بلادنا لما قدم لأربعة من الضيوف فضلاً عن الأربعين لأننا نحن العرب لا نقتصد في تقديم الطعام، وحتـــى لـــو كان المضيف عاجزاً مالياً فإنه يستدين ويقدم لضيوفه أكثر مما يحتاجونه منه وهذا من الإسراف.

وأذكـــر بهذه المناسبة أن جاراً لي في الرياض جاء في بيتي واقترض مني نقوداً ذكر أنه سيعيدها بعد أن يتسلم راتبه الشهري فأعطيته النقود، وبعد يومين دعاني إلى الغداء وكان اليوم يوم خميس، ونحن نتحين أن يكون غداؤنا يـــوم الخميس مع أولادنا غير أن الرجل أصر على أن أستجيب له ذاكراً أن ابـــن عمـــه قادم عليه من بلادهما وهي في جنوب المملكة. ولدهشتي أن قدم الرجل ذبيحة كاملة غالية فوق الطعام لم يجلس عليها إلا أنا وضيفه، حتى هو لم يجلس تكريماً لضيفه.

ولمـــا سألته عن هذا الأمر وكيف يذبح ذبيحة كاملة لرجل واحد مع أنه ليس عـــنده ثمنها لأنني أعرف أنه كان اقترض مني نقوداً قبل ذلك، قال: والله إن الأمر كمـــا ذكرت لك، وإن ثمن هذه الذبيحة هو قرض اقترضته زوجتي من أهلها، ولو لم أذبح لابن عمي ذبيحة كاملة لأوسعني عند قبيلتنا ذماً وتجريحاً، والله إنني لست مرتاحاً لتقديم أكثر من حاجته من الطعام ولكنني مضطر لذلك.

أما هؤلاء الإخوة الأربعون فإنني اعتقد أن اللحم الذي قدم إليهم اليوم لا يصـــل إلـــى ربع ذبيحة وقد قطعوه قطعاً صغيرة، كسروا عظامه معه فصار الناس يعتبرونه إداماً لا طعاماً، أما الطعام فإنه الخبز معه الخضار.

ولـــذلك بقـــيت فـــي الطعام بقية لم تمس لأنها في الأواني الكبيرة، أما الصحون فإن العادة عندهم ألا يبقي الآكل في صحنه شيئاً، ولذلك يأخذ بمقدار ما يأكل لئلا يضطر إلى ترك شيء في صحنه.

وقـــد جلـــس على الخوان صغار السن وأهل القرية من المسلمين، وقد عرفت شيئاً لم أعرفه من قبل وهو الحكمة في كونهم يجعلون المرق الذي هو الكاري غليظاً دسماً وهي أن يكون إداماً للخبز مع ما يتيسر من الخضار، فقد اكتفى بعض القوم بأخذ شيء من هذا المرق في صحنه، وصار يأدم به الخبز أي يغمسه فيه ويأكله.

وجاءوا بالفاكهة وهي قطع من التفاح يقسمون التفاحة الواحدة إلى أربع

قطـــع أو ست ويضعونها في إناء ومعها رمان قد شققوه ونثروا حبه بأيديهم، وكل واحد من الآكلين يأخذ بيده من هذه الفاكهة ما أراد.

ومن عادتهم الحميدة أن ينظروا إلى مقدار الطعام المقدم، فإن كان كثيراً أكلوا منه كثيراً، وإن كان قليلاً اكتفوا منه بالقليل كاللحم والإدام والفاكهة، وأما الخبز فإنهم يأكلون منه كفايتهم.

الشجرة المعمرة:

مع الشيخ أبو البركات الفاروقي عند جذع الشجرة المعمرة في مندو

تناولنا طعامنا في دكة وهو المكان المرفوع عن الأرض بمقدار درجتين أو ثـــلاث، معـــداً الجلوس ليكون بعيداً عن الحشرات والرطوبة، وذلك تحت شجرة ضخمة جداً بحيث لو وقف بحذاء جذعها ١٥ رجلاً لما ضاق بهم ولو استدار عليه ثلاثون لوسعهم، لأن جذعها مستطيل وليس مدوراً ولها أغصان صارت أخشاباً ضخمة وتفرعت منها فروع كثيرة.

وهي شجرة معمرة حقاً اختلفوا في عمرها فقال بعضهم إن عمرها هو ٢٥٠ سنة وقال آخرون (٤٠٠) سنة، وقد كتبت مصلحة الآثار عليها لوحة توضح فيها أنها شجرة معمرة وأنها من النوع الذي يسمونه (خراساني اميلي) وإميلي هو التمر الهندي مع أنها لا تثمر تمراً هندياً حامضاً وإنما لها طلع لا يأكلونه.

وقد ذكرت لوحة مصلحة الآثار أن الذي أحضرها هنا هو السلطان محمد الخلجي وأن أصلها من أشجار القارة الإفريقية.

جولة في منطقة مندو:

أكلنا الغداء فطابت الجولة وكان الهواء قبل ذلك وبعده طيباً كليل تهامة لا حر ولا قر، فانطلقنا مع الأخ عبدالقدوس الخبير بهذه المنطقة لكونه عمل فيها لفترة طويلة كما تقدم.

منازل ريفية في مندو

وكان أول ما ذكره من أمرها أن سورها يمتد ٤٠ ميلاً، وأنه لا يملكننا أن ندور حوله ونقف على كل ما يستحق أن يوقف عنده منها.

موقع مالوه:

قال الأخ عبدالقدوس: إن المنطقة ترتفع ألفي قدم عن سطح البحر إلا أن ارتفاعهـــا هو تدريجي، ولذلك لا يحس به من يقدم إليها إلا إذا وصلنا المدينة نفسها حيث يصعد إلى الجبل الذي تقع فيه.

أول مسجد:

بـــدأنا الجولة بالإطلاع على أول مسجد بني في هذه المدينة بناء حجرياً محكماً، وإن لم يكن أكبر مساجدها وهو مبني بحجارة سوداء كبيرة.

ذكـــر الأخ عـــبدالقدوس أن هذا المسجد مبني على طراز المباني الهندوكية لأنه لـــم يكن عندهم بناة من المسلمين أول ما فتحوا المنطقة، ولذلك بنوه على هذا الطراز الهندوكـــي، وتحـــت هـــذا المسجد غرف كثيرة مبنية بالحجارة مثله مخصصة لسكن المشـــايخ وطلـــبة العلم، ويقابله بناء حجري ضخم لمبنى ذكروا إنه كان دار الضيافة الحكومية تنزل الحكومة فيه ضيوفها في ذلك الوقت من رجال الدولة والوفود.

وبـــين المســـجد ودار الضيافة ميدان تحيط به من إحدى الجهات الثلاث قبة من الحجارة المحكمة هي (بيت المرضعة) أي مرضعة ولد السلطان محمود الخلجي.

مسجد قديم في مندو

وقــد بقي بيت المرضعة عامراً قوياً مع قبته الضخمة لم يستطع الدهر الــتغلب عليه، وإنما انهدم مع الزمن بيت خلفه مبني بالحجارة ذكروا أنه بيت أخت المرضعة المذكورة التي هي مرضعة ولد السلطان.

٣٦٠ مسجداً في السابق:

هجر هذا المسجد الحجري القوي، وعطل من الصلاة منذ أكثر من قرن من الزمان، لأن المسلمين رحلوا من المنطقة، ولكن بقي بناؤه وأكثر بناء دار الضيافة وبيت المرضعة، تحيط بهذا الميدان الذي كان مهماً.

والشــيء الذي يحز في النفس أنه بعد أن كان في المنطقة (٣٦٠) مسجداً أصبح لا يوجد فيها الآن إلا مسجد واحد عامر بالمصلين، وهو مسجد جديد غير كبير.

وذلــك لقلة عدد المسلمين، ولضعف وزنهم السياسي، وإلا لأعادوا بناء أحد المساجد القديمة، وعمروه بالصلاة ولو كان عددهم قليلاً.

وقد ذكرني هذا ما رأيته في مدينة (أمرتسر) كبرى مدن البنجاب الهندية التــي كانت عامرة بالمساجد قبل تقسيم القارة الهندية بين الهند وباكستان في عــام ١٩٤٧م، وعــند التقســيم هجرها أهلها المسلمون، حيث هاجروا إلى باكســتان القــريبة من أمرتسر، فبقيت مساجد المدينة مهجورة وفيها مساجد أثرية قوية اعتبرتها حكومة الهند آثاراً من الآثار القديمة لأهميتها.

إلا أنها الآن أعيد افتتاح بعضها لوجود مسلمين توافدوا عليها من أنحاء الهــند وبخاصة من ولايتي (يوبي) التي هي الولاية الشمالية، وولاية كشمير التــي تحــتلها الهــند، فأعيدت الصلاة إلى تلك المساجد، وارتفع فيها صوت المؤذن بعد أن كان قد انقطع سنين عديدة.

كلام تاريخي عن بعض الآثار الإسلامية المهمة في مندو:

قــال السيد عبدالحي الحسني: منها الجامع الكبير، الذي بناه محمود شاه الخلجــي صــاحب "مالــوه" ببلدة "ماندو" (مندو)، شامخ البنيان من الحجارة

المـــنحوتة، استحســـنه جهانكير، وذكره في كتابه المعروف بتزك جهانكيري وقـــال: "إنـــه من أبنية هوشنك"، والصواب أن هوشنك شرع في بنائه، وأتمه محمود وأضاف إليه.

ومـــن المـــدارس المشهورة ببلاد (مالوه) المدرسة العظيمة بدار الملك (مـــندو)، لعلها كانت من أبنية (هوشنك شاه) الغوري، دفن بها (هوشنك شاه) سنة ٨٣٨هـــ، ذكره محمد قاسم بن هندو شاه في (تاريخ فرشته).

ومنها المدرسة المحمودية، التي بناها محمود شاه الخلجي بدار الملك (مندو) لعله في سنة ٨٤٩هـــ، وأجرى على العلماء وطلبة العلم الأرزاق والرواتب.

ومـــنه المدرســـة الغيائية، التي كانت بمدينة شادي آباد (مندو)، لعله بناها غياث الدين بن محمود الكبير الخلجي صاحب (مالوه)، له ذكر في ظفر الواله للآصفى.

ومـــنها المدرســـة العظيمة بظفر آباد (نعلجه) كانت من أبنية السلطان غياث الدين الخلجي، وكانت باقية إلى عهد محمود شاه الصغير، كما في (آثار خير).

ومـــنها المدرسة العظيمة بمدينة (اجين) كانت من أبنية الملوك الخلجية، وأعلامها باقية إلى الآن، كما في (تزك أفغاني).

ومـــنها المدرســـة العظـــيمة بـــبلدة (سارنكبور) كانت من أبنية الملوك الخلجـــية، وأعلامها باقية إلى الآن، وفيها كتابة نصها: "بناء هذه المدرسة في عهـــد السلطان الأعظم معين الدنيا و الدين محمود شاه الخلجي خلد الله ملكه وسلطته في عمل ملك (مداريخان) في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة سبع وتسعين وثمانمائة.

ومـــنها المدرســـة الكبيرة، بناها غانم الملك بقلعة (رائسين) من أعمال (مالـــوه) ســـنة ٨٩٠هـــــ، وكانت عالية البناء، وبنى دوراً ومساكن للعلماء والطلبة، وأعلامها باقية إلى الآن، كما في (تاريخ الإقبال).

انتهى.

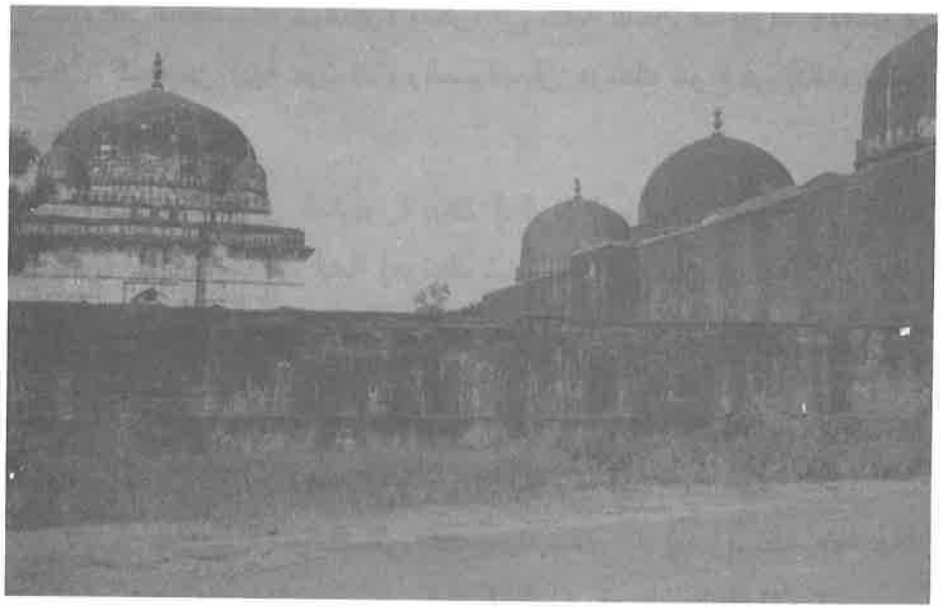

جانب من جامع مندو

تركنا منطقة المسجد القديم ولم يتركنا الأسى والحزن الذي لم يخفف منه ما تذكرته من حال تسر من أحوال إخواننا مسلمي الهند في عمارة مساجدهم بالعبادة وطلب العلم في غير هذه المنطقة من بلاد الهند، وأكبر شاهد على ذلك ما نعرفه من جهود للشيخ السيد أبي الحسن الندوي وإخوانه وتلامذته في ندوة العلماء في لكهنو، بل ما رايناه من المساجد التي يفوق عددها مجتمعة المائة مسجد في مدينة (إندور) التي قدمنا منها.

ووصلنا نقطة على الشارع الأسفلتي قد وضعت فيها منصة متطامنة من الحجارة وجدنا عندها هندوكياً حافياً يرتدي الملابس الهندوكية وقد كتبت بجانب الصخرة لافتة تقول ما معناه (هنا رجع الصدى) أي تردد صدى الصوت.

عندما رآنا الهندوكي الذي كان واقفاً عند المنصة أسرع يصعد إليها ولكن أخانا عبدالقدوس أسرع يجذبه من يده، يبعده عن الصخرة ويصعد عليها وهو يقول: إن من يتكلم هنا ويرفع صوته يسمع صوته يتردد.

وحاول الأخ عبدالقدوس أن يفعل ذلك فصوَّت لكن كان صوته ضعيفاً لا يكاد يسمع له صدى فأعطيت الهندوكي خمس روبيات هندية وطلبت منه أن

يفعل وهو متمرس بذلك فأسرع يصوت بأعلى صوته كما يفعل المغنون، وقال من بين ما قاله يرفع به صوته، لقد أعطاني خمس روبيات، يستكثر هذه العطية من الروبيات، فأخذ صوته يتردد وهو يقول لقد أعطاني ٥ روبيات وطلبت منه أن يقول: لا إله إلا الله، فلم يحسن أن يقول إلا (هَلَّ الله) فصار الصوت يتردد (هَلَّ الله).

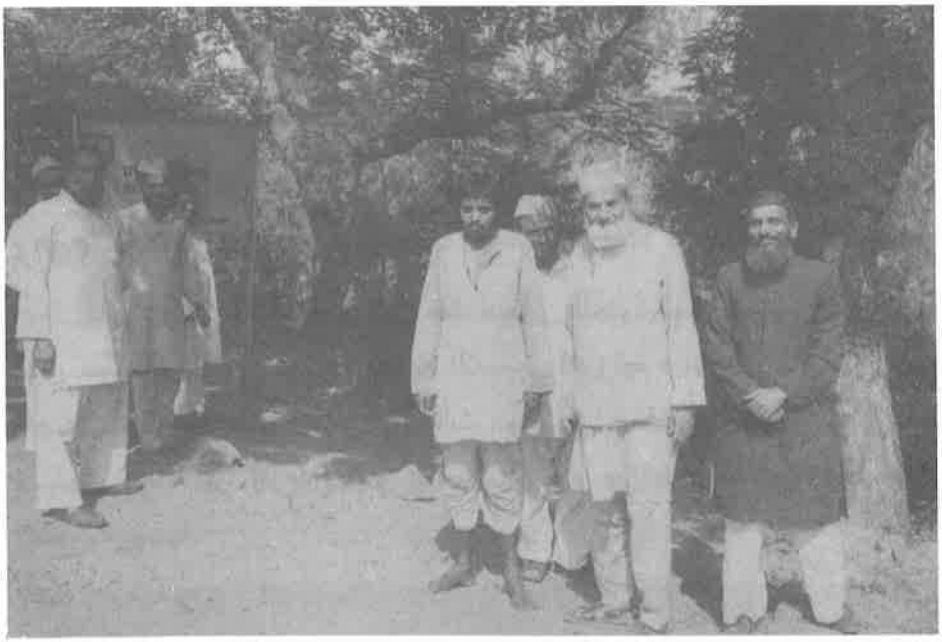

الهندوكي الذي يذهب صوته بعيداً (حافي القدمين) على يساره المؤرخ عبدالرزاق

والحقيقة إن الصدى هنا عجيب، لأن المرء لا يرى في المكان جبلاً ولا مكاناً مرتفعاً يعيد صدى الصوت الذي يصله، كما أن المكان الذي يقع على الطريق تحيط به أشجار الطريق العالية بعدها أشجار وادٍ منخفض مليء بالأشجار العالية المنخفضة، ولكن يأتي بعد ذلك جزء من الجبل الذي لا يرى من أجل كثافة الأشجار وهو الذي يعيد ذلك الصدى.

وقد طلب أحد الإخوة المسلمين من ذلك الهندوكي أن يؤذن ففعل ولفظ بالأذان لفظاً صحيحاً فجاوبه الصدى من حيث لا يرى الجبل كما قلت.

وقد حاول الحاضرون أن يقلدوه فيصوتوا بأنفسهم ولكن كان الصدى لذلك ضعيفاً فهذا الهندوكي قوي الصوت متمرس بهذا العمل.

قصر زوجة السلطان:

انطلقنا بسيارتنا مع طريق أسفلتية لا بأس بها لو لا ضيقها فصعدنا تلة عالـــية فـــوقها قصر مشرف قوي البنيان، لأنه مبني من الحجارة القديمة وقد كتبت عليه مصلحة الآثار بأنه قصر (روي ماتي) زوجة السلطان بهادور أحد سلاطين هذه المنطقة.

وقـــال الإخوة المرافقون العارفون بالأمر، إن زوجته هذه هندوكية وهو مســـلم لا يجوز له أن يتزوج من هذه الهندوكية الوثنية ولكنه مع ذلك عشقها وتـــزوج بها فاشترطت عليه أن يسكنها قصراً تأكل طعام الإفطار فيه كل يوم وهي تشاهد نهر (نريدا) المقدس عند الهنادكة في هذه المنطقة.

قالوا: وكان هذا القصر قبل ذلك مساكن للجنود تحته غرف عديدة مبنية دون حـــيطان كاملة جعلوها بمثابة الإسطبل لخيولهم فأمر السلطان أن يخرج الجـــند منه وأن يشاد فوقه طابق ثالث تجعل فوقه مقاصير مشرفة حتى ترى مـــنها زوجته نهر (نربدا) الذي تقدسه، كل يوم حين تأكل طعام الإفطار الذي تفتتح به يومها.

ريف مندو صورة التقطتها من سطح قصر زوجة السلطان بهادور

ويرتفع هذا القصر ٢٠٧٩ قدماً عن سطح البحر، ومن الأماكن المشرفة فيه يرى المرء جانباً من الخنادق الطبيعية المحيطة بهذه المنطقة وهي أماكن منخفضة تحيط بها أماكن عالية مما يلي الداخل لا يستطيع أحد اختراقها إلا بمعالجة أي بمحاولة دفنها وطمر ممر فيها غير أن ذلك على صعوبته يجعل من يحاول أن يفعله معرضاً للهجوم من المدافعين عنها وبخاصة أن هناك سوراً صخرياً مبنياً أيضاً دونه من الداخل.

ومن قصر الزوجة المدللة للسلطان بهادور كنا نرى قصر بهادور نفسه على بعد حوالي ٦٠٠ متر إلا أنه منخفض الموقع عن قصر زوجته وإن كان واقعاً على تلة جبلية مرتفعة عما دونه.

والشيء الذي جعلهم يشيرون إليه قبل أن نصل إليه هو ما زعموه من أن المغني كان يغني في قصر بهادور هذا البعيد فتسمع الزوجة غناءه وهي في قصرها.

وقال أحد الحاضرين وكانوا معنا في حافلة مليئة بهم وكلهم من المسلمين الذين جاءوا لاستقبال السيد أبي الحسن الندوي ومن معه من الضيوف، وإن كان الشيخ أبوالبركات ومن معه يقولون- مجاملة- إنهم يحتفون بي أنا لكوني قادماً من مكة المكرمة ضيفاً على منطقتهم، قال ذلك القائل: إن الأصوات كانت قوية في القديم بحيث يستطيع صوت المغني أن يقطع هذه المسافة الطويلة.

ولا شك في أن هذا له وجه من الصحة وإن لم يكن صحيحاً من كل وجه، وهو أنه كان في الناس أفراد من الأقوياء الأصوات لأنهم يعتمدون على قوة أصواتهم وينمون ذلك حتى يتعودوا عليه حيث لا يمكنهم الاعتماد على غير ذلك فلا توجد مكبرات للصوت كما هو ظاهر.

والذي يقرأ كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ويستعرض ما فيه مما ذكره عن قوة أصوات بعض المغنيين يعجب منه ولا يكاد يصدقه.

وقد استجليت المنطقة ومناظرها من أعلى مكان في قصر الزوجة الواقع

فـــي أعلـــى مكان من المنطقة فاتضحت رؤيتها أرضاً خضراء خضرة غير ملتفة وإنما هي خضرة أعشاب برية وأشجار متفرقة غير مغروسة.

وجدنا عند قصر زوجة السلطان طائفة من السياح الأوروبيين أو ذوي المظهـــر الأوروبـــي وفيهم كبار في السن من الرجال والنساء لا يكاد الواحد مـــنهم يقوى على الصعود من هذا الدرج الحجري للقصر فعجب منهم إخواننا المـــرافقون وجهروا بذلك وقالوا: نحن جيئنا إلى هنا من أجل مشاهدة آثار لنا نحـــن المسلمين في هذه المنطقة ولو لا ذلك لما تجشمنا متاعب السفر ونفقاته وهـــؤلاء الســـياح البيض جاءوا إلى هنا من أجل غرض واحد وهو الإطلاع على الآثار التي فيها.

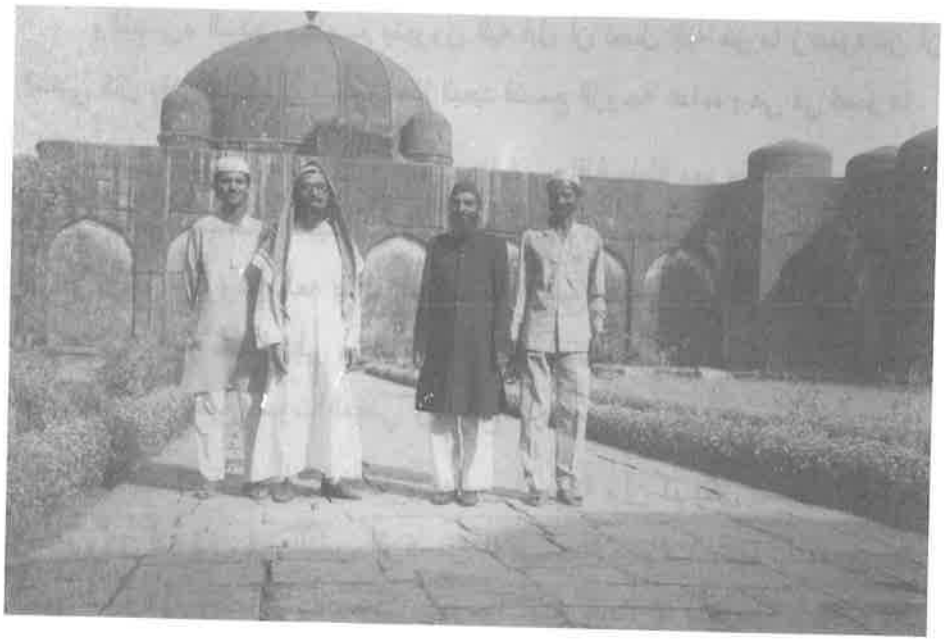

في قصر بهادور قرب مندو

فقلـــت: إنهـــم من سياح المعرفة لا سياح الراحة الذين نعرفهم في أكثر بلداننـــا المســـلمة، ولقد رأينا كثيراً من شبانهم وشاباتهم يحملون أمتعتهم على ظهورهم وهم يجوبون الأقطار البعيدة لمشاهدة ناسها ومعالمها وآثارها القديمة إذا كانت فيها آثار قديمة.

وقــد شاهدت بعد النزول من هذا القصر بقليل أوروبياً يضع على رأسه طاقــية وهي القلنسوة فظننته مسلماً لأن لبس (الطاقية) صار شعاراً للمسلمين في هذه البلاد مثل كثير من البلدان التي تقطنها أقليات عددية مسلمة.

وكــان هــذا الأوروبــي الأبــيض جالساً على خشبة وحوله طائفة من القرويين الهندوكيين من أهل المنطقة على غاية من المظهر السيئ في الثياب والأبدان نتيجة للفقر ونقص الوعي الصحي الناشئ عن النقص في التعليم أو عما لا أدري ما هو، فوقفت عنده ووجدته منهمكاً في رسم بعضهم وقد أنهى نموذجاً لواحدة عليها الثياب الهندوكية التقليدية، وبدأ في رسم أخرى.

ولما سألته عما إذا كان مسلماً نفى ذلك، وقال: إنه اشترى هذه (الطاقية) من مصر حيث كان هناك وأعجبته فلبسها في هذه البلاد الهندية!

ثمرة الشجرة المعمرة:

وقفــنا عند قصر السلطان بهادور فوجدنا المكان يعج بطائفة من السياح ومن المتسكعين من أهل البلاد ومنهم رجل يبيع مأكولات محلية قليلة وامرأة تبــيع أشياء محلية من بينها طلع من طلع الشجرة المعمرة التي قدمت ذكرها وهــي التي يسمونها (خراساني إميلي) بمعنى التمر هندي الخرساني، وليس فــيها تمــر هندي ولا يؤكل طلعها كما رأيناه وإنما هو يابس مستطيل الشكل كالبطــيخة المســتطيلة غير الكبيرة التي شكلها شكل الموزة إلا أنها ضخمة، ويشــتريه الــناس ليبقوه لديهم تذكاراً لهذه الزيارة لأنه من شجرة معمرة، بل بالغة التقدم في السن.

وقيمة الواحدة منه خمس روبيات وتساوي سُدُس دولار أمريكي أو ثلثي ريــال سعودي، وقال أحدهم وهو يشتريها إنني دفعت ٥ روبيات لا لشيء إلا لأرى طلع شجرة يمتد عمرها لحوالي أربعمائة سنة.

سوق مندو

وعرضـــت على البائعة أن تسمح بأن تترك مكان بضاعتها لأنها كانت جالســـة تحـــت ظـــل شجرة تمنع من وضوح الصورة وأن تحمل بيدها طلع الشـــجرة المعمرة في مقابل أن أعطيها خمس روبيات فوافقت على ذلك، بل فرحت.

الخرافات الهندوكية:

صـــاغ الهـــنادكة عـــدة حكايات وخرافات حول زوجة السلطان المسلم بهـــادور لكونها هندوكية ظلت على ديانتها بعد أن تزوجها فقالوا من بين ما قالـــوه: إن زوجها طلب منها أن تأتي إلى قصره من قصرها هذا الذي ترى منه نهر (نربدا) لكونه عالياً فذكرت أنها لا يمكن أن تدع نهر (نربدا) المقدس يغيب عن ناظريها ولا تقيم في مكان لا ترى فيه النهر الذي تقدسه.

آثار المسلمين في مندو

قالـــوا: فحفـــر مكاناً بجانب القصر يريد أن يستنبط فيه ماءً مجرد ماء فظهر الماء وتبين أنه هو من أصل نهر (نربدا) فبنى حوله بركة قوية وداراً للضـــيافة مطلـــة علـــى هذه البركة الواسعة وذلك من كراماتها وهذه خرافة هندوكية، وإلا فإن أصل منبع نهر (نربدا) كان موجوداً قبل ذلك وهو معروف في غير هذا المكان قبل عصر السلطان بهادور وزوجته الهندوكية.

وقد بنى هذا القصر قبل أن يحكم السلطان بهادور نفسه إذ بناه السلطان ناصر الدين الخلجي في القرن التاسع الهجري.

والشـــيء الحقيقـــي العجيب أن القصر مبني على تلة صخرية مرتفعة يصـــعد إلـــيه مـــع درج عديدة قد جعلوا بين كل أربع زلفة من زلفاتها مكاناً مســـتوياً لا درج فيه من أجل أن يرتاح فيه الصاعد، فلا يواصل الصعود مع الدرج دون توقف، وبعد الوصول إلى واجهة القصر يصعد الداخل ايضاً إلى داخل القصر حيث مجلس السلطان واسع يطل على فناء داخلي تحيط به عقود

مـــن الحجارة القوية التي تحملها عمد حجرية قوية أيضاً وتتوسطها فسقية أي بركة نازلة عن سطح الفناء.

ووجه العجب أن الماء يأتي للقصر والفسقية من منبع نهر (نربدا) الذي هو أكثر انخفاضاً من الأرض التي يبدأ منها الصعود للدرج.

وقد اخبرونا أنهم يحملون الماء من هذا المنبع فيصعدون به إلى القصر مـــن جانبه المتدرج في التل، فيسيل من سطح القصر مع أنابيب واسعة أظنها مـــن الرصـــاص إلى باقي أجزاء القصر، وقال لي أحد الحاضرين: إن لديهم مضخة يدوية يرفعون بها الماء إلى القصر ولا أظن ذلك صحيحاً لأن القصر مرتفع جداً، ولا توجد مضخات قوية في ذلك العصر.

في سطح قصـــر بهادور في ضاحية مندو
في مالوه على يساري السيد الشيخ محمد الرابع الندوي

وأرونـــا مكاناً منه يقف فيه الملك بهادور ليطل على رعيته من مملكته الواســـعة التـــي كان يبلغ عدد سكانها في وقته مليوناً ونصفاً من السكان وهو عدد كبير في ذلك الزمان.

إلى المسجد الجامع:

ثـم كـان الانصـراف من القصر وشئونه التي من أهمها تزوج الملك المسـلم بزوجة هندوكية ليست من أهل الكتاب واستجابته لرغباتها في رؤية نهـر يقدسه الهنادكة طيلة وقتها انطلق موكبنا إلى مسجد عظيم بل هو أعظم مسـجد فـي منطقة (مندو) واعتقد أنه أعظم مسجد فيما حولها من المناطق، ويسمونه (جامع مسجد) أي المسجد الجامع.

مـررنا فـي ذهابـنا إليه ببيوت ريفية بائسة مبنية من الأعواد المطلية بالطـين كما يفعل الإفريقيون الأصلاء ببناء بيوتهم أو لنقل أكواخهم التقليدية فهـم يقيمونها من الأعواد التي يأخذونها من أغصان الأشجار، ثم يطلون هذه الأعـواد بالطـين، ولكـن سقوف بعضها من الآجر الأسود المتخرق السيئ المنظر بخلاف المنازل الإفريقية التي تكون سقوفها من القش أو الصفيح.

المسجد العظيم:

بـدا المسجد الجامع الذي لابد من وصفه بالعظيم لسعته وضخامة بنائه وإتقانه وقد لاحت قبابه الست على البعد شامخة واضحة ترتفع بشمم وإباء إلى عـنان السماء، وإن انخفضت همم المسلمين أو دالت دولتهم في هذه المنطقة، ولا ينافسـه في الارتفاع إلاّ بناءان من آثار المسلمين الخالدة مثله أحدهما ما يسمى بمقبرة السلطان حسين شاه الغوري الذي ابتدأ بناء هذا المسجد وأعد له قبراً بجانبه لكي يأنس بأصوات المؤذنين وتلاوة القارئين للقرآن كما كان يفعل الملوك والأمراء في عهود الإسلام الوسيطة.

ولـيس هـذا المكان موضع بيان استحباب هذا الأمر أو عدم استحبابه فنحن هنا في رحلة نحكي ما رأيناه ونسجل ما استنتجناه.

مبنى ملحق بجامع مندو

وثانـــيهما: بناء عظيم شامخ يصعد إليه مثل المسجد الجامع من درج عديدة مـــن الحجـــارة القـــوية المهذبـــة وهو بناء دار العلوم التي يراد بها هنا المدرسة الإســـلامية التـــي تدرس العلوم الدينية والعلوم المعروفة في ذلك العصر ويسميها بعضـــهم المدرســـة الأشرفية، وكانت غاصة بالعلماء والمتعلمين، بل كانت مقصداً للجمـــيع، ولا تـــزال دار العلوم هذه باقية شامخة قد غالبت الزمن على البقاء وإن كان غلبها فذهب بعض سقوفها فإن غالب ابنيتها لا يزال باقياً على حاله.

أمـــا المسجد الجامع العظيم فإن الزمن لم ينل منه إلا إسقاط جزء بسيط مـــن ســـور له شمالي وأما باقيه فإنه لا زال كما هو رغم كونه مهجوراً من المصلين معطلاً من التالين الراكعين الساجدين، و ذلك لكون أهله الأولين من المسلمين قد هجروه عندما هجروا المنطقة.

أمـــا المســـلمون المحدثـــون فإن عددهم هنا قليل، ومكانتهم الاجتماعية والسياسية أقل، ولله في خلقه شئون، وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون.

لقد بنى هذا الجامع العظيم وفق هندسة راقية تجعله في مصاف الجوامع المعدودة المهمة في العالم، ولكن كونه يقع في منطقة منعزلة بعيدة عن أماكن تجمـــع المسلمين جعله مجهولاً حتى من كثير من مسلمي الهند الذين يتغنون الآن بأمجادهم الغابرة، بعد أن فقدوا الأمجاد في حالتهم الحاضرة.

ومن ذلك أن الضوء فيه قد وزع بطريقة علمية مدروسة بحيث لا يبقى فيه مكان مظلم لا يصل إليه النور رغم سعته وامتداده.

ومنها أن الصوت فيه مدروس بحيث يمكن من يتلو القرآن في محرابه الرئيسي الكبير الواقع في مقدمته يمكنه أن يُسمع كل من كان في المسجد مع ســعة المسجد وتباعد أركانه كما قدمت، وقد جرب أحد الإخوة المرافقين ذلك فــتلا آيــات من القرآن الكريم في محرابه الرئيس الكبير فسمعتها من سائر أركان الجامع.

وقــد بنى المسجد كله من الحجارة الضخمة المهذبة حتى إن عمده يبدو الــواحد مــنها وكأنــه صخرة واحدة، إلا أنها مهذبة وتركب العمد عقود من الحجارة التي بنيت بإحكام بديع.

ومن الأدلة على بديع الصنعة في بنائه أن محرابه الرئيسي من المرمر الــبديع الذي حفرت فيه كتابة آيات قرآنية بخط عربي غاية في الجمال، وقد أحاطــت الآيات القرآنية المحفورة فيه بحروف بارزة من أسفل الجهة اليمنى منه ثم صعدت إلى أعلاه حتى نزلت في جهة اليسرى متصلة غير منفصلة.

ومــن ذلك أن في حائطه مما يلي القبلة ١٨ محراباً صغيراً من المرمر وبعضها من المرمر الأسود الثمين وضعوا تسعة منها يمين المحراب الرئيسي الكبير الذي هو بجانب المنبر وتسعة منها عن يساره.

هــذا وقــد مضت على بناء هذا الجامع نحو خمسمائة سنة، ومع ذلك لم تنل منه السنون شيئاً رغم إهماله ورحيل أهله المسلمين عنه، بحيث لا يصلي فيه الآن ولا صــلاة الجمعة، وإنما تعتبره مصلحة الآثار القديمة آثاراً قديمة وتتولى النظر فيه من دون أن تبذل أي جهد في صيانته، فضلاً عن ترميمه أو إصلاحه.

بقايا مبنى دار العلوم في مندو

ومن اللطيف فيه أنك تنظر إذا كنت في وسطه مقابلاً للمحراب إلى دار العلـــوم المقابلـــة له من بابه الشرقي المواجه لها رغم بعد المسافة بينهما إذْ يفصل بينهما ميدان مع طول الجامع نفسه في تلك الجهة وكونه يحيط بالجهة الشرقية منه رواق فيه الباب الذي ترى منه المدرسة فوقه قبة ضخمة محكمة، بحـــيث تؤلـــف مع بقية القباب الكبيرة فيه ست قباب ضخمة إلى جانب قباب صغيرة متعددة في أروقته وواجهاته التي تلي فناءه الداخلي المكشوف.

وللجامـــع رواقان من جهة الشمال والجنوب، ومصلى للنساء في الجهة الشمالية المكشوفة على هيئة شرفة واسعة.

وتحـــته غرف عظيمة من الحجارة التي بني بها المسجد استفادوا منها لكـــونهم جعلـــوا المسجد مرتفعاً عن الأرض كثيراً يصعد إليه بدرج حجري ضخم، شأن المباني الضخمة المحترمة.

وذكـــروا أن هذه الغرفة أعدت لتكون مقر ضيافة للغرباء الذين يفدون إلى هذه البلاد.

وهكـــذا نجـــد أن الإخوة المسلمين في الهند لم يكونوا منذ قديم الزمان ينســـون أشياء مهمة تكون إلى جانب مسجدهم منها المدرسة الإسلامية، ودار الضـــيافة للمســـلمين، ولا يزال المهاجرون منهم في إفريقية وغيرها يلحقون بمســـاجدهم غـــرفاً يســـمونها (مسافر خانه) ينزلون فيها الضيف لمدة يوم أو يومين وأقصى ذلك ثلاثة أيام بالمجان، ثم إذا بقي فيها أكثر من ذلك كان عليه أن يدفـــع مـــبلغاً زهيداً من المال يدخل في حاصلات المسجد التي ينفق منها على ما يحتاجه من مصاريف متكررة كمصاريف الماء والكهرباء.

ولم يتسع الوقت للسلام على الذي ابتدأ بناء المسجد وهو السلطان حسين شاه الغوري وزيارته الزيارة الشرعية، وذلك لكون قبره كان مغلقاً عليه باب لا يفـــتح إلا بعـــد معاملـــة رسمية طويلة، وقد مات السلطان حسين الغوري المذكور قبل أن يتم بناءه فأكمله السلطان محمود الخلجي.

برج ديني هندوكي من عهد الحكم الهندوكي في مندو

وقد بنى الهنادكة في منطقة قريبة منه معبداً لهم رفعوا برجه الذي يشبه القبة إلاّ أنه يكون دقيقاً غير متناسب الأجزاء يشبه القمع وهو المحقن المقلوب، ولا يعد بناءه شيئاً بالنسبة إلى بناء هذا الجامع العظيم رغم كون الهنادك حكموا المنطقة قبل الاستعمار الإنكليزي وبعد خروج المسلمين منها لفترة طويلة من السنين.

وقد صورت المعبد الهندوكي وإن كان أكثره مختفياً بين المنازل للمقارنة، ما بينه وبين هذا الجامع لدى القارئ الكريم.

المسلمون في مندو:

سألت عن عدد المسلمين في (مندو) في الوقت الحاضر وأكثرت من السؤال فأخبرني أكثر من واحد من أهلها بأنهم (٢٥) بيتاً من ثلاثة آلاف بيت هم سكان البلدة، وعلى هذا تكون نسبتهم حوالي ٨./. ولكن أهل الخبرة من المنطقة القريبة من المدينة يقول إن نسبتهم لا تصل إلى ذلك وقال أحدهم ممن أثق برأيه: إنني إذا قلت إن نسبة المسلمين في (مندو) في هذا الوقت تبلغ ٣./. فإنني أخاف أن أكون قد بالغت، ولكنها على أية حال أكثر من ٢./..

مع الدكتور عبدالله عباس الندوي عند آثار المسلمين في مندو

وبسبب هذه النسبة القليلة بل الضيئلة لعدد المسلمين في بلدة كانت عاصمة لحكمهم كان للهنادكة الذين يؤلفون الأكثرية الساحقة فيها صولة وجولة ومن ذلك- عدا إهمال المساجد وعدم الصلاة فيها- أن أقاموا خيمة ملاصقة للجامع في الميدان الذي يقع بينه وبين المدرسة الإسلامية (دار العلوم) الأشرفية كما يسمونها وهو الميدان الذي يخترقه الطريق العام ونصبوا فيها مكبراً للصوت يذيع بصوت عالٍ، بل مزعج أغاني من أغانيهم الدينية الهندوكية بمناسبة أعياد الأفراح عندهم التي يقيمونها لذكرى زواج كبير آلهتهم رام، وزوجته الشهيرة (سيتا).

منطقة الأمراء والأميرات:

رجعنا إلى جهة الشمال من الشارع العام غير بعيد من هذا المسجد الجامع فدخلنا مع بوابة حجرية ضخمة تبدأ منها منطقة قصور الأمراء والأميرات من المسلمين، فرأينا في مدخلها بناء واسعاً هو اسطبل الخيول التي تخص أهل هذه المنطقة الملكية ومن يتبعونهم.

ورأينا فيها بركاً واسعة من برك المياه تأتي إليها من مياه بحيرة هناك لا تزال كذلك فيها الماء مع أن هذه القصور قد هجرت منذ عشرات السنين.

منطقة مندو

وتمتد على امتداد البصر تتوسطها أو تحيط بها حدائق، ومساحات خضراء جميلة حافظ المتأخرون عليها حتى تحتفظ بمظهرها القديم، ترغيباً في زيارتها للسياح والزائرين.

وكل هذه القصور والأبنية التي لا يكاد البصر يصل إلى مدى المنطقة التي تضمها مبنية من الحجارة القوية وفق ذوق سليم دقيق حتى كأن الحجارة قد لانت لأصحابها يكيفونها كما يشاءون مع احتفاظها بطابعها القوي المتين.

وقد قارنتها في ذهني بما أتذكره من آثار العمارة التي خلفها السلاطين والأمراء في عهود المماليك في مصر والشام، فأجد هذه أقوى منها وأعظم رغم عدم صيانتها أو إصلاحها.

مغادرة مندو:

بدأنا مغادرة (مندو) في الساعة الخامسة عصراً، ولم نشف الغليل من اللبث فيها، ولكن لنا موعداً في مدينة (أندور) نحرص على الوفاء به وهو زيارة مستشفى خيري للمسلمين.

وعندما كنا نزمع الركوب في دار الضيافة التي تظللها الشجرة الضخمة المعمرة الخراسانية الاسم، الإفريقية الأصل كان أحد الإخوة المسلمين أهل هذه البلاد يقول: أهل البلاد ذهبوا وبادوا وهذه الشجرة باقية معمرة.

فقلت: والأهم من بقاء الشجرة بقاء هذه الآثار الضخمة الرائعة من المساجد والمدارس والقصور التي تدل على ما بلغه المسلمون في هذه البلاد الهندية من رقي وحضارة وما وصلوا إليه من فن متقن في البناء والتشييد.

وقد عانيت في الطريق عند العودة من الارتجاج، ومن بوق السيارة الذي كان السائق يلح به على من يلحق بهم من الدراجات، أو يلتقي بهم من أهل السيارات، وحتى الحيوان كالبقرة والجواميس لابد لها من بوق يجبرها على أن تسمع فتتزحزح عن الطريق.

في ضاحية مندو

والطـــريق نفســـه ضـــيق إذا التقت فيه سيارتان لابد أن تخرج إحداهما عن الأزفلـــت، والأفظـــع مـــن ذلك منظر سيارة النقل الكبيرة أو الحافلة الضخمة وقد أقبلت شاغلة الطريق الأسفلتي وتكاد تتمايل فيه لخشونته فتجزم أنها ستصطدم بك، لأنـــك لا تـــرى لسيارتك منفذاً فيه، ولكن السائق بعد أن يطلق العنان لبوق سيارته مـــرة أو أكثر من مرة يخرج بها عن الأسفلت فترتج، وتخاف عليها أن تنقلب لان الازفلـــت مرتفع عن أكتاف الطريق الترابية الضيقة ولذلك تثير غباراً متصاعداً لا يخيفه ذلك ولا يجعله يتوقف حتى يخلو الطريق من السيارات وهكذا.

أفراح البائسين:

يكـــاد يحكـــم المـــرء منا على كثير ممن يراهم في هذه القرى الريفية وأمـــثالها في الهند بأنهم من البائسين الذين يلف البؤس حياتهم كلها فالمنازل ســـيئة وغير مريحة، والمياه غير نظيفة، وغير متوافرة في البيوت والطرق سيئة، والحالة الصحية ليست على ما يرام، بل إن أكثرهم يعاني من أمراض مستوطنة، والملابس مهلهلة والعوز والفقر هو القاعدة.

وحتـــى الهـــواء الـــذي يستنشقونه هو ملوث بسبب السيارات الكبيرة والحافلات التـــي تمر بقراهم، وأكثر قراهم تقريباً تكون على الطريق العام، إذا كان هناك طريق عـــام، وحتـــى إذا لم تكن عندهم سيارات تنفث الدخان المؤذي فإن روث البهائم الذي

يوقدون به لطعامهم وغيره من أنواع الحطب الردئ يقوم مقام ذلك في التلويث.

وحتـــى مناظر بعضهم توحي بالبؤس والفاقة، ومع ذلك فإن هؤلاء القوم يجدون الوقت والاستعداد للاحتفال بأعيادهم والاستمتاع بالرقص والموسيقى في أفراحهم.

ومـــن ذلـــك ما رأيناه اليوم عند الرجوع من مندو إلى إندور إذ مررنا بقرى في ضحى هذا اليوم فكانت خالية من التجمعات، وعندما مررنا بها قبيل المغرب ونحن راجعون وجدناها غير ذلك.

وجـــدنا الأهالي بأعداد ضخمة قد تجمعوا في الشارع الرئيسي الذي هو طريق الســـيارات الرئيســـية وقد أخذ القادرون منهم زينتهم ومنها ثياب الساري على النساء التـــي تقـــيد المرأة وتلف جسمها كما يلف الكفن جسد الميت لو لا بعض الأجزاء التي تكـــون بارزة في العادة في هيئة بعيدة عن الذوق وابتغاء الجمال بمقاييس الجمال التي نحس بها نحن وربما كانوا يحسون من الجمال بغير ما نتذوقه منه.

الاحتفال الهندوكي بين مندو وإندور

وقـــد زيـــنوا أطفـــالهم بمـــا استطاعوا الوصول إليه من اللباس وضربوا الطبول، ونفخـــوا المزامير وصاروا يرقصون رجالاً ونساءً وأطفالاً في الشارع الذي كان مزدحماً فـــزاده هذا الأمر ازدحاماً، لذلك كانت السيارات العابرة تتوقف فيه مضطرة، ولكنه وقوف غير مستقر فرجال المرور يسيرون السيارات لأنها لو وقفت لأغلقت الطريق.

وحتى الجماهير لا تكاد السيارة تجد لها منفذاً من بينهم، ولقد حاولت أن نقف بسيارتنا لتصوير المنظر ولكن أنى لنا ذلك فليس هناك مكان لوقوفها من الدراجات والأناسي والحيوان.

فالتقطت صوراً لذلك والسيارة تسير الهوينا وأنا بداخلها وما أدري أتكون صالحة معبرة عن الواقع أم لا تكون.

ومع ذلك فإن الجمال هو نسبي والذوق يختلف من شعب إلى آخر لأنني لم أر في موسيقاهم التي يعزفونها، ولا في أغانيهم التي يغنونها إلا ما ذكره ابن الرومي في هجاء جحظة البرمكي الذي كان حسن الصوت، غير جميل الوجه.

يا حسرتا لمناديه تحملوا ألم العيون للذة الآذان

وتذكرت عندما رأيت نساءهم يرقصن بثيابهن الفضفاضة، ووجوههن الصفر المتغيرة وسمرتهن القاتمة الرقصات في كرنفال البرازيل بل كرنفال مدينة (ريو دي جانيرو) أعظم كرنفالات العالم فانشدت في نفسي قول الشاعر:

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نسائها

من فضلك أعطني بوقاً:

عاملات هنديات

فــرح السائق حين أفلت من هذا الزحام المزعج وفرحت أنا حين أفلت من ذكــريات البــرازيل التــي أثارها هذا الفن الشعبي القديم في الهند وإذا بنا نلحق بالــناقلات الضــخمة من السيارات فلا يتسع الطريق لتجاوزها فيطلق سائقنا لها بــوقاً متصلاً، فأنهاه عن ذلك لئلا ينزعج أهل السيارات فيرتبكوا فيقول السائق: لا، أنظــر إلى ما كتبوه خلف سياراتهم فأرى عبارة (هورن بلبز) أي من فضلك أطلق بوق سيارتك، أو بتعبير آخر (من فضلك أعطني بوقاً).

إحراق تماثيل راون:

وصلنا مدينة (إندور) بعد السابعة وكانت الشمس قد غربت في السادسة والربع فرأينا النيران متقدة في عدد من الساحات وأصوات المفرقعات تنطلق مــنها ومكبــرات الصوت تذيع بأقصى قوتها، والجماهير المتجمهرة محتشدة حــولها فلم نتمكن من الاقتراب إضافة إلى كوننا كنا قد حددنا موعداً لزيارة مستشفى خيري للمسلمين لا نريد أن نتأخر عنه.

مستشفى السيدة حليمة:

كــتب على لافتته بالعربية (هذا من فضل ربي) وهي أعلى كتابة فيه، وتحــته بالهــندية والإنكليــزية ونص ما كتب عليه بالإنكليزية (ليدي حليمة هوسبتال) أي مستشفى السيدة حليمة.

وذكــروا أن مرادهم (حليمة السعدية) التي أرضعت الرسول صلى الله علــيه وســلم، وهو مستشفى خيري ذكروا ذلك في لوحة كبيرة أخرى عليه، وذكــر القائمــون علــى أمــره أنهم يعالجون المرضى بما يشبه المجان، إذ يتقاضــون مــن المــريض الذي يقيم في غرفة مع غيره (٢٠) روبية يومياً ويساوي ذلك ثلثي دولار أمريكي عن الليلة الواحدة.

أما المريض الذي يريد أن يكون في غرفة خاصة به فإن أجرها (٦٠) روبية وذلك يساوي دولارين اثنين.

ولا يصرفون الدواء للمرضى وإنما يكلفونهم إحضاره من السوق إلا إذا تيقنوا أن المريض من المعدمين فإن لديهم صندوقاً خيرياً خاصاً يشترون منه الدواء للفقراء المعوزين من المرضى.

وهـو يداوي الناس الذين يراجعونه على السواء سواء كانوا مسلمين أم هندوكيين، ويعمل فيه أربعة أطباء متفرغين و(٢١) طبيباً من المتعاونين الذين يحضرون في بعض الأحيان أو في وقت الحاجة إليهم، والحقيقة أنه يمكن أن يكـون اكثـر نفعاً في الدعوة إلى الإسلام، إذا وفرت له الإمكانات المالية فقد رأينا عدد المراجعين فيه كثيراً.

وقد طلب منا إخواننا القائمون عليه أن نعمل على مساعدتهم في بناء له أكبـر، فطلـبت مـنهم أن يعطوني طلباً مكتوباً موضحاً فيه كل ما يتعلق به ووعدتهم بأن أبذل جهدي لدى الجهات التي تساعد على ذلك مثل هيئة الإغاثة الإسلامية والبنك الإسلامي للتنمية في جدة.

يحرقون بلاد راون أيضاً:

فـي طـريق عودتنا من المستشفى الخيري الإسلامي إلى فندقنا مررنا بعدة أماكن تحرق فيها تماثيل (راون) ولكن الزحام عندها كان بالغاً وأصوات المفرقعات التي كانت موضوعة داخل تماثيل راون لتنفجر عند إحراقها كانت تصم الآذان ومكبرات الصوت على اشد صوتها بخطب ومواعظ.

وقفـنا بعيداً عند أحدها ولم نستطع الاقتراب لشدة الزحام فسمعنا الخطيب يقول فـي مكبـر الصـوت كما ترجمه لنا الإخوة المرافقون يجب عليكم أن تكونوا إخواناً صالحين وألا تكون مثل (راون) الذي عمل الشر ويجب أن نحرقه ونحرق مقره.

ثـم هتف: لنحرق راون ولنحرق (لنكا) وهي حزيرة سيلان التي صار أهلها الآن يسمونها (سري لنكا) بمعنى لنكا المقدسة أو الشريفة.

ثـم أوقدوا النار في تمثال يرمز للنكا مقر إقامة (راون) أو التي كانت مقراً لإقامـته إن كـان مات وهو على حد قولهم شيطان رجيم والشيطان يصعب الحكم

القطعـــي بأنـــه مـــات، لأنه لا يرى وهو (آله) معبود لأهل جنوب الهند، ويصعب الحكم القطعي بموته عندهم كذلك، ولذلك لا يزال أهل الشمال يقدسون إلههم (رام) خصم راون ولا يزال أهل الجنوب يقدسون إلههم (راون) خصم رام.

ذبحة الشّمر:

قـــال أحد الإخوة المرافقين: أليس ما يفعلونه بإحراق تمثال (راون) عدو رام فـــي مـــثل هذه الأيام من كل عام هو شبيه بما يفعله بعض الشيعة من حرق تمثال الشمر قاتل الحسين بن علي رضي الله عنه في يوم عاشوراء من كل عام؟

فقلـــت له: إن لدينا مثلاً عامياً لا نشك في أنه قادم إلى بلادنا من جنوب العـــراق المجـــاورة وهو قولهم للقتل الشديد: (ذبحة الشمر) أي كقتلة الشمر، وهو الشمر بن ذي الجوشن الغساني قاتل الحسين بن علي رضي الله عنهما.

وذلـــك أن الشيعة في جنوب العراق كانوا يحتفلون- كما هو معروف- فـــي أيام الحزن على الحسين رضي الله عنه في الأيام العشر الأول من شهر محرم كل عام وفي آخرها أو أثنائها يقومون بتمثيل قتل الشمر قاتل الحسين.

كمـــا أن بعضـــهم ينوحون على الحسين ويضربون صدورهم وأماكن أخرى من أجسادهم بالسلاسل حزناً على قتله.

وبهـــذه المناســـبة روى أحد الإخوة أن رحالة ألمانيا صادف وجوده في أحد الـــبلدان التـــي يكثر فيها الشيعة، فرآهم ينوحون ويبكون ويضربون أنفسهم فسأل عنهم فقيل له: إنهم يفعلون ذلك حزناً على مقتل حفيد نبيهم! فسأل عن تاريخ مقتله فأخبروه أنه منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً، فقال: لماذا لم يعرفوا بقتله إلاّ الآن.

هـــذا وقد نشرت إحدى الجرائد الهندية بعد ذلك بيوم وهي جريدة ديلي التـــي تصدر في بومبي أن الإحصاءات الحكومية أثبتت أن الذين قتلوا أثناء الاحـــتفالات بأفـــراح رام وزوجـــته أو بأفـــراحهم لمناسبة زواج رام وسيتا، ولمناسبة حرق تماثيل راون قد بلغ ٥٥ شخصاً أكثرهم ماتوا حرقاً من جراء الحرائق التي اشتعلت بسبب النار والمفرقعات التي انتشرت عند الإحراق.

يوم الجمعة ١٤١٢/٤/١٠هـ- ١٩٩١/١٠/١٨م:

مغادرة وسط الهند:

تـــركنا فندقـــنا (بلواز) الذي هو الفندق الوحيد في مدينة إندور الذي يملكه مســـلم، وذلـــك بعـــد صلاة الفجر مباشرة وقد أردت أن أدفع أجرة غرفتي لمدة ليلتـــين للفندق فامتنع الكاتب في مكتب الاستقبال عن تسلمها وقال: فلان قال: إنه ســـيدفع، وقـــال لـــي الأخ أبوالبركات: إن الأخ فلان قد أخبر الفندق أنه سيدفع أجـــرتكم وأجرة الدكتور عبدالله عباس الندوي، فشكرت لهم جميعاً ذلك، وسألتهم عـــن الأجرة فأخبروني أنها (٤٣٠) روبية لليلة الواحدة وهي أجرة رخيصة جداً إذا قيست بمستوى الفندق لأنها تعني أربعة عشر دولاراً ونصفاً أمريكياً.

وهـــذا مـــبلغ قليل فدفعت الأجرة للشيخ أبي البركات حتى يدفعها للأخ المتبرع ويقدم له شكري على تبرعه واعتذاري عن قبوله.

ومـــن الطريف في باب المقارنات أن أجرة فندق جيهان بالاس الذي سكنت فـــيه في بهوبال هي (٨٦٠) روبية أي ضعف أجرة فندق إندور هذا وأجرة الغرفة فـــي فندق سنتور الذي قضيت فيه ليلةو احدة عند وصولي من الرياض إلى دلهي هـــي (١٦٨٠) روبية بعد تخفيض ٢٥./. لجوازي السياسي فهي إذاً ضعف أجرة فندق بهوبال وهي اكثر من ذلك لمن لا يحمل جواز سفر (دبلوماسياً).

ومقارنـــة أخـــرى: لقـــد طلـــبت زجاجة من الماء المعدني من فندق سنتور فجـــاءوا بهـــا وطلـــبوا ثمنها أربعين روبية، وفي فندق بهوبال جاءوا بها بعينها، وطلـــبوا ثمـــنها ٢٥ روبـــية وفي فندق إندور كان ثمنها ١٥ روبية وهي زجاجة واحدة لم تتغير، ولكن يغيرون ثمنها حسب مستوى الفندق مع العلم بأن الغرفة في فندق إندور الرخيص هي أنظف من الغرفتين اللتين قبله وأكثر راحة لي منهما.

وقـــد خـــرج معي إلى المطار طائفة من المودعين من أهل إندور زاد عددهم على العشرة جزاهم الله خيراً.

ولاحظـــت أن السائق لم يستغن عن إطلاق بوق سيارته في هذا الوقت المبكـــر الـــذي هـــو بين صلاة الفجر وطلوع الشمس كما لاحظت أن القمائم والنفايات التي تخلفت في شوارع المدينة منذ الأمس لا تزال فيها.

وفـــي المطـــار كتـــبوا على بطاقة الصعود إلى الطائرة أنها تخول لحاملها أن يتـــناول طعـــام الإفطـــار مـــن مطعم الفندق فأفطرنا هناك بيضاً و خبزاً وشاياً بنفقة الشركة، ولم يكدر ذلك إلا كون أحد العمال في المطعم كان يسعل ويكثر من السعال.

وقد صنعت الشركة ذلك لقصر الرحلة بين إندور وبهوبال التي ستهبط فيها الطائرة قبل دلهي.

وأقلعـــت طائرة أنديان إير لاين المعهودة من طراز بوينغ ٧٣٧، وليس فيها من الركاب إلا نصف حمولتها على عكس المعتاد.

وكان إقلاعها في موعدها المحدد بالضبط دون تأخير حتى دقيقة واحدة، وهـــو السابعة وخمس دقائق فنزلت في مطار بهوبال ونزل منها أكثر ركابها وصعد أقل منهم وطلبوا منا نحن الركاب المواصلين البقاء في الطائرة.

ثـــم نـــزلت بعـــد بهـــوبال في مطار (قواليار). ومنها أقلعت إلى دلهي عاصمة المحيط البشري الهندي الضخم.

ولدلهـــي حديث قديم مذكور في كتاب (نظرات في شمال الهند) من هذه الرحلات الهندية، ولله الحمد.

الفهرس

كتب مطبوعة في الرحلات ٣
مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات ١٠
المقدمة ١٣
سبب الرحلة ١٥
المهمة الأولى ١٧
المهمة الثانية ١٨
المهمة الثالثة ١٨
مدهي براديش ١٩
بهوبال ٢١
الرحلة الأولى ٢٣
من بومبي إلى بهوبال ٢٥
مدينة إندور ٢٧
في مطار إندور ٣٠
في مطار بهوبال ٣١
في مدينة بهوبال ٣٣
شارع الحميدية ٣٤
جولة في مدينة بهوبال ٣٦
الملك الذي لا يزول ٣٧
بحيرة تاج المساجد ٣٩
مسجد موبتي ٤٠
العلاقة بين المسلمين والهنادك ٤٢
مسجد أم كلثوم ٤٥
مستشفى السلطانية ٤٦
تاج المساجد ٤٦
في مطعم إسلامي ٥٠

يلبسون أغطيتهم ٥٢
زيارة قبر صديق حسن خان ٥٢
البستان الكبير ٥٣
إلى مصنع الموت ٥٥
شهود العيان يتكلمون ٥٦
القيامة الصغيرة ٥٨
عدد المصابين ٦٠
عودة إلى تاج المساجد ٦٠
محل النور ٦١
عشرة أبناء علماء ٦٣
القسم الحديث من المدينة ٦٥
إلى ريف بهوبال ٦٦
ميدان إقبال ٦٩
في بلدة بيراقل ٧٠
قبل مغادرة بهوبال ٧١
أمجاد بهوبال ٧٢
واحد إسلامية ٧٢
أكاديمية نواب صديق خان ٧٤
مغادرة باهوبال ٧٤
الرحلة الثانية ٧٥
من الرياض إلى دلهي ٧٧
في مطار دلهي ٧٩
السفر إلى بهوبال ٨١
في مطار قواليار ٨٣
العود أحمد يا بهوبال ٨٤
افتتاح الاحتفال برابطة الأدب الإسلامي العالمية ٨٧
تاج المساجد أيضاً ٨٧

رابطة الأدب الإسلامي العالمية ٨٨
برنامج الاحتفال ٩٠
صاحب الفضيلة ٩٤
كلمة الأمين العام للرابطة ٩٧
أدب الدعوة والإصلاح ٩٨
كلمتي في الاحتفال ١٠٤
دار التصنيف ١١١
الدين والسياسة ١١٢
المسلمون والسياسة ١١٣
وماذا عن الوظائف العامة ١١٤
حزب الطلبة ١١٥
العزم على السفر إلى أندور ١١٨
أرياف بهوبال ١١٩
اسم واحد يكفي ١١٩
النمور في بيته ١٢٠
جلود النمور ١٢٣
البقر في الهند ١٢٣
الأكواخ بجانب القصر ١٢٤
قرية آنند نقر ١٢٦
أوقات العبادة ١٢٦
المنطقة التمرية ١٢٧
قري حبيب قنج ١٢٩
الريف الهندي ١٣٠
في بهوج بور ١٣٢
يعبدون ما ينحتون ١٣٧
الأم كوبير ١٣٨
المتعبدون ينقصون ١٣٩

وقفة عند بهوج بور ١٤٠
وهذا المساء ١٤١
البرنامج المبكر ١٤٢
وداعاً يا بهوبال ١٤٤
من بهوبال إلى أندور ١٤٥
مطار أندور ١٤٥
الاستقبال الحافل ١٤٦
في مدينة أندور ١٤٦
منزل وجيه مسلم ١٤٨
المسلمون في أندور ١٥٠
مع هنود حمر ١٥١
إلى فريد نقر ١٥٥
المأدبة الحافلة ١٦٥
جولة في أندور ١٦٨
صراع الآلهة ١٧٠
حديقة مجدود ١٧٣
البقرة والدخان ١٧٥
إلى مدرسة الفلاح ١٧٧
أصول مسلمي الهند ١٧٨
مدرسة الفلاح ١٨١
كلمتي في الاحتفال ١٨٢
عادات لا تناسبنا ١٨٥
إلى بلدة مندو ١٨٦
بدء السفر ١٨٨
حي الخشب ١٩٠
قرية تلة الحمار ١٩١
قرية كالاريا ١٩١

إمشي يا أمي، إجلسي يا أمي ١٩٢
بلدة بهاتا بلوز ١٩٣
قرية قناد ١٩٥
قرية أوتاور ١٩٦
مدينة دهار ١٩٦
الشوارع العامة والبريد ١٩٩
المنطقة الإسلامية المفقودة ٢٠٠
قال التاريخ ٢٠١
دلاور شاه الغوري ٢٠١
هوشنك شاه الغوري ٢٠١
غياث الدين شاه الخلجي ٢٠١
ناصر الدين شاه الخلجي ٢٠٢
محمود شاه الخلجي ٢٠٢
قرية تلوار ٢٠٤
الاستقبال في نال جا ٢٠٤
هذه مندو ٢٠٥
بوابة الكنّاسين ٢٠٥
مدينة الفرح ٢٠٧
دار الاستراحة الحكومية ٢٠٨
تاريخ مندو ٢٠٨
من عجائب الدنيا ٢١١
الطعام المبارك ٢١١
الشجرة المعمرة ٢١٣
جولة في منطقة مندو ٢١٤
موقع مالوه ٢١٥
أول مسجد ٢١٥
٣٦٠ مسجداً في السابق ٢١٦

كلام تاريخي عن بعض الآثار الإسلامية المهمة في مندو ٢١٦
قصر زوجة السلطان ٢٢٠
ثمرة الشجرة المعمرة ٢٢٣
الخرافات الهندوكية ٢٢٤
إلى المسجد الجامع ٢٢٧
بوالمسجد العظيم ٢٢٧
المسلمون في مندو ٢٣٢
منطقة الأمراء والأميرات ٢٣٣
مغادرة مندو ٢٣٤
أفراح البائسين ٢٣٥
من فضلك أعطني بوقاً ٢٣٧
إحراق تماثيل راون ٢٣٨
مستشفى السيدة حليمة ٢٣٨
يحرقون بلاد راون أيضاً ٢٣٩
وبحد الشمّر ٢٤٠
مغادرة وسط الهند ٢٤١
الفهرس ٢٤٣

مطبعة النرجس التجارية
NARJIS PRINTING PRESS
تلفون : ٢٣١٦٦٥٣ / ٢٣١٦٦٥٤
فاكس : ٢٣١٦٨٦٦ الرياض

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

https://dawa.center

كتب مخطوطة في الرحلات للمؤلف

١- رحلات في البيت: رحلات داخل المملكة العربية السعودية.

٢- جولة في جزائر البحر الأبيض المتوسط.

٣- حديث المؤتمرات (الخارجية).

٤- جولة في جزائر المحيط الأطلسي.

٥- مؤتمرات إسلامية حضرتها.

٦- رحلة المسافات الطويلة.

٧- حول العالم في خط متعرج.

٨- الإشراف على أطراف من المشرق العربي.

الرحلات الإفريقية

٩- الإشراف على أطراف من المغرب العربي.

١٠- العودة إلى غرب إفريقية.

١١- العودة إلى المغرب الأقصى، بين الصحراء والأرض الخضراء.

رحلات في القارة الأوروبية

١٢- التعليق على السفر إلى أقطار البلطيق.

١٣- من كوبنهاجن إلى كييف مروراً بباريس.

١٤- رحلة الشمال.

١٥- خلال أوكرانيا بحثاً عن المسلمين.

١٦- زيارة لإيطاليا وحديث في شؤون المسلمين.

١٧- تجوال في بلاد البرتغال.

١٨- رحلة الأندلس.

١٩- زيارات خاطفة لمدن أوروبية مختلفة.

٢٠ - العودة إلى داغستان.

الرحلات الهندية

٢١-على أعتاب الهملايا.

٢٢- بلاد الهند والسند : باكستان.

٢٣- في الشمال الغربي من الهند.

٢٤- في أقصى شرق الهند.

٢٥- وسط الهند.

الرحلات الآسيوية

٢٦- رحلات في بلاد الملايو.

٢٧- في مهد الترك : تركستان الشرقية.

٢٨- في أحناء إندونيسيا.

٢٩- في شمال شرق آسيا.

٣٠- جمهورية قازاغستان : ملخص تاريخي ومشاهدات ميدانية.

٣١- إلى تاجيكستان، ثانية.

٣٢- قازاغستان بعد أوزبكستان وتاجيكستان.

رحلات في القارة الأمريكية الجنوبية

٣٣- الحل والرحيل في بلاد البرازيل.

٣٤- رؤية جديدة للجانب الأبعد من امريكا الجنوبية.

٣٥- رحلة الجنوب.

[illegible] البرازيل.

Dar Altholothia
9789960472430
SR 20.00

رحلات [illegible] مالية

٤٠- وراء العمل [illegible] سلامي في الولايات المتحدة الأمريكية.

٤١- تلبية النداء لزيارة كندا.

الرحلات الصينية

٤٢- في وسط الصين.

الرحلات الكاريبية

٤٣- المارتينيك وبربادوس.

٤٤- دومنيكا وڤواديلوب وأنتيقوا.

٤٥- بور توريكو وجمهورية الدومنيكان.

رحلات بلقانية

٤٦- كرواتيا وسلوفينيا.

أستراليا وجنوب المحيط الهادي.

٤٧- في شمال أستراليا.

٤٨- في جنوب أستراليا.

٤٩- في شرق أستراليا.

٥٠- في غرب أستراليا.

٥١- غينيا الجديدة آخر الغينيات زيارة.

٥٢- الإلمام بالمحيط الهادئ من أستراليا إلى جزيرة قوام.

رحلات في جمهورية الموز

٥٣- بلاد المكسيك وڤواتيمالا.

٥٤- السفر والأوبة من كوبة.

٥٥- التشريق بعد التغريب ، في بحر الكاريب.

الرحلات الروسية

٥٦- جمهورية القبائل الروسية.

٥٧- إلى الشرق الأقصى الروسي.

٥٨- مقال في السفر إلى منطقة الأورال.

الرحلات السيبيرية

٥٩- غرب سيبريا.

٦٠- شرق سيبريا.

ردمك: ٤ - ٢٤٣ - ٤٧ - ٩٩٦٠

مطبعة النورس - ت: ٢٣١٦٦٥٣ ف: ٢٣١٦٨٦٦